

الجـامعةُ اللُّـبنـانيّــة
كُلِّيَّـة الحُقـوق والعُلـوم السِّـياسـيَّة والإدَاريّــة
العَمَـادَة

تَأثيــر جـيوبُوليتيــك مِنْطقَة آسيـا الـوُسْـطى عَلـى جيواسـتراتيـجيّـات الـدُّول الـكُـبْرى

(الصّين الشّعبيّة، روسيا الإتّحاديّة، الولايات المتّحدة الأميركيّة نماذجًا)

رسالة لنيل شهادة ماستر بحثيّ في العلاقات الدّوليّة والدّبلوماسيّة

إعْــداد

الطَّالبة روزي إ. حَــدّاد

لجْنَـةُ المُنــاقَشة

الدّكتورة ليلى نقولا	**الأستاذ المشرف**	**رئيسًا**
الدّكتور فيليب فارس	**أستاذ مساعد**	**عضوًا**
الدّكتور حسّان الأشمر	**أستاذ مساعد**	**عضوًا**

٢٠١٨

الإهداء

إلى مَنْ دَعَمَ وسَانَد وسَاعَد وشَجَّعَ، إلى صَاحبِ الأخلاقِ الرّفيعة والفكر المتألّق الذّي أَكْرَمَتْنيَ الحياةُ بِفُرصِةِ لِقائي بِه، إلى عَميدِ كُلّيَتنا وعِمادِها، **الدّكتور كميل حبيب.**

إلى مَنْ زرَعَت في داخلي بِذار الفهم والدّقّة والتّميّز، إلى مَنْ طَبَعتْ في ذهني حُبَّ النَّجاح ولذّة التّحدّي وروعة الطّموح، إلى العملة النّادرة، **الدّكتورة ليلى نقولا.**

إلى صَاحِبِ الْفِكْرِ النَّيِّرِ وَالْإِطِّلَاعِ الوَاسِعِ؛ المشهور بمناقبيّته ولباقته، إلى من كانت له مساهمة قيّمة في إتمام ما جاء في هذه الرّسالة حول الموضوع الرّوسيّ، **الدّكتور أمل أبو زيد.**

إلى مَنْ بِحَنَانِهِما وحِكْمَتِهِما رافَقا مَراحِلَ نُضْجِي، وكانا صَوتَ الضَّمير المتيقّظ عند كلّ مفترق طُرق ويد العون التّي تستبق كلّ عثرة، إلى **والديَّ الحَبيبَيْن، حياة وإدوار.**

وأخيرًا إلى الحبيب، الصّديق، والأخ الأكبر، إلى برّ الأمان وبحر الحنان، إلى نصفيَ الأفضَل، مكمّل نقصاني، إلى فكريَ المتوثّب ونبضِ قلبي، **حبيبي باسل.**

عائلتي الجميلة والمميّزة، أُهْديكُم ما أعدَدْتَه بِدَعْمِكُم ومَحَبَّتِكُم، عَساهُ يُعيد إليكُم جُزءًا ولو بسيطًا مِن كلّ الذّي بذلتُمُوه لأجْلي.

مَعَ مَحبَّتي وَتَقْدِيري،

روزي ...

الشكر

أُقَدِّمُ شُكْرِيَ وَتَقْدِيْرِي إِلَى الدُّكْتُورَين اللَّذَينِ تَكَرَّمَا بِمُوَافَقَتِهِمَا عَلَى الْمُشَارَكَة فِيْ مُنَاقَشَة رِسَالَتي هٰذه، الْمَعْرُوْفَيْن بِتَفَانِيْهِمَا في عَمَلِهِمَا، وبِأَخْلَاقِهِمَا الرَّفِيْعَة، **الدّكتور فيليب فارس، والدّكتور حسّان الأشمر.**

كَمَا أُقَدِّمُهُ إِلَى كُلِّ دُكْتُوْرٍ بَذَلَ جُهُوْدًا كَبِيْرةً فِي مَسِيْرَتِهِ التَّعْلِيْمِيّة فِيْ كُلِّيَتِنَا وَكَانَتْ لَهُ بَصْمَتَهُ الأكَادِيْمِيَّة وَالإِنْسَانِيَّة فِيْ عَقْلِ وَوِجْدَانِ طُلَّابِهِ؛ أَنْتُمْ مِثَالٌ بِهِ يُحْتَذَى، وَمَعَكُمْ صُقِلَ جَوْهَرُ رِسَالَةِ التَّعْلِيمِ وَتَأَلَّقَ.

تَصْميـمُ الرِّسَـالَةَ

المُقدّمة

القسم الأوّل: مكانة آسيا الوسطى في نظريّات الجيوبوليتيك

- **الفصل الأوّل:** لمحة عن نظريّات الجيوبوليتيك:

أ- **الفقرة الأوّلى:** نظريّة ماكيندر.

ب- **الفقرة الثّانية:** نظريّة سبيكمان.

ت- **الفقرة الثّالثة:** نظريّة بريجينسكي.

- **الفصل الثّاني:** جيوبوليتيك منطقة آسيا الوسطى:

أ- **الفقرة الأولى:** مكانة آسيا الوسطى في نظريّة ماكندر.

ب- **الفقرة الثّانية:** مكانة آسيا الوسطى في نظريّة سبيكمان.

ت- **الفقرة الثّالثة:** مكانة آسيا الوسطى في نظريّة برجينسكي.

القسم الثّاني: جيواستراتيجيا الدّول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى

- **الفصل الأوّل:** المصالح الجيوبوليتيكيّة للدّول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى:

أ- **الفقرة الأولى:** المصالح الجيوبوليتيكيّة لروسيا الإتحاديّة في منطقة آسيا الوسطى.

ب- **الفقرة الثّانية:** المصالح الجيوبوليتيكيّة للصّين الشّعبيّة في منطقة آسيا الوسطى.

ت- **الفقرة الثّالثة:** المصالح الجيوبوليتيكيّة للولايات المتّحدة الأميركيّة في منطقة آسيا الوسطى.

- **الفصل الثّاني:** الإدارة الإستراتيجيّة للمصالح الجيوبوليتيكيّة للدّول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى:

أ- **الفقرة الأولى:** الإدارة الرّوسيّة لمصالحها في منطقة آسيا الوسطى.

ب- **الفقرة الثّانية:** الإدارة الصّينيّة لمصالحها في منطقة آسيا الوسطى.

ت- **الفقرة الثّالثة:** الإدارة الأميركيّة لمصالحها في منطقة آسيا الوسطى.

الخاتمة

المُـقَدِّمَـة

تحتلّ منطقة آسيا الوسطى مكانةً "مرموقة" على السّاحة الدّوليّة، فهي بالإضافة إلى موقعها الجغرافيّ المميّز تتمتّع بالموارد التي تشهد التّنافس والتّنازع الأكبر عليها من قبل الأقطاب العالميّة والقوى الإقليميّة الصّاعدة. هي منطقة مغلقة تقع في قلب القارّة الآسيويّة، أو "قلب العالم" بحسب بعض نظريّات الجيوبوليتيك العالميّة، ولا تطلّ على أيٍّ من البحار المفتوحة، لكنّها تشاطئ بحر قزوين من جهّة، ومن الجهة المقابلة تشكّل طرقًا لإمدادات الغاز والنّفط نحو الصّين، أو منها نحو البحرين الأبيض المتوسّط والأسود، بالإضافة إلى تركيا، ومنهم إلى الخليج العربي (الفارسيّ) عن طريق إيران؛ وكذلك الأمر من أفغانستان وباكستان باتجاه المحيط الهنديّ.[1]

ينظر الباحثون اليوم إلى منطقة آسيا الوسطى بأهميّة قصوى باعتبارها الشريان الرّئيسي لقلب العالم، وهذه الميّزة هي وراء الكثير من الصّراعات الدّوليّة التّي وقعت وقد تقع في المنطقة.[2] فهي مولّدة قديمة – جديدة للأزمات، وفي نظرة غابرة للتّاريخ تتأكّد هذه المقولة بشكلٍ لا يساوره أدنى شكّ فور الإشارة إلى أنّ الدّول الخمس أو "السّتانات الخمس" التّي تكوّن بمجموعها منطقة آسيا الوسطى اليوم، والتّي هي: أوزباكستان، تركمانستان، طاجاكستان، قيرغيزستان، وكازاخستان؛ هي جمهوريّات مستقلّة عن الإتّحاد السّوفياتي السّابق.

بالإضافة إلى ما تمّ ذكره، فهذه المنطقة تعدّ منطقة تنافس استراتيجيّ بين روسيا الإتّحاديّة، جمهوريّة الصّين الشّعبيّة، والولايات المتّحدة الأميركيّة، وتضمّ قواعد عسكريّة لهذه البلدان التّي تقوم أيضًا بمناورات عسكريّة فيها بشكلٍ مستمرّ. من هنا فإنّه لا بدّ من أن يكون لكلّ دولة من هذه الدّول استراتيجيّات

---

[1] أحمد علو، **دول آسيا الوسطى أو السّتانات الخمسة**، منشورة في: مجلّة الجيش اللّبنانيّ، العدد 329، تشرين الثاني 2012: https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/دول-آسيا-الوسطى-أو-الستانات-الخمسة

[2] محمّد سعد أبوعمود، **آسيا الوسطى وصراعات القوى الكبرى**، منشورة في "ملحق الأسبوع السّياسي"، صحيفة الخليج، 2015/07/30:

http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/4b85c506-f2f3-442e-bf0a-5be13751f52c

تنافسيّة خاصّة تجاه هذه المنطقة، ربطًا بقول راتزل الشّهير: "يوجد على هذا الكوكب مكان كافٍ لدولة عظيمة واحدة فقط".[3]

وبما أنّ السّاحة الدّوليّة تشهد اليوم تغيّرات غير معهودة، إن لناحية سياسات الدّول الخارجيّة تجاه بعضها البعض أو لناحية استراتيجيّاتها الدّاخليّة التّنمويّة، قرّرت أن أسبر أغوار كواليس المجالس السّياسيّة للدّول الكبرى، وأميط اللّثام عن خبايا استراتيجيّاتها، علّني بهذه الرّسالة أضيف ولو صفحةً واحدة على كتاب العلاقات الدّوليّة الضّخم.

الأهميّة العلميّة والعمليّة للموضوع:

جاء اختيار هذا الموضوع لتسليط الضّوء أوّلًا على أهميّة منطقة آسيا الوسطى كمادّة لدراسات وأبحاث طلّاب العلاقات الدّوليّة في الجامعات عامّة والجامعة اللّبنانيّة خاصّة، ويعود ذلك الأمر ثانيًا لندرة صدور الدّراسات المختصّة والتّي تعالج هذا الشّان في السّنوات الأخيرة في رسالات الدّراسات العليا بالتّحديد.

الإشكالية المطروحة للمعالجة:

يمثّل جيوبوليتيك منطقة آسيا الوسطى أهمّيّة استراتيجيّة على صعيد العلاقات الدّوليّة كما ذكرنا في السّطور السّابقة، هذه الأهمّيّة تؤثّر على بلورة وتنفيذ الاستراتيجيّات الدّوليّة بشكلٍ عام وعلى علاقات الدّول فيما بينها كذلك الأمر، لكن *ما هو الدّور الذّي يلعبه الواقع الجيوبوليتيكيّ لمنطقة آسيا الوسطى في إدارة الأقطاب العالميّة: روسيا الإتّحاديّة، جمهوريّة الصّين الشّعبيّة، والولايات المتّحدة الأميركيّة، لمصالحها الجيوبوليتيكيّة استراتيجيًّا فيها؟ وما هي آثار ذلك على علاقة الدّول سابقة الذّكر ببعضها البعض؟*

الفرضيّات المرفقة بالإشكاليّة:

هل سيقوم الواقع الرّاهن لآسيا الوسطى بتقريب الأدوار العالميّة من بعضها البعض وصولًا إلى تعاونها؟ أم أنّه سيكون سببًا رئيسيًّا ومحتملًا لقيام حالة جديدة من التّنافس الدّوليّ؟ وهل سيكون لمنظّمة شنغهاي للتّعاون دورًا في تقريب الفريقين الصّينيّ والرّوسيّ من بعضهما في المنطقة؟ أم أنّها ستكون سببًا لشرخٍ إضافيّ بينهما؟ وماذا عن علاقة الولايات المتّحدة بكلّ منهما؟ بالتّالي، أين تلتقي جيواستراتيجيّات هذه

[3] علي أحمد هارون، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، الطّبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة – مصر، 2007، ص. 16

الدّول وأين تتضارب، وهل سيتمّ تحقيق التّوازن على المستوى العالميّ ضمن إطار التّنافس الملحوظ؟ هذا ما سوف تعالجه سطور هذه الرّسالة.

الصّعوبات التّي واجهت معالجة الموضوع:

لا شكّ في أنّ المقاربة المطروحة لمعالجة هذا الموضوع إستجلبت بعض الصّعوبات، خاصّة وأنّه لم يُعالج بهذا الشّكل سابقًا، وبالتّالي توجّب عليّ الحصول على كمّ هائل من المراجع المختلفة حتّى تمكّنت من تقديم بحثٍ واسعٍ وشاملٍ مجمل التّفاصيل المطلوبة للإلمام بكافّة جوانب الموضوع وإعطاء كلٍّ منها حقّه الكامل، بالإضافة إلى أنّ صعوبةً أخرى اعترضت طريقي وهي أنّ العدد الأكبر من المراجع المتوفّرة صدر باللّغتين الصّينيّة والرّوسيّة اللّتين تصعب عليّ ترجمتهما بدقّة.

المنهج المتّبع في الدّراسة:

إنطلاقًا ممّا تقدّم، ولمعالجة الإشكاليّة المطروحة، وفي محاولةٍ للإجابة على الفرضيّات التّي رافقتها، كان من الأنسب اعتماد المنهج الوصفي – التّحليليّ المضمّخ بالمقارنة وذلك بما يتلاءم مع المخطّط الموضوع للمعالجة، والذي بدوره انقسم إلى قسمين، كلّ منهما جاء في فصلين أيضًا، وانقسمت هذه الفصول بدورها إلى ثلاث فقراتٍ متجانسة في الشّكل ومترابطة في المضمون.

أقسام الرّسالة:

القسم الأوّل من هذه المعالجة حمل عنوان: مكانة آسيا الوسطى في نظريّات الجيوبوليتيك، وانقسم إلى فصلين؛ الأوّل قدّم لمحة عن نظريّات الجيوبوليتيك في ثلاث فقرات قاربت بالتّتالي نظريّات ماكيندر، سبيكمان، وبريجنسكي بشكلٍ منفصل. أمّا الفصل الثّاني فقد أوضح جيوبوليتيك منطقة آسيا الوسطى عن طريق فقراته الثّلاث التّي قدّمت بدورها مكانة آسيا الوسطى في نظريّة ماكيندر في فقرة أولى، مكانة آسيا الوسطى في نظريّة سبيكمان في فقرة ثانية، ومكانة آسيا الوسطى في نظريّة بريجنسكي في فقرة ثالثة ختاميّة.

هذا في ما يتعلّق بالقسم الأوّل، أمّا القسم الثّاني الذّي حمل عنوان: جيواستراتيجيا الدّول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى، فقد جاء تقسيمه مشابهًا للذّي سبقه، فأتى فصله الأوّل معالجًا المصالح الجيوبوليتيكيّة للدّول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى، ومنقسمًا إلى ثلاث فقرات، الأولى مختصّة بالمصالح الجيوبوليتيكيّة لروسيا الإتّحاديّة في منطقة آسيا الوسطى، والثّانية مختصّة بتلك الصّينيّة فيها، والثّالثة بالأميركيّة. أمّا

الفصل الثّاني فهدف إلى معالجة الإدارة الاستراتيجيّة لتلك المصالح الجيوبوليتيكيّة للدّول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى، حيث انقسم بدوره إلى ثلاث فقرات أيضًا، عالجت الأولى الإدارة الاستراتيجيّة الرّوسيّة لمصالحها الجيوبوليتيكيّة في منطقة آسيا الوسطى، والثّانية تولّت أمر معالجة الإدارة الاستراتيجيّة الصّينيّة لمصالحها الجيوبوليتيكيّة فيها، أمّا الفقرة الثّالثة والأخيرة فقد عالجت الإدارة الأميركيّة النّظيرة لمصالحها في المنطقة نفسها.

وفي نهاية الدّراسة وردت خاتمة استنتاجيّة، استُخلصَتْ فيها الإجابات عن الإشكاليّة المطروحة وفرضيّاتها المرتبطة فيها، بالإضافة إلى أنّه تمّت فيها المقارنة بين جيواستراتيجيّات الدّول الكبرى لتبيان التّهديدات التّي واجهتها وستواجهها أثناء التّطبيق والفرص التّي ساعدتها وستساعدها عليه، كما وأنّها عرضت الثّغر في كلّ جيواستراتيجية وقدّمت مقترحات لإزالتها، كما عرضت أفقًا جديدًا لمعالجة مستقبليّة محتملة، تنطلق من المحور الحالي عينه، موسّعة إطاره ومداه...

القِسْمُ الأوَّل:

مَكَانَـة آسيـا الوُسـطى في نَظَـريَّـات الجيوبوليتيك

قبل الولوج في تفاصيل مراحل الدّراسة هذه، لا بدّ من تسليط الضّوء أوّلًا على مفهوم الجيوبوليتيك، ومقارنته بالجغرافية السّياسيّة ولو بشكلٍ سريعٍ وموجز، لاستباق أيّ إمكانيّة التباس ضمنيّ أو تضارب ممكن في المفاهيم... فالجغرافيا السّياسيّة تعكس بالأساس الواقع الثّابت للدّولة موضوع الدّراسة إنطلاقًا من العناصر التّي تحدّد مدى قوّتها من أرض وموقع جغرافيّ وشعب وموارد طبيعيّة، إلى ما هنالك... أمّا الجيوبوليتيك فهو ليس بعامل ثابت، بل متغيّر يرتبط بكيفيّة توظيف تلك العناصر المذكورة في السّياسات الخارجيّة للدّول بشكلٍ خاص، والعلاقات الدّوليّة بشكلٍ عام.

فالجغرافيا السّياسيّة تعتبر العلم الذّي يقوم بدراسة العلاقة القائمة بين الإنسان وبيئته، كما تدرس "الوحدات السّياسيّة على أنّها وحدة ذات شخصيّة وسمات اقتصاديّة واجتماعيّة لها نظام سياسيّ"،[1] وبالتّالي فهي تقدّم معطًى ثابتًا لكلّ دولة من الدّول... فالعديد من التّعريفات طالت مفهوم الجغرافيا السّياسيّة – الذّي ظهر لأوّل مرّة في كتاب "الجغرافيا السّياسيّة" للعالم الجغرافي الألماني (F. Ratzel) فريديريك راتزل[2] عام ١٨٩٧ – نورد بعضًا منها في ما يلي:[3]

- في كتابه "الجغرافيا خلف السّياسة" "Geography Behind Politics" رأى (A. E. Moodie) موودي أنّ الجغرافيا السّياسيّة هي "تحليل العلاقات بين البيئة والدّولة من الوجهة السّياسيّة"؛
- أمّا في كتاب "الجغرافيا السّياسيّة" "Political Geography" لـ (Norman Pounds) نورمن بوندز، فالجغارفيا السّياسيّة هي "العلم الذّي يهتمّ بالدّولة أو الإقليم المنظّم تنظيمًا سياسيًا من حيث الوظيفة والموارد والمساحة وعوامل أو أسباب تكوينها"؛

---

[1] خليل حسين، **الجغرافيا السّياسيّة – دراسة الأقاليم البرّيّة والبحريّة والدّول وأثر النّظام العالميّ في متغيّراتها**، الطّبعة الأولى، دار المنهل اللّبنانيّ، بيروت – لبنان، 2009، ص. 23

[2] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، جمهوريّة مصر العربيّة، 2012، ص. 45

[3] المرجع أعلاه، ص. 29

- فيما كتاب "أساس الجغرافيا السّياسيّة" لصاحبه (Kasperson) كاسبرسن، فأوضح أنّ الجغرافيا السّياسيّة هي "التّحليل المكانيّ للظّاهرة السّياسيّة".

في المقابل فإنّ الجيوبوليتيك يختلف عن الجغرافيا السّياسيّة، فهو جمع ما بين الجغرافيا والسّياسة في مفهومٍ واحد، ويُعنى بـ"الدّراسة الجغرافيّة للدّولة وسياستها الخارجيّة". [1] وظهر هذا المفهوم لأوّل مرّة بشكلٍ واضح مع العالم والمؤرّخ السّياسيّ السّويديّ (Rudolph Kjellen) رودلف كيلين في كتابَيه "الدّولة كمظهر من مظاهر الحياة" (١٩١٧) و"الأسس اللّازمة لقيام نظام سياسيّ" (١٩٢٠)، علمًا أنّ فضل ابتداع هذا المفهوم يعود إلى كتابات راتزل التي استوحى كيلين منها، وفضل تطبيقه اللّاحق يعود إلى مؤسّس الجيوبوليتيكا الألمانيّة (Karl Haushoufer) كارل هاوسهوفر.[2] أمّا التّعاريف الأساسيّة التّي طالت هذا المفهوم فهي:

- برأي كيلين، فإنّه يجب تسخير الجغرافيا لتكون في خدمة الدّولة، وبذلك تتحوّل الجغرافيا إلى جيوبوليتيك.[3]
- أمّا هاوسهوفر فقد عرّف الجيوبوليتيك بأنّه دراسة لعلاقات الأرض ذات الآثار السّياسيّة؛ فهو بالنّسبة له يمنح أفضليّة النّموّ والتّوسّع للدّولة القويّة على حساب تلك الضّعيفة، على أن يقع على عاتق تلك الدّولة أن تحدّد المساحة التّي ستتوسّع عليها بالشّكل الذّي يكفي سكّانها، معتبرًا أنّ الجيوبوليتيك يدرس تلك المساحة من وجهة نظر الدّولة.[4]

كثرت التّعريفات التّي تناولت مفهوم الجيوبوليتيك، كما كثرت التّعديلات التّي أدخلت عليها فيما بعد، لكن يمكن القول أنّ الجيوبوليتيك علمٌ سياسيٌّ بحدّ ذاته يقوم بدراسة الأوضاع العامّة للدّول ويستمدّ جذوره من الجغرافيا السّياسيّة مستفيدًا منها لخدمة مخطّطات الدّول الاستراتيجيّة المندرجة تحت عنوان كبير ألا وهو السّيادة العالميّة.[5]

---

[1] علي أحمد هارون، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 31

[2] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق ص. ص. 66 – 67

[3] علي أحمد هارون، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 36

[4] المرجع أعلاه، ص. 42

[5] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 82

وقبل ترك المجال للدّخول في صلب معالجة هذا الفصل، كان من الجدير القيام بمقاربة تُقارن فيها بشكلٍ سريع الفوارق بين الجغرافيا السّياسيّة والجيوبوليتيك لتكون الصّورة واضحة وجليّة:[1]

- الجغرافيا السّياسيّة تدرس الكيان الجغرافيّ للدّولة كما هو، بينما يقوم الجيوبوليتيك برسم خطط مستقبليّة لما يجب أن تكون عليه الدّولة؛
- تميل الجغرافيا السّياسيّة إلى الثّبات، بينما يتّسم الجيوبوليتيك بالتّطوّر والحركة. فالأولى تقدّم صورة الدّولة فقط، بينما الثّانية تجعل جغرافيا الدّولة ومقوّماتها وحقائقها في خدمة سياسة هذه الدّولة.

باختصار، إنّ الجغرافيا السّياسيّة تعكس واقع الدّولة الرّاهن، فهي مرآة هذه الدّولة،[2] أمّا الجيوبوليتيك فيسعى إلى تحسين صورة هذه الدّولة وزيادة نقاط قوّتها على السّاحة الدّوليّة.

وفي ما يختصّ بهذا القسم، فهو سوف يعرض نظريّات الجيوبوليتيك الأكثر رواجًا لكلّ من ماكيندر، سبيكمان، وبريجينسكي، وذلك في الفصل الأوّل. أمّا الفصل الثّاني فسوف يشير إلى مكانة منطقة آسيا الوسطى في نظريّات الجيوبوليتيك الثّلاث السّابقة الذّكر...

وصف (Zbigniew Brzezinski) زبيغنيو بريجنكسي قارّة أوراسيا بـ "رقعة الشّطرنج التّي تدور عليها المعركة المستمرّة من أجل الحصول على الزّعامة السّياسيّة العالميّة"،[3] كما أنّ أدولف هتلر وجوزيف ستالين وصفاها في العام ١٩٤٠ بأنّها مركز العالم، وبأنّ من يسيطر عليها يسيطر على العالم أجمع، وتوافقا جرّاء ذلك على إبعاد الولايات المتّحدة الأميركيّة عنها حينذاك، مخافة من تولّيها السّيطرة على العالم كلّه بعد فرض سيطرتها عليها[4]... هذا غيضٌ من فيض ما قيل في خصوص القارّة الأوراسيّة، لكن ماذا عن الجزء الجنوبي الغربيّ من رقعة الشّطرنج هذه؟ أي ماذا عن منطقة آسيا الوسطى؟ ما قيمتها الجيوبوليتيكيّة في نظر اللّاعبين الدّوليّين الكبار والباحثين الاستراتيجيّين الكبار؟ هذا ما سوف يعالجه فصلَي هذا القسم بإسهاب.

---

[1] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 82

[2] المرجع أعلاه، ص. ص. 82 – 83

[3] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، ترجمة: أمل الشّرقي، الطّبعة العربيّة الثالثة، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2012، ص. 12

[4] المرجع أعلاه.

الفَصْلُ الأوَّل:
لَمْحَـةٌ عَن نَظَـرِيَّـات الجيوبوليتيـك

لقد بات الجيوبوليتيك اليوم علمًا رائجًا ترتكز عليه الدّول في إعداد معظم استراتيجيّاتها وسياساتها الخارجيّة، فخرجت إلى العلن نظريّات عديدة ومتنوّعة المراجع، تقوم برسم تصوّرات سياسيّة مستقبليّة تختلف بحسب وجهات النّظر والتّوجّهات الإيديولوجيّة للدّول على ضوء تفاعل أماكن محدّدة من العالم للسّيطرة على المساحة الأكبر منه.

هذا العلم يشابه في الحقيقة الخطط الإقتصاديّة أو التّنمويّة في أيّامنا الرّاهنة[1]، وذلك بهدف تكوين فكرة شاملة عن قوّة الدّولة البريّة والبحريّة والجويّة والمكانة التّي يمكن أن تحتلّها في مضامين السّياسات العالميّة والدّور الذّي يمكن أن تؤدّيه، والمكسب المحتمل من السّيطرة عليها إن كانت من الدّول النّامية... من هنا ارتأينا أن يكون الفصل الأوّل من هذه الدّراسة مخصّصًا لتسليط الضّوء على ثلاثة من أهمّ نظريّات الجيوبوليتيك وأدقّها وأكثرها رواجًا في العالم، نظريّات ماكيندر، سبيكمان، وبريجنسكي.

أطلق (Halford Mackinder) هالفورد ماكيندر، الجيوبوليتيكيّ البريطانيّ تسمية "قلب الأرض" Heart Land على نظريّته التّي قدّمها في محاضرةٍ له ألقاها أمام الجمعيّة الجغرافيّة الملكيّة في لندن عام ١٩٠٤، وحملت عنوان "نقطة الإرتكاز الجغرافي للتّاريخ" أي بمعنى آخر، المحور الجغرافيّ له.

أمّا (Nicholas Spykman) نيكولاس سبيكمان الأميركيّ، فقد جاءت نظريّته والتّي حملت عنوان "حافّة الأرض" أو "نظريّة الأطراف" Rimland Theory، مؤيّدة لجزءٍ من نظريّة ماكيندر ومعارضة لجزءٍ آخر منها، فقدّم إعادة صياغة جديدة لمكوّنات النّظريّة الأخيرة.

ومن جهته كان (Zbigniew Brzezinski) زبيغنيو بريجنسكي، مستشار الأمن القوميّ الأميركيّ (للرّئيس كارتر) عام ١٩٧٦ وأحد أهمّ وجوه النّخبة في الولايات المتّحدة الأميركيّة، قد اعتبر آسيا الوسطى بأنّها المحور الجيوبوليتيكيّ للقارّة الآسيويّة، وذلك في نظريّته، "نظريّة المساحة الوسطيّة"، التّي أوردها في كتابه "رقعة الشّطرنج الكبرى".

---

[1] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 11

جاء اختيارنا لنظريّات هؤلاء الجيوبوليتيكيّين الثّلاث دون سواهم نظرًا لأنّها شملت مختلف أبعاد العلاقات الدّوليّة ومختلف اللّاعبين الدّوليّين فكانت نظرتهم شاملة غير محدودة ببقعة جغرافيّة أو بدولة معيّنة، على عكس النّظريّات والمقاربات الأخرى التّي قدّمها رودلف كيلين، فريديرك راتزل وكارل هاوسهوفر وغيرهم.

فمن أشهر أقوال فريديريك راتزل قوله بأنه: "يوجد على هذا الكوكب مكان كافٍ لدولة عظيمةٍ واحدة فقط"[1] وكان يقصد بذلك الإشارة إلى الدّولة الألمانيّة التّي كانت آنذاك تسعى إلى التّوسّع وخاضت مجموعة من الحروب أيضًا إنطلاقًا من هذا القول.

إلّا أنّ واقع الحال اليوم يشير إلى صعود عدد كبير من الدّول على سلّم العالميّة، فلم تعد حتّى الولايات المتّحدة الأميركيّة هي القوّة العظمى الوحيدة في هذا العالم، فظهر على السّاحة منافسون أشدّاء لها، يسعون بكلّ ما لهم من قوّة إلى إحراز أهداف استراتيجيّة تصبّ في المدى البعيد في خدمة هدفهم الأساس والمشترك ألا وهو السّيادة العالميّة.

من هنا كان من المفيد عدم اللّجوء إلى معالجة نظريّات الجيوبوليتيك الألمانيّ لخروجها عن موضوع الدّراسة؛ فتم اختيار النّظريّات المذكورة لارتباطها الوثيق بالإشكاليّة المطروحة والفرضيّات المرافقة لها.

وللتعمّق أكثر في هذه النّظريّات الثّلاث، كان هذا الفصل الأوّل.

---

[1] علي أحمد هارون، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 35

الفَقَـرَةُ الأُولَـى:

نَظَرِيَّــة هالفـورد ماكينـدر Halford Mackinder Theory

هالفورد ماكيندر (١٨٦١ – ١٩٤٧) أشهر جيوبوليتيكيّ على الإطلاق بشهادة مؤسّس معهد ميونخ للجيوبوليتيكا (Karl Haushofer) كارل هاوسهوفر، بريطانيّ الجنسيّة، تولّى وظيفة أوّل أستاذ للجغرافيا في جامعة أكسفورد وهو في سنّ السّادسة والعشرين[1]. إلّا أنّ شهرته كانت قد ذاعت بعد المحاضرة التّي ألقاها أمام عددٍ كبير من البّحاثة والاستراتيجيّين في الجمعيّة الملكيّة للجغرافيا في لندن عام ١٩٠٤ والتّي حملَت عنوان "محور الإرتكاز الجغرافيّ للتّاريخ" **The Geographical Pivot of History** [2].

أ- الصياغة الأولى: نظريّة المنطقة المحوريّة – Pivot Area Theory

محاضرة "محور الإرتكاز الجغرافيّ للتّاريخ" تلك كانت قد أفصحت عن نظريّة جيوبوليتيكيّة شهيرة شغلت فيها منطقة آسيا الوسطى حيّزًا كبيرًا من فكر ماكيندر الجيوبوليتيكيّ؛ دُعيَت هذه النظريّة، ، فيما بعد، أي بعد ما أدخل جملة من التّعديلات إليها، بنظريّة "قلب الأرض" **Heart Land Theory**.

مّما جاء في تلك المحاضرة توضيح ماكيندر أنّ المنطقة المحوريّة للعالم تقدّر مساحتها بـ 4.25 مليون ميل مربّع، وهي تمتدّ من حوض نهر لينا شرقًا (في سيبيريا – روسيا) إلى حوض نهر الفولجا غربًا (مصبّه في بحر قزوين)، ومن القطب الشّمالي إلى جبال الهملايا والقوقاز جنوبًا. بالإضافة إلى أنّه يُحيط بها "هلال داخليّ" كما أسماه، يتألّف من أوروبّا ومن المناطق السّاحليّة لآسيا والتّي تصل إلى منطقة البحر الأبيض المتوسّط. وبعد هذا الهلال الدّاخليّ يأتي الهلال الخارجيّ ليطوّقه، وهو يتكوّن من إفريقيا، الأميركيّتيّن، أستراليا، وباقي الأجزاء، دائمًا بحسب ماكيندر.[3] (أنظر خارطة رقم ١ في الصّفحة ١٢)

---

[1] Gerald Roe Crone, **Halford Mackinder, British Political Geographer**, Encyclopaedia Britannica, 20 July 1998: https://www.britannica.com/biography/Halford-Mackinder#ref257953 (Accessed on 22/02/2018)

[2] Halford J. Mackinder, **The Geographical Pivot Of History (1904)**, The Geographical Journal, Vol. 23, No. 4, The Royal Geographical Society, London, April 1904, p. 421

[3] Ibid, p. 429

اعتبر ماكيندر أنّ هذه المنطقة هي منطقة محوريّة ومهمّة استراتيجيًّا بحيث كان لها أثرًا كبيرًا في تفاعلات العلاقات بين الدّول، على امتداد كافّة المراحل التّاريخيّة؛ بالإضافة إلى أنّها كانت العماد الجغرافي، أو "نقطة الإرتكاز الجغرافي" كما أسماها لتأسيس الإمبراطوريّات القديمة ونشأتها.[1] لذا شهدت هذه المنطقة على أقصى حالات الاستبداد والتّسلّط من قبل الشّعوب والأنظمة التّي اعتدت على أوروبّا في غابر الزّمان... وضمن هذا السّياق قال ماكيندر إنّه لا يمكن لهذه المنطقة أن تُهاجَم من القوّة البحريّة المعادية لها إلّا من الجهّة الغربيّة فقط، فبإمكان هذه الأخيرة أن تأتي من بحر قزوين والبحر الأسود[2]...

أمّا بالنّسبة لما إذا كان بالإمكان القيام بهجوم بريّ عليها، فكان ماكيندر قد أوضح أنّه ليس هناك من طريقٍ برّيّ مباشرٍ إليها إلّا من الجانب الغربيّ بين سلسة جبال كاربات **Carpates** في أوروبا الوسطى، وهو المنفذ البرّي الوحيد إليها الذّي يمكن أن تُقام منه الهجومات عليها[3]... إلى ذلك كانت فرضيّة ماكيندر حينها تقول بأنّ:

"من يتحكّم بالمنطقة المركزيّة يتحكّم بالجزيرة العالميّة،

ومن يتحكّم بالجزيرة العالميّة، يتحكّم بالعالم بأسره".

"Who rules the Pivot Area, commands the World – Island;

Who commands the World – Island, commands the World." [4]

---

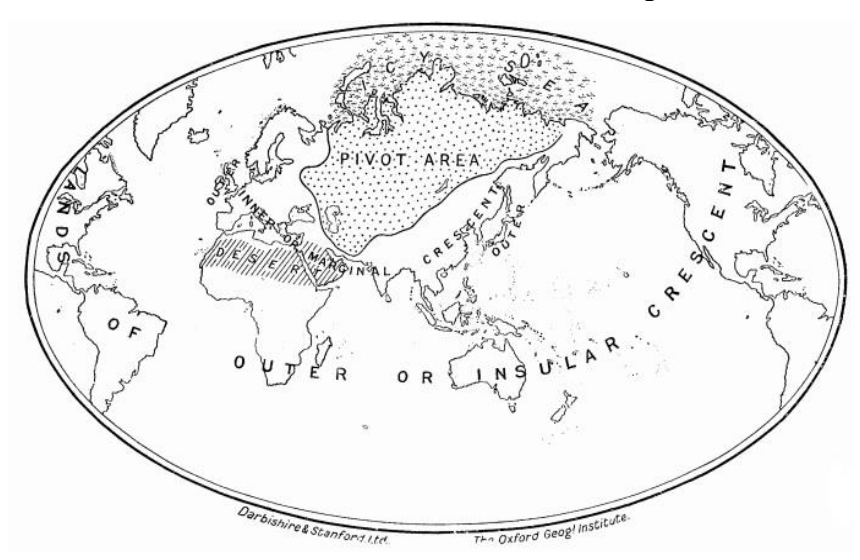
[1] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، المجلّة الجزائريّة للدّراسات السّياسيّة، العدد السّادس، الجزائر، كانون الأوّل 2016، ص. 103

[2] Halford J. Mackinder, **The Geographical Pivot Of History (1904)**, op – cit, p. 424

[3] Idem

[4] **النّظريّة الجيوسياسيّة**، منشورة في "موسوعة الدّراسات الإستراتيجيّة" – قسم الجيوسياسة وعلم الجغرافيا السّياسيّة، الموسوعة الجزائريّة للدّراسات السّياسيّة والاستراتيجيّة، الجزائر، 26 – كانون الأوّل – 2016:
https://www.politics-dz.com/threads/alnzri-algiusiasi.5981

علمًا أنّ الجزيرة العالميّة برأيه كانت مؤلّفة من تلك الحلقة المتّصلة من اليابسة، وهي آسيا، أوروبّا وأفريقيا، وهي تكوّن ثلثي مساحة اليابسة على الكرة الأرضيّة.[1]



خارطة رقم 1: تظهر المنطقة المحوريّة لدى ماكيندر[2]

ب–الصياغة الثّانية: نظريّة قلب الأرض – Heartland Theory

إلّا أنّ ماكيندر عاد وطوّر نظريّته عقب الحرب العالميّة الأولى عام ١٩١٩ بسبب الإضطراب الأيديولوجي والجيوسياسي النّاتج عن الثّورة البولشيفيّة، في كتابه الذّي نُشر في لندن و نيويورك "المُثل الدّيمقراطيّة والواقع" **"Democratic Ideals and Reality"** حيث قام باستبدال عبارة "المنطقة المحوريّة" أو "منطقة المركز" **Pivot Area** بمصطلح منطقة القلب **Heartland**،[3] ولكن هذا التطوّر لم يقتصر على تبديل المصطلحات فقط، فقد وسّع ماكيندر حدود المنطقة المحوريّة نحو الغرب، فشملت نطاقًا من اسكندنافيا وجزيرة غوتلاند في السّويد، وامتدّ هذا التّوسّع إلى وسط أوروبا بمحاذاة جبال دالماسي في يوغسلافيا، وإلى الدردنيل في تركيا، بالإضافة إلى آسيا الصّغرى بمعظمها. وبهذا تكون منطقة قلب العالم الجديدة قد ضمّت أوروبا الشّرقيّة كاملة وحوض بحر البلطيق، وحوضَي نهرَي لينا وينيسّي في سيبيريا الغربيّة

[1] Halford J. Mackinder, **Democratic Ideals and Reality**, Constable and Company LTD, London, 1919, p. 90

[2] Halford J. Mackinder, **The Geographical Pivot Of History (1904)**, op – cit, p.435

[3] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

بالإضافة إلى آسيا السّوفياتيّة المعروفة اليوم بآسيا الوسطى (موضوع الدّراسة).[1] (أنظر خارطة رقم ٢ في الصّفحة ١٣).



خارطة رقم 2: تظهر التطوّر الحاصل في نظريّة ماكيندر في العام ١٩١٩[2]

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ هالفورد ماكيندر كان أوّل استراتيجيّ يربط بين المساحة الضّخمة لبقعة جغرافيّة وموقعها المكانيّ في جزءٍ من قارّة واحدة، مانحًا إيّاها المكانة الأهمّ والأولى في العالم...[3]

من خلال نظريّته هذه، أراد ماكيندر توضيح فكرة أنّ قلب القارّة الأوراسيّة أو الجزء الدّاخليّ منها هو مركز العالم من النّاحية السّياسيّة؛ كما وأراد التّنبيه إلى أنّ حكم قلب أكبر كتلة جغرافيّة على الأرض يمكنه أن يشكّل الأساس الذّي تُبنى عليه السّيطرة والسّيادة العالميّتين.[4] ومن ناحية أخرى أفاد ماكيندر بأنّ القوّة التّي سوف تحكم قلب العالم المذكور – أكانت روسيا أم ألمانيا أم الصّين – ستتمكّن من منافسة الدّول البحريّة بقوّة، وصولًا إلى إحتمال التّغلّب عليها.[5]

السّبب الواضح الذّي دفع ماكيندر لإعادة النّظر في موضوع نظريّته الأساسيّة كان الإضطراب الذّي حصل جرّاء الحرب العالميّة الأولى، إلّا أنّ السّبب الضمني يعود إلى أنّ الإتحاد السّوفياتي حينها ظهر

---

[1] Halford J. Mackinder, **Democratic Ideals and Reality**, op – cit, p.p. 95 –96

[2] Central Asia and Central Caucasus Press Website: www.ca–c.org

[3] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 61

[4] المرجع أعلاه، ص. 62

[5] المرجع أعلاه.

كقوّة قاريّة تعمل على التّوسّع والامتداد نحو المياه الدّافئة وأوروبا الشّرقيّة بهدف السّيطرة على مجمل القارّة الأوراسيّة وطرد كافّة القوى البحريّة المعادية المسيطرة عليها.[1]

لم يقف ماكيندر عند هذا الحدّ في كتابه السّابق الذّكر، إلّا أنّه أشار أيضًا إلى بعض الأقاليم التّي تقارب بأهمّيتها الاستراتيجيّة أهميّة منطقة القلب، خاصّة تلك البلدان التّي تطلّ على المحيط الأطلسيّ من الجهتين والتّي تشكّل ما يُسمّى بإقليم الأطلسيّ الشّماليّ. تعود أهميّة هذه البلدان إلى أنّها تشكّل بمجموعها وحدة متكاملة على السّاحة الدّوليّة، إذ أنّ المحيط الأطلسيّ يربط بواقعه بين أوروبا الغربيّة وأميركا الشمالية والوسطى بالإضافة إلى شمال غرب إفريقيا؛ فيكون لهذا الإقليم بناءً على ما تقدّم أهميّة كبرى في مواجهة منطقة القلب.[2]

أصبحت نظريّة ماكيندر بعد التّعديل الذي طرأ عليها على الشّكل التّالي:

"من يتحكّم بأوروبّا الشرقيّة يُسيطر على قلب العالم،

ومن يُسيطر على قلب العالم يتّحكم في جزيرة العالم،

ومن يتحكّم في جزيرة العالم يتحكّم بالعالم بأسره"

"Who rules East Europe, commands the Heartland,

Who rules the Heartland, commands the World Island,

Who rules the World Island, commands the World" [3]

ت–الصياغة الثالثة والأخيرة: القوى البرّية مفتاح السّيطرة على قلب العالم

ومع أنّ موضوع منطقة القلب كان شديد الأهمّية على مختلف الأصعدة السّياسيّة والإقتصاديّة، حتّى أنّ تطبيق النّظريّة المرتبطة به على أرض الواقع ساعد في فهم الأحداث التّاريخيّة حينها، إلّا أنّ قلّة عدد السّكان في هذه المنطقة وغياب وجود قوّة عسكريّة خاصّة بها عاد وقلّل من أهمّيتها.[1]

---

[1] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

[2] Halford J. Mackinder, **Democratic Ideals and Reality**, op – cit, p. 143

[3] Ibid, p. 194

لذا وجد ماكيندر نفسه مضطرًّا إلى أن يعود ويُدخل تعديلًا جديدًا على نظريّة الرّقعة الجغرافيّة لمنطقة القلب هذه إبّان الحرب العالميّة الثّانية عام ١٩٤٣ وذلك كان نتيجة ما عرفه من معلومات عن مجريات المعارك العسكريّة الحاصلة في تلك الحرب؛ بما أنّ الاتّحاد السّوفياتي حينها قدّم تقاريرًا عن تزايد قابليّته الدّفاعيّة في وجه قوّات ألمانيا النّازية؛ والولايات المتّحدة الأميركيّة بدورها كانت قد أحرزت تقدّمًا ملحوظًا في قوّتها، بالإضافة إلى ما حقّقته القوّة الجويّة في تلك الفترة من أهمّية في السّيطرة على مناطق كانت قد تمّت السّيطرة عليه سابقًا من قبل القوّة البحريّة.[2] إضافةً إلى أنّ الاتّحاد السّوفياتيّ حينها والولايات المتّحدة الأميركيّة وبريطانيا كانوا قد أقاموا حلفًا قصير الأجل وطرحوا منطقة القلب كمحيط أوسطيّ للسّيطرة على الخطر الألمانيّ ومحاصرته[3]. كلّ هذه الأسباب السّابقة الذّكر أدّت إلى التّعديل الأخير في نظريّته. وفي بحثٍ له حمل عنوان **"The Round World and The Winning of The Peace"** نُشر في مجلّة الشّؤون الخارجيّة **Foreign Affairs**، في العام نفسه، عدّل من نظريّته بعدما وجد أنّ الدّولة الألمانيّة التّي تمتلك أصلًا أكبر أسطول برّي منظّم وتحتلّ الموقع المركزيّ الاستراتيجيّ في أوروبّا كانت في طور إضافة قوى بحريّة على أسطولها العسكريّ بما يكفي لتحييد القوى البحريّة البريطانيّة. بالإضافة إلى أنّ رتبة الولايات المتّحدة الأميركيّة كانت حينها ترتفع طرديًا لتصل إلى رتبة دولة عظمة، **Great Power**"[4].

في تعديله هذا، جعل من الولايات المتّحدة الأميركيّة – بعد بروزها كقوّة عظمى على السّاحة الدّوليّة – ركنًا أساسيًّا في نظريّته، لأنّه برأيه "لو خرج السّوفيات من الحرب العالميّة منتصرين سيُصبحون أعظم قوّة بحريّة في العالم... واعتبر أنّ عهد الدّول البحريّة قد انتهى، وأنّ السّيادة ستكون للدّول البرّية"، فاستخدام الطّرق البحريّة بحسبه لا يتمّ إلّا تحت إشراف الدّول البرّيّة.[5]

---

[1] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 63

[2] Halford J. Mackinder, **The Round World and the Winning of the Peace**, Foreign Affairs Magazine, Vol. 21, No. 4, New York – USA, July, 1943, p.p. 596 – 598 https://www.foreignaffairs.com/articles/1943-07-01/round-world-and-winning-peace

[3] علي أحمد هارون، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 328

[4] Halford J. Mackinder, **The Round World and the Winning of the Peace**, op – cit

[5] Idem

فبرأيه إنّ القوى العالميّة لا تعتمد في موقفها السّياسيّ على الموقع الجغرافيّ لمنطقة قلب الأرض فقط، إنّما للتقدّم التّكنولوجيّ والعلميّ والتّطوّر الصّناعيّ دورًا كبيرًا جدّا في بلورته. ولهذا السّبب أطلق مصطلح "الحوض الأوسط" الجديد للدّلالة على شمال محيط الأطلسيّ وشرق الولايات المتّحدة الأميركيّة وغرب أوروبا؛ وأشار إلى أنّ منطقة الرّايخ الألمانيّ هي الفاصل بين منطقة قلب العالم ومنطقة الحوض الأوسط.[1]

من هنا يمكن الاستنتاج أنّ ماكيندر كان قد وضع نظريّته من وجهة نظره كباحث إنكليزيّ كان يودّ أن يلفت نظر سلطة دولته إلى إمكانيّة ظهور قوّة عالميّة بريّة جديدة لا يمكن للبريطانيّين منافستها بالأسطول البحريّ الذّي يمتلكون...

ث- تأييد وانتقاد النّظريّة:

وقد نالت نظريّة ماكيندر تأييدًا واسعًا خاصّة بعد انتهاء الحرب العالميّة الثّانية التّي وقع فيها صراعٌ ألمانيّ روسيّ كان قد توقّعه ماكيندر في دراساته ومقالاته وكتبه حول هذه النّظريّة، وانتهى هذا الصّراع بانتصار الاتّحاد السّوفياتيّ وسيطرته على اوروبا الشّرقيّة، ليتحوّل بذلك إلى قوة عظمى **Great Power** على الأرض.[2] ويرى ماكيندر أنّه في الحربين العالميّتين الأولى والثّانية كانت للقوّات الألمانيّة محاولات حثيثة بأن تخضع روسيا لسيطرتها وبالتّالي أن تسيطر على منطقة القلب،[3] منطقة التّنافس الاستراتيجيّ الدّوليّ العام.

وفي الختام لا يمكن أن نغفل عن الانتقادات العديدة التّي تعرّضت لها هذه النّظريّة بمقابل التّأييد والقبول الواسع لها... فقد رأى البعض أنّ ماكيندر كان قد أهمل العامل السّكانيّ والموارد البشريّة باختياره منطقة القلب لكي تكون المنطقة المركزيّة أو المحوريّة في العالم، بما أنّها أقلّ كثافة سكّانيّة من المناطق المجاورة لها، هذا من ناحية، أمّا من ناحية ثانية فقد تمّ الاعتراض على أنّه قد أهمل الموارد الماديّة الطّبيعيّة كذلك الأمر، وأشار هذا الاعتراض أنّ النّفط يشكّل أهمّ هذه الموارد اليوم وهو موجود في منطقة الشّرق الأوسط بنسبة أعلى من تلك الموجودة في المنطقة التّي اعتبرها ماكيندر منطقة القلب. أمّا الانتقاد الثالث

---

[1] Halford J. Mackinder, **The Round World and the Winning of the Peace**, op – cit, p. 604

[2] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 65

[3] Halford J. Mackinder, **The Round World and the Winning of the Peace**, op – cit, p. 598

والأخير فيتعلّق بإهمال ماكيندر لدور القوّة الجويّة إذ ركّز على القوّة البريّة معتبرًا أنّ لها منفذ وحيد إلى منطقة القلب أمّا القوّة البحريّة فيتعذّر عليها الوصول إليها نظرًا لإحاطتها بالمياه غير الدّافئة، لكنّه أغفل دور القوّة الجويّة الذّي بإمكانه إضعاف الحصانة الطّبيعيّة التّي تتّصف بها منطقة القلب في نظريّته.[1]

[1] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص.ص. 65 – 66

الـفَقَـرَةُ الثّانيـة:

نَظَرِيَّــة نيكولاس سبيكمان Nicholas Spykman Theory

نيكولاس سبيكمان (١٨٩٣ – ١٩٤٣)، أب علم الإحتواء– كما راج لقبه – هو عالم سياسيّ وجيواستراتيجيّ أميركيّ هولنديّ، يُعتبَر أحد أهمّ مؤسّسي المدرسة الواقعيّة الأميركيّة. شغلَ منصب أستاذ العلاقات الدّوليّة حيث قام بتدريسها في معهد يال Yale للعلاقات الدّوليّة في الولايات المتّحدة الأميركيّة الذّي تولّى إدارته. كما عُرف باهتمامه الشّديد بالفكر السّياسيّ لأوروبّا الشّرقيّة.[1]

أ– أصل نظريّة سبيكمان: أفكار ماهان وماكيندر

يُعتبر نيكولاس سبيكمان خليفة المؤرّخ والاستراتيجيّ البحريّ (Alfred Mahan) ألفرد ماهان الذّي أظهر اهتمامه الكبير بالجيوبوليتيك مع أنّه لم يكن جغرافيًّا؛ كان قائدًا بحريًّا وتناول في دراساته الموقع الجغرافيّ وعلاقته بالسّيطرة البحريّة وأثره على نموّها[2]... ما ميّز ماهان كان أنّه تناول العالم كلّه بنظرته الجيوبوليتيكيّة[3]، على عكس منظّري الجيوبوليتيك الألماني أمثال راتزل، كيلين، وهاوسهوفر، الذّين أخذوا ألمانيا كمحور وسعوا إلى توسيع "مجالها الحيويّ" لبسط سيطرتها على العالم أجمع كقوّة عظمى وحيدة بنظرهم كما سبق وأشرنا في مقدّمة هذا الفصل.

ففي كتابه المنشور عام ١٩٠٠ والذّي حمل عنوان "مشكلات آسيا"، رأى ماهان أنّ قارّات العالم الشّمالي هي مفتاح باب السّيطرة على العالم، وأنّ قناتي السّويس وبنما تفتحان باب الحركة التّجاريّة والسّياسة العالميّة أمام دول الشّمال في الحدود الجنوبيّة.[4] إلّا أنّ ماهان كان قد شدّد كثيرًا على أهمّية القوّة البحريّة

---

[1] Colin S. Gray, **Nicholas John Spykman, The Balance of Power and International Order**, Journal of Strategic Studies, Volume 38, Issue 6, 2015, p. 873

[2] علي أحمد علوان، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 40

[3] المرجع أعلاه.

[4] المرجع أعلاه.

ودعى الولايات المتّحدة الأميركيّة إلى أن توجّه أنظارها نحو السّاحل في كتابه الذّي صدر عام ١٨٨٩ وحمل عنوان **"The Influence of Sea Power Upon History"** "أثر القوى البحريّة في التّاريخ".[1]

تأثّر سبيكمان كثيرًا بأفكار ماهان وطروحاته، لذا اعتُبر خليفته، إلّا أنّه لم يتّفق معه على أهميّة القوى البحريّة وارتباطها الشّديد بالسّيادة العالميّة...[2]

وضمن السّياق نفسه فقد عُرف عن سبيكمان مدى تأثّره بأفكار وطروحات ماكيندر أيضًا إلى جانب تأثّره بتلك الخاصّة بماهان. فبعد ظهور نظريّة ماكيندر بأربعة عقود، ظهرت نظريّة سبيكمان إلى العلن في كتابه الذّي نُشِر في العام ١٩٤٤ أي بعد عامٍ على وفاته، والذّي حمل عنوان "جغرافيّة السّلام" **"The Geography of Peace"**.[3] وكان هذا الكتاب قد تضمّن نقاطًا مفصليّة وخطوطًا عريضة حول عمليّة صناعة السّلام واستمراريّته في العالم من النّاحية الاستراتيجيّة، نذكر منها على سبيل المثال أنّ: الأسلوب الوحيد لاستمرار السّلام يتأتّى عن طريق نظام جماعيّ على مثال أمم متّحدة مسلّحة، أو عن طريق المحافظة على التّوازن الدّوليّ. أمّا الجزء الأهمّ من كتابه المذكور فكان قد ارتبط بنظريّة ماكيندر التّي أفادت بأنّ من يسيطر على جزيرة العالم يمكن له أن يتحكّم بالعالم بأسره.[4]

اعتبر سبيكمان أنّ ماكيندر كان قد بالغ كثيرًا في الأهميّة الجيوبوليتكيّة التّي منحها لمنطقة قلب العالم، فقد أيّد الجزء الثّاني من نظريّة هذا الأخير والذّي اعتبر فيه أنّ من يسيطر على الجزيرة العالميّة يمكن له أن يتحكّم بالعالم أجمع، إلّا أنّه وكما أشرنا كان قد عارض الجزء المرتبط بأهميّة منطقة القلب لدى ماكيندر، لأنّه برأيه منطقة الهلال الدّاخلي لدى ماكيندر، والتّي أطلق عليها هو تسمية منطقة الإطار **Rimland** هي أهمّ من منطقة القلب **Heartland**، وذلك يعود إلى غناها بالموارد الطّبيعيّة، وارتفاع نسبة

---

[1] Alfred Mahan, **The Influence of Sea Power on History 1660 –1783**, first edition, Little Brown and Company, Dover Edition, Boston, 1989.

[2] علي أحمد علوان، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 40

[3] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة – دراسة الجغرافيا والعلاقات السّياسيّة للدّولة**، لا ط. مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2010، ص.ص. 234 – 235

[4] المرجع أعلاه، ص. 235

كثافتها السّكانيّة مقارنةً بتلك الأخيرة، بالإضافة إلى أنّ أهميّتها هذه تعود إلى ضمّها معظم قارّة أوروبا والعالم العربيّ وإيران وأفغانستان والصّين وجنوب شرق آسيا وشرق سبيريا وكوريا...[1]

ب-بلورة نظريّة الإطار – Rimland Theory:

من هنا جاءت نظريّة سبيكمان تحت عنوان "نظريّة الإطار" **Rimland Theory**، فالبوّابة التّي دخل منها سبيكمان إلى دراسته هذه، كانت بوّابة أميركيّة محضة؛ فقد اعتبر أنّ العالم الغربيّ والذّي محوره الولايات المتّحدة الأميركيّة، هو محاطٌ بعالمٍ شرقيّ غيرَ واضح المحور، إلّا أنّه يضمّ الكتلة الأوراسيّة إلى جانب أفريقيا وأستراليا، ومساحة هذا العالم تقارب مرّتين ونصف المرّة مساحة العالم الغربيّ من اليابسة، كما أنّ نسبّة سكّانه تشكّل عشرة أضعافٍ نسبة سكّان العالم الغربيّ؛ وذلك بالإضافة إلى أنّ أكثر من نصف موارد العالم الطّبيعيّة منتَجة في هذا القسم الشّرقيّ من العالم...[2]

هذا كلّه كان دافعًا أمام سبيكمان لبلورة نظريّة جديدة تمنع توحّد أوراسيا ومنافستها للولايات المتّحدة الأميركيّة، وذلك بما يضمن مصالح هذه الأخيرة وقوّتها على السّاحة الدّوليّة، عن طريق تطبيق عقيدة الاحتواء، التّي ابتدعها، على السّوفيات آنذاك، لمنعهم من التّوسّع والتّمدّد والوصول بالتّالي إلى السّيطرة العالميّة.[3]

إنّ ماخذ سبيكمان على ماكيندر بأنّه أعطى أهميّة فائقة لمنطقة قلب الأرض يعود بالنّسبة إليه إلى أنّ هذا الأخيرة تحوي مساحات قاحلة واسعة المدى تقع بين نهر ينيسّي وبولندا، وهذه المساحات تخلو من الأهميّة الإستراتيجيّة من المنظار العلميّ الجيوبوليتيكيّ المحض.[4]

فبالنّسبة لسبيكمان، الأهمّيّة الحقيقيّة تتمتّع بها المناطق التّي تقع في النّطاق الذّي يحيط بتلك المساحات المذكورة آنفًا، وهذه المناطق هي التّي دعاها سبيكمان بـ"أراضي الإطار" أو "منقطة الحافّة"

---

[1] عبّاس محمّد قطايا، **الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة – تحوّلات الجغرافيا السّياسيّة وتوظيفاتها الجيوبوليتيكيّة**، إشراف: د. طلال عتريسي، المعهد العالي للدّكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، الجامعة اللّبنانيّة، العام الجامعيّ 2016 – 2017، ص. ص. 28 – 29

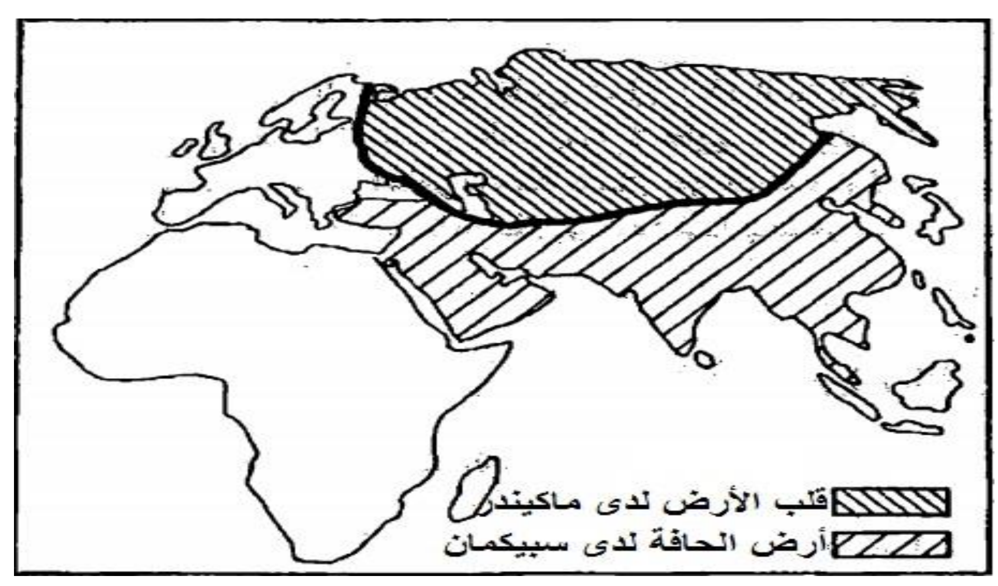
[2] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة...** مرجع سابق، ص. 235

[3] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق – سوريا، 2004، ص.ص. 25 – 26

[4] علي أحمد علوان، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 41

Rimland في نظريّته.[1] ففي هذه البقعة الجغرافيّة تعيش أكبر نسبة من سكّان العالم وتتوفّر أغلب موارده الطّبيعيّة.[2]

فمنطقة الحافّة لدى سبيكمان تتاخم منطقة القلب لدى ماكيندر وتضمّ كلّ من أوروبا الغربيّة، ومنطقة الشّرق الأوسط، وأفغانستان، وآسيا الوسطى، وجنوب شرق آسيا والهند بالإضافة إلى الصّين وكوريا...[3] وانطلاقًا من ذلك يمكننا أن نستنتج أنّ منطقة الهلال الدّاخليّ لدى ماكيندر ما هي إلّا أرض الحافّة أو الإطار لدى سبيكمان، كما ستظهره الخارطة التّالية.



خارطة رقم 3: تُظهر أرض الحافّة في نظريّة سبيكمان وقلب الأرض في نظريّة ماكيندر[4]

وبناءً على ما تقدّم وعلى الخارطة الموضحة لمنطقة الحافّة لدى سبيكمان، اعتبر هذا الأخير أنّ نظريّة ماكيندر التّي تقول بأنّ من يسطر على منطقة القلب يستطيع أن يتحكّم بالجزيرة العالميّة، يجب أن تتعدّل لتصبح على الشّكل التّالي:

---

[1] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص. 24

[2] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة**... مرجع سابق، ص. 235

[3] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

[4] المصدر: محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة**... مرجع سابق، ص. 235

"من يُسيطر على أرض الحافّة يحكم أوراسيا؛

ومن يحكم أوراسيا يتحكّم في مصائر العالم".

"Who controls the Rimland, rules Eurasia;

Who rules Eurasia, controls the destinies of the World" [1]

ت-السّياسة الأميركيّة، القوى البحريّة، ونظرية الإطار:

هذه النّظريّة شكّلت قاعدة أساس ارتكز عليها النّموذج الجيوبوليتيكي الأميركيّ التّقليديّ للعالم، فكانت العقيدة والاستراتيجيا الأساسيّة لمنظّمة حلف شمالي الأطلسيّ (NATO) آنذاك،[2] بعد انهزام اليابان وألمانيا في الحرب العالميّة الثّانية، وبعد أن كان النّموذج الجيوبوليتيكيّ الألماني مع راتزل وهاوسهوفر غير شامل لبروز الولايات المتّحدة الأميركيّة كقوّة عظمى على السّاحة الدّوليّة كما سبق وأشرنا في بداية الفصل...

وذلك كان السّبب الأساس وراء اندفاع الولايات المتّحدة الأميركيّة لصياغة نموذج جيوبوليتيكيّ خاص بها للعالم، وكان لسبيكمان الدّور الرّئيس في ذلك إلى جانب ألفرد ماهان أيضًا، الذّي كان يُعتبر من أهمّ أساتذة الجيوبوليتيك البارزين في الولايات المتّحدة الأميركيّة قبل اندلاع الحرب العالميّة الأولى، بما أنّه كان أوّل من تحدّث عن القوّة البحريّة وربطها بالسّيادة العالميّة، معتبرًا أنّ السّيطرة على البحر هي المفتاح الأساس للسّيادة العالميّة، وما من دولة سوى الولايات المتّحدة قادرة على أن تنافس بقوّتها البحريّة مقدرة الأسطول البحريّ البريطانيّ الواسع.[3]

خلاصة نظريّة سبيكمان كانت تتجلّى في أنّ الصّراع الذّي قد يحصل، سواء أكان من الجانب الرّوسيّ أم الأميركيّ – البريطانيّ البحريّ، فسيكون هدفه السّيطرة على أرض الحافّة بطبيعة الحال؛ لذا فقد قام بحثّ الإدارة الأميركيّة على انتهاج سياسة السّيطرة على هذا النّطاق، أو أقلّه، إن لم تستطع القيام بذلك، أن تردع الجانب الرّوسي عن القيام به... وأذعنت الإدارة الأميركيّة لنصيحة سبيكمان حفاظًا على مصالحها

---

[1] Constantin Hilhor, **Geopolitics from a classical to a postmodern approach**, translated by Nicolae Melinescu, Italian academic publishing, Italy, 2014, p. 29

[2] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص. 24

[3] Alfred Mahan, **The Influence of Sea Power on History 1660 –1783**, op – cit, p. 102

الإستراتيجيّة في العالم، وحاولت أن تقيم حلفاء لها وتدعمهم عسكريًّا في نطاق أرض الحافّة، بواسطة حلف شمالي الأطلسي الذّي كانت نظريّته الأساسيّة تهدف إلى إقامة المواثيق والأحلاف مع البلدان التّي تقع في أرض الإطار[1]، وذلك لتضييق الخناق على الاتّحاد السّوفياتيّ السّابق ومنعه من إضعافها في ملعبه.[2] وبذلك أصبحت منطقة آسيا شرقًا وجنوبًا، فضلًا عن منطقة الشّرق الأوسط، في أولويّات الأجندة الأميركيّة من منظور مصالحها الاستراتيجيّة.

وفي إطار التّنافس بين القوى البريّة والقوى البحريّة يرى سبيكمان أنّ السّيطرة الكاملة على أرض الحافّة من قبل الدّول ذات القوّة البحريّة سوف يؤول حتمًا إلى النّصر النّهائيّ بسيطرة تلك الدّول على الدّول ذات القوّة البرّيّة.[3]

ث- تأييد وانتقاد النّظريّة:

لاقت هذه النّظريّة تأييدًا على السّاحة الدّوليّة نظرًا لأنّها جاءت وكأنّها نظريّة إصلاحيّة لهفوات تلك التّي سبقتها مع هالفورد ماكيندر، إلّا أنّ المحلّلين الجيولوبيتيكيّين لم يتوانوا عن طرح التّساؤلات الإعتراضيّة حينًا والاستفهاميّة حينًا آخر على مضمون هذه النّظريّة ومحتواها، سوف نورد بعضًا من تلك التّساؤلات فيما يلي: [4]

1- إنّ "تقطيع" أرض الحافّة وتوزيع النّفوذ عليها بين القوى الأوروبيّة والأميركيّة، هو واقع ينفي ما تشير إليه نظريّة سبيكمان التّي تفيد بأنّ "من يسيطر على أرض الحافّة يستطيع التّحكم بمصير العالم بأسره"، أمّا إن سيطرت دولة واحدة عليها فيصبح من الإمكان أن تقوم بالسّيطرة على العالم أجمع وهذا بعيد المنال، لا بل مستحيل التّطبيق.

2- منطقة الإطار أو الحافّة هي نطاق هامشيّ تهدّده منطقة القلب من الدّاخل، والقوى البحريّة off shore من الخارج وبريطانيا واليابان في حوض المتوسّط... ولكي تُطبّق النّظريّة على أرض الواقع يجب على قوى الإطار أن تكوّن وحدة أوروبّيّة غربيّة لكي تفرض سلطتها على البحر الأبيض المتوسّط بأكمله، ومن بعده الشّرق الأوسط كخطوة أوّليّة، يلي ذلك السّيطرة على باقي إفريقيا وأستراليا

[1] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص. 25

[2] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة**... مرجع سابق، ص. 236

[3] المرجع أعلاه.

[4] محمّد رياض، "**الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**"...، مرجع سابق، ص.ص. 78 - 79

كخطوة ثانية، ممّا يمهّد للخطوة الحاسمة في السّيطرة على بقيّة أرض الحافّة في جنوب آسيا وشرقها، وبعدها التّحكّم بمصائر العالم. إلّا أنّ هذا الاحتمال يقع ضمن خانة الصّعب لا بل المستحيل تحقيقه.

على أيّ حال، وقبل أن نختم هذه الفقرة، لا بدّ من أن نسلّط الضّوء على أنّ من أهمّ ما أشار إليه سبيكمان في نظريّته هذه، اعتباره أنّ الهلال الدّاخليّ لدى ماكيندر، الذّي يحيط بمنطقة قلب العالم، هو مفتاح السّياسة العالميّة، وهذا كان السّبب الأساس الذّي دفعه إلى تسمية ذاك الهلال بأرض الحافّة أو الإطار (Rimland)؛ هذا الإطار المعروف بأراضيه الغنيّة بمصادر الثّروات، وبأعداد السّكّان، إلى جانب تمتّعه بميزة استخدام البحر في التّجارة وكذلك في الحروب.[1]

وفي الختام نوضح أنّ سبيكمان أكّد على ما قاله ماكيندر بأنّ منطقة الهارتلاند هي فعلًا قلب الكتلة الأرضيّة الكبيرة، لكنّه أضاف بأنّه "قلبٌ ميت"، لأنّه حبيس من الجهتين، حبيس أرض الإطار من جهة والقطب المتجمّد الشمالي من جهة أخرى، هذا عدا عن افتقاره للثّروات بشكلٍ عام – باستثناء تركستان والأورال – لأنّ باقي الأراضي فيه هي مساحات واسعة موحشة وجافّة، أو تحتلّها غابات باردة وأراضي صقيع مستمرّ.[2]

نستنتج ممّا تقدّم مدى أهميّة منطقة حافّة الأرض اليوم نظرًا لتأثير المنافسة الخارجيّة الدّوليّة للسّيطرة عليها، وتقع هذه المنافسة بين القوى العظمى والكبرى في العالم: الولايات المتّحدة الأميركيّة، روسيا الإتّحاديّة، الصّين الشّعبيّة، الهند، اليابان وبريطانيا[3]؛ وذلك تطبيقًا لما ورد في نظريّة سبيكمان تمهيدًا للسّيطرة على العالم والتّحكّم بمصائره.

---

[1] محمّد رياض، "**الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**"...، مرجع سابق، ص. 78

[2] المرجع أعلاه.

[3] المرجع أعلاه، ص. 79

الفَقَـرَةُ الثّالـثــة:

نَظَرِيَّــة زبغـنيـو بريجنسكي Zbigniew Brzezinski Theory

من الشّخصيّات المؤثّرة في صناعة السّياسية الخارجيّة الأميركيّة، زبيغنيو بريجنسكي (١٩٢٨ – ٢٠١٧)، أميركيّ الجنسيّة من أصل بولنديّ شغل منصب مستشار الأمن القوميّ الأميركيّ في عهد الرّئيس جيمي كارتر (١٩٧٧ – ١٩٨١) وكان الشّخصيّة الأكثر شهرةً من بين من شغلوا هذا المنصب على الإطلاق، إذ كان له الدّور الأبرز في المفاوضات التّي حصلت بين الولايات المتّحدة الأميركيّة والاتّحاد السّوفياتيّ، والتّوصّل في العام ١٩٧٩ إلى عقد اتّفاقيّة SALT II المتعلّقة بحظر انتشار الأسلحة والصّواريخ الاستراتيجيّة، (Strategic Arms Limitation Talks II) كحدّ لسباق التّسلّح الذّي حصل بين القطبين آنذاك.[1] من أهمّ مبادئه التّي آمن بها بشدّة كان مبدأ وجوب التّعامل مع المصالح الأميركيّة في العالم من الزّاويتين الاستراتيجيّة والعمليّة حتّى ولو تعارضتا مع الزّاوية الأيدولوجيّة الأميركيّة.[2]

قبل وفاته كان بريجينكسي يعمل مستشارًا في مركز الدّراسات الاستراتيجيّة والدّوليّة في الولايات المتّحدة الأميركيّة (**Center for Strategic and International Studies**)، بالإضافة إلى كونه بروفسورًا في مادّة السّياسة الخارجيّة الأميركيّة في كلّيّة بول نيتز للدّراسات الدّوليّة المتقدّمة في جامعة جون هوبكنز في واشنطن. وكانت له عدّة مؤلّفات في هذه المجالات، أشهرها كان: "رقعة الشّطرنج الكبرى"، و"الرّؤيا الاستراتيجيّة".[3]

---

[1] The Editors of Encyclopaedia Britannica, **Zbigniew Brzezinski United States Statesman and Scholar**, Encyclopaedia Britannica: https://www.britannica.com/biography/Zbigniew-Brzezinski (Accessed on 22-02-2018)

[2] عودة أبو ردينة، **بوفاة زبيغنيو بريجنسكي فقدت أميركا مفكّرها الاستراتيجيّ**، تاج الجنوب العربيّ، 3 حزيران 2017: http://www.taj-sa.org/index.php?option=com_content&view=article&id=29117

[3] المرجع أعلاه.

أ- نظريّة السّيطرة على "رقعة الشّطرنج الكبرى" – محور الجيوبوليتيك العالمي:

اعتبر بريجنسكي أنّ أوراسيا كانت "مركز" الدّول الأشدّ عزيمة وتصميمًا وديناميكيّة على مرّ التّاريخ، فهي في فضائها السّياسيّ تضمّ الصّين والهند، وهما الدّولتان الأكثر قوّة وكثافة سكانيّة والمرشّحتان لأن تنافسا بشراسة الولايات المتّحدة الأميركيّة في سلّم صعودها العالميّ، بالإضافة إلى أنّ تحدّيات هذه الأخيرة لا تأتِ إلّا من هذه المنطقة الأوراسيّة بالذّات.[1] كما أنّ القوى الإقتصاديّة السّتّ التّي تلي الولايات المتّحدة الأميركيّة تقع في هذه المنطقة من العالم[2]؛ فأوراسيا تحوي على 75% من سكّان العالم، 60% من النّاتج المحلّي الإجمالي، و75% من موارد الطّاقة في العالم.[3] إلى هنا تعود أهمّية قارّة أوراسيا الإستراتيجيّة بالنّسبة إلى زبيغنيو بريجنسكي.

في كتابه السّابق الذّكر "رقعة الشّطرنج الكبرى" أشار بريجنسكي إلى أنّ قارّة أوراسيا تحتفظ بمكانتها الجيوبوليتيكيّة بسبب أنّ طرفها الشّرقيّ (آسيا) كان قد أصبح في الآونة الأخيرة مركزًا حيويًّا للنّموّ الاقتصاديّ والتّأثير السّياسيّ الصّاعد...[4]

أراد بريجنسكي من عنوان هذا الكتاب "رقعة الشّطرنج الكبرى" أن يشير إلى أنّ أوراسيا هي تلك الرّقعة التّي تدور عليها المعارك الفكريّة السّياسيّة الجيوستراتيجيّة بين فريقي الملكين الأسود والأبيض بشكلٍ مستمرّ من أجل الحصول على الزّعامة السّياسيّة العالميّة بعد الانتهاء من اللّعبة. إلّا أنّ هذه الرّقعة هي بيضاويّة الشّكل كما أشار، ولا تشغل لاعبَين فقط، بل يتنافس عليها عدّة لاعبين، كلّ منهم يمتلك وفريقه كميّات محتلفة من القوّة؛ ويستقرّون في الغرب والشّرق والمركز والجنوب، بشكلٍ أساسيّ، حيث أنّ كل منطقة من تلك المناطق الأربع لها ميّزات خاصّة بها، وتتمّ ألعاب الهجوم والدّفاع في فضائها.[5]

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 48

[2] المرجع أعلاه.

[3] Constantin Hilhor, **Geopolitics from a classical to a postmodern approach**, op – cit, p. 34

[4] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 12

[5] المرجع أعلاه، ص. 51

انطلاقًا ممّا تقدّم يمكننا الاستنتاج بأنّه بحسب بريجنسكي انتقل الجيوبوليتيك اليوم من البعد الاقليميّ إلى البعد العالميّ، حيث أنّ "السّيطرة على كامل القارّة الأوراسيّة توفّر القاعدة المركزيّة للسّيادة العالميّة"[1]، ومن هذه العبارة نستخلص نظريّة بريجنسكي التّي تشير بوضوح إلى أنّ:

"من يهيمن على أوراسيا، يهيمن تلقائيًا على معظم منطقة إفريقيا والشّرق الأوسط."[2]

"Who dominates Eurasia, dominates almost automatically

The Middle East and Africa." [3]

ب-استنتاجات وتوصّلات عمليّة:

من هذه المقاربة الجيوبوليتيكيّة توصّل بريجنسكي إلى استنتاجين ذوي قيمة استراتيجيّة عالية بالنّسبة للولايات المتّحدة الأميركيّة حينها:[4]

- الأوّل يفيد بأنّه لم يعد كافيًا بلورة سياسات أميركيّة تجاه أوروبّا وأخرى مختلفة تجاه آسيا، بل يجب أن توضع سياسات واحدة تجاه أوراسيا ككلّ بشكلٍ موحّد...
- أمّا الثّاني، وعلى اعتبار أنّه كان للولايات المتّحدة الأميركيّة منظور جيواستراتيجيّ مختلف تعتمد عليه قواها البحريّة، ويقيّم علاقاتها مع الدّول والقوى الأخرى أو الكيانات الجيوبوليتيكيّة التّي تحمل صفات "الجزر"، قام بريجنسكي بتحديد منطقة حوض البحر الأبيض المتوسّط ومنطقة آسيا الوسطى على أنّهما منطقتان تتميّزان بحالة شديدة من عدم الاستقرار الطّويل الأمد، وتقعان على خطّ عدم الاستقرار أو الأزمة (Arch of instability or crisis)، كما دعاه هذا الأخير.

سوف ندرس هذا الاستنتاج الأخير، خاصّة في ما يتعلّق برؤية بريجنسكي لمنطقة آسيا الوسطى في الفقرة الثالثة من الفصل الثاني من هذا القسم، بشكلٍ أكثر إيضاحًا وتفصيلًا.

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 57

[2] Constantin Hilhor, **Geopolitics from a classical…**, op – cit, p. 34

[3] Zbigniew Brzezinski, **the Grand ChessBoard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives**, Basic Books, New York, 1997, p. 31

[4] Constantin Hilhor, **Geopolitics from a classical…**, op – cit, p. 34

تجدر الإشارة هنا، إلى أنّه قبيل الحرب الباردة التّي دارت بين المعسكرين الشّرقيّ والغربيّ، كان النّزاع يجري في غالبيّته عند الحدود الأوراسيّة، مع العلم أنّ المعسكر الرّوسي – الصّينيّ حينها كان محكِمًا سيطرته على معظم أراضيها، إلّا أنّه لم يكن مسيطرًا على حدودها ما فتح المجال أمام الولايات المتّحدة الأميركية للتّمترس في ساحليها الشّرقي والغربيّ، حيث أصبح الدّفاع عن وجودها فيهما أول خطوة استراتيجيّة مهّدت فيما بعد لقيام الحرب الباردة.[1] أمّا الجبهة الدّفاعيّة الثّالثة التّي ظهرت إلى جنوب القارّة، فقد قامت في المرحلة الأخيرة من الحرب الباردة، وعقب ذلك الغزو السّوفياتي لأفغانستان والمنافسة الأميركيّة له عن طريق دعم المقاومة الأفغانيّة المحلّيّة، وكانت هذه النّزاعات تدور في النّقطة الأقرب من منطقة آسيا الوسطى موضوع الدّراسة، لا بل حتّى في قلبها.[2]

ذكر بريجنسكي في كتابه بكلّ وضوح أنّ أوراسيا هي المحور في مجال الجيوبوليتيك[3]، كما أشار إلى أنّها بالنّسبة لأميركا تُعتبر الجائزة الجيوبوليتيكيّة الرّئيسيّة[4]، وذلك يعود لنظريّته التّي تزعم أنّ من يسيطر على أوراسيا يسيطر على إفريقيا وعلى حوض البحر الأبيض المتوسّط بأغلبهما بشكلٍ تلقائيّ أوتوماتيكيّ[5] كما سبق وذكرنا. لكن كيف تتمّ السّيطرة على أوراسيا وهي تعتبر أكبر قارّة في العالم؟ وبالنّسبة لرقعة الشّطرنج الكبرى هذه، مَن يملك زمام التّحكّم بجنود أفرقائها المدافعين حينًا عن وجود ملكهم، والهاجمين حينًا آخر تثبيتًا لمقدرته على السّيطرة؟

وبما أنّ بريجنسكي كان عن طريق تحليلاته ودراساته يهدف من جملة ما يهدف إلى المحافظة على المصالح الأميركيّة على السّاحة الدّوليّة وإلى إبقائها في منصب القوّة العالميّة المتحكّمة بزمام أمور مختلف الدّول على المدى البعيد، كان يتخوّف من ظهور منافسين محتملين لها في أي وقت في القارّة الأوراسيّة،[6] لأنّ كلّ تحدٍ جديد، وكلّ الدّول الصّاعدة والمنافسة لها، هي من جذور أوراسيّة؛[7] فقد رأى أنّ

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 19

[2] المرجع أعلاه، ص.ص. 19 – 20

[3] المرجع أعلاه، ص. 48

[4] المرجع أعلاه، ص. 47

[5] المرجع أعلاه، ص. 48

[6] المرجع أعلاه، ص. 13

[7] المرجع أعلاه، ص. 48

التّركيز على مجمل اللّاعبين الرّئيسيّين فيها والتّقييم الدّقيق والصّائب لواقعها يجب أن يكون نقطة البداية للانطلاق نحو بلورة الجيواستراتيجيا الضّرورية لتحقيق أهدافه المشار إليها على السّاحة الأوراسيّة[1]. هذه الجيوستراتيجيا يجب أن تستفيد من واقع أنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة تتمتّع بقوّة نفوذٍ عالية، إن لم نقل الأعلى في العالم، فهي عسكريًا تمتلك مقدرات عالميّة لا مثيل لها، واقتصاديًا – حتّى ولو واجهت عراقيل وتحدّيات من قبل ألمانيا والصّين واليابان اللّواتي تعتبرن المنافسات الأوائل لها – لا تزال تحافظ لغاية اليوم على تقدّمها مقارنة بالنّموّ العالميّ ككلّ، وهذا ينطبق على التّكنولوجيا بطبيعة الحال أيضًا.[2] من هنا فإنّ الجيواستراتيجيا الأميركيّة المطلوبة لإدارة مصالحها في أوراسيا بشكلٍ عام وفي آسيا الوسطى بشكلٍ خاص يجب أن ترتكز على هذه العوامل السّابق ذكرها لكي تحقّق الأهداف المرجوّة من بلورتها، دائمًا بحسب بريجنسكي.

ت–الواقع العمليّ لنظريّة المساحة الوسطيّة بحسب بريجنكسي:

نظريّة المساحة الوسطيّة التّي تحدّث عنها بريجنسكي في كتابه تشير إلى أنّ السّيطرة العالميّة للولايات المتّحدة الأميركيّة تبقى دائرة غير مكتملة ما لم تتعزّز بالسّيطرة على قارّة أوراسيا التّي تشابه إلى حدٍّ بعيد الفراغ الجيواستراتيجيّ الذي ينتظر تعبئته لكي تكتمل سيطرتها العالميّة؛[3] وهكذّا يتمّ التّأكيد على أنّ أوراسيا هي رقعة الشّطرنج التّي يتواصل الصّراع والتّجاذب عليها من أجل إحراز السّيادة العالميّة.

إلّا أنّ أرضيّة هذه اللّعبة التّي تمتد من لشبونة (أقصى أوروبا الغربيّة) إلى فلاديفوستوك (جنوب شرقيّ روسيا)[4] ليست مربّعة الشّكل بل بيضاويّة لا تشغل لاعبين اثنين بل عدّة لاعبين كلّ لاعبٍ منهم يتمتّع بنسبٍ متباينة من القوّة،[5] كما سبق وأشرنا. هؤلاء اللّاعبون يتوزّعون على الأطراف الأربعة لهذه الرّقعة حيث أنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة لها نفوذ واضح في الطّرف الغربيّ الصّغير لأوراسيا، وآخر يقتصر على بضعة جزر مجاورة وعلى نصف شبه الجزيرة المتواجدة في الطّرف الشرقيّ الأقصى من القارّة.[6]

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 57

[2] المرجع أعلاه، ص. 39

[3] المرجع أعلاه، ص. 52

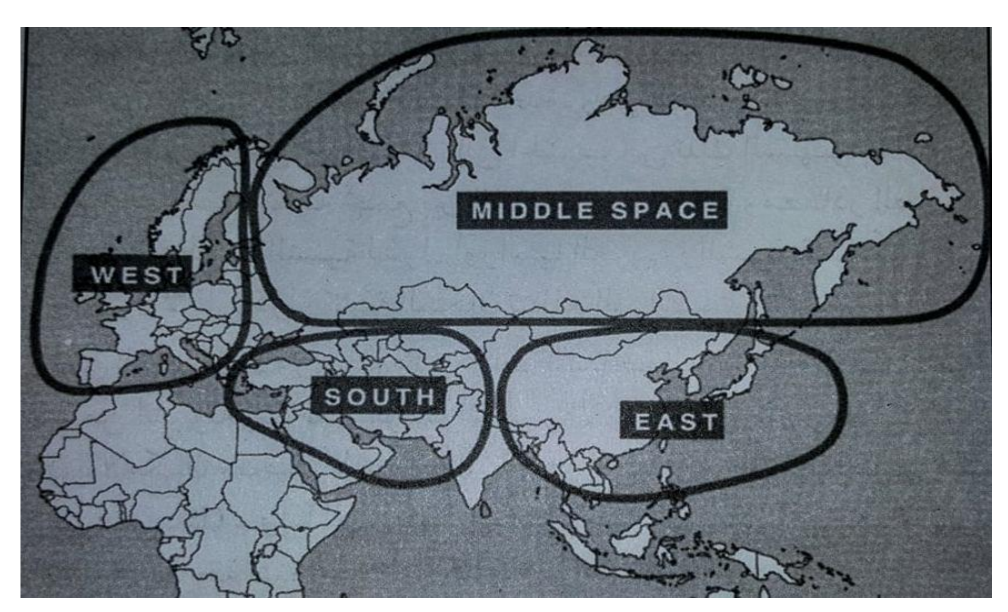
[4] المرجع أعلاه.

[5] المرجع أعلاه، ص. 51

[6] المرجع أعلاه.

أمّا ما بين الطّرفين الشّرقيّ والغربيّ للقارّة، فتمتدّ مساحة دعاها بريجنسكي في كتابه بالوسطيّة (Middle Space) واسعة جدّا نسبة إلى الأطراف الأخرى، لكنّها أقلّ كثافة سكّانيّة منها، وهي تعاني بحسب بريجنسكي من حالة "سيولة سياسيّة وتشظٍّ تنظيميّ" بالإضافة إلى أنّها كانت محتلّة من قبل منافس قويّ لسيادة الولايات المتّحدة العالميّة والذّي كان يهدف إلى إبعادها كليًّا عن المنطقة.[1]

أمّا المنطقة التّي تقع في الطّرف الجنوبيّ من قارّة أوراسيا فهي "تجمع ما بين الفوضى السّياسيّة ومصادر الطّاقة الغنيّة" وتتمتّع بأهميّة عظمى نظرًا لأنّ بعض دولها تتطلّع إلى الهيمنة الإقليميّة.[2]



خارطة رقم 4: تُظهر رقعة الشّطرنج الأوراسيّة الكبرى في نظريّة بريجنسكي[3]

رأى بريجنسكي أنّه:[4]

- في حال كان هناك إمكانيّة من جرّ المساحة الوسطيّة في القارّة الأوراسيّة وضمّها إلى الفلك الغربيّ حيث النّفوذ الأميركيّ؛
- وفي حال لم يخضع الطّرف الجنوبيّ الأوراسيّ لسيادة لاعب واحد؛

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق ص. 52

[2] المرجع أعلاه، ، ص. ص. 51 – 52

[3] المرجع أعلاه، ص. 51

[4] المرجع أعلاه، ص. 52

- وفي حال لم يتوحّد الطّرف الشّرقيّ من القارّة بطريقة تجيز طرد الولايات المتّحدة الأميركيّة من قواعدها المتواجدة على سواحله.

في حال تحقّقت كلّ هذه الأمور يمكن القول أنّ الولايات المتّحدة الأميركيّة قد حقّقت السّيادة على القارّة الأوراسيّة وبالتّالي سدّت فراغها الجيواستراتيجيّ، وحقّقت بذلك سيادتها العالميّة؛[1] وأيّ ظرفٍ مخالفٍ لهذه النّقاط المذكورة آنفًا يؤدّي حتمًا إلى إزاحة الولايات المتّحدة الأميركيّة وإنهاء مشاركتها في لعبة الشّطرنج الأوراسيّة:[2]

- فإذا ما رفضت المساحة الوسطيّة المذكورة "وصاية" الغرب عليها؛
- وإذا ما تحوّلت إلى وحدة أو كيانٍ سياسيّ موحّد ذي شأن، وحقّقت إمّا السّيادة على الجنوب، أو عقْدَ تحالفٍ مع اللّاعب الرّئيسيّ في الشّرق (الصّين)؛
- وإذا ما توحّد اللّاعبان الشّرقيّان الرّئيسيّان (الصّين واليابان) بأية طريقة من الطّرق.

إذا ما حصلت هذه الظّروف سوف تستبعد الولايات المتّحدة من موقعها في الطّرف الغربيّ، وبالتّالي من اللّعبة الجيواستراتيجيّة ككلّ.

وفي ما يلي سوف نرى مدى أهميّة السّيطرة على منطقة آسيا الوسطى في تمهيد إحراز السّيطرة على القارّة الأوراسيّة بأكملها وبالتّالي تطبيق ما تبقّى من نظريّة بريجنسكي على أرض الواقع.

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 52

[2] المرجع أعلاه

الفَصْلُ الثّاني:
جِيُوبُوليتيك مِنْطَقَة آسيَا الوُسْطَى

كان لقرب منطقة آسيا الوسطى من النّقاط السّاخنة في قارّة آسيا، التّي تتنافس عليها وتتصارع فيها القوى الكبرى، الدّوليّة والإقليميّة، كروسيا الاتّحاديّة، الولايات المتّحدة الأميركيّة، الصّين الشّعبيّة من جهة، وأفغانستان وإيران وتركيا من جهة أخرى، أثرًا مضاعفًا على أهمّيتها الاستراتيجيّة على السّاحة الدّوليّة.[1]



خارطة رقم 5: تُظهر موقع جمهوريّات آسيا الوسطى[2]

منذ القرن التّاسع عشر، كانت هذه الرّقعة الجغرافيّة من العالم، والمسمّاة اليوم بـ"آسيا الوسطى"، تمثّل نقطة صراعٍ استراتيجيٍّ دوليّ، تجذب اهتمام القوى الدّوليّة كأحد أهمّ الأقاليم في العالم، حيث حصل تنافسٌ وصل إلى أشدّه بين روسيا القيصريّة حينها وبريطانيا العظمى، وتمّت تسمية هذا الصّراع بـ"اللّعبة

---

[1] عبدالله الفلّاح عودة العضايلة، **التّنافس الدّوليّ في آسيا الوسطى: 1991 – 2010**، إشراف: د. غازي اسماعيل ربابعة، قسم العلوم السّياسيّة، كليّة الآداب والعلوم، جامعة الشّرق الأوسط، الأردن، 2011، ص. 21

[2] المصدر: المرجع أعلاه، ص. 22

الكُبرى"[1] "Great Game"... واللّافت أنّ البُعد الجغرافيّ لهذه الرّقعة كان المسيّر الأساس لهذا الصّراع وأحد أهم مسبّباته وذلك بهدف التّحكم بها (الرّقعة الجغرافيّة) كمجالٍ حيويّ تمهيدًا للسّيطرة على أفغانستان والتمدّد بعد ذلك نحو شبه القارّة الهنديّة كتجلٍّ للصّراع القائم بين القوى البحريّة والقوى البرّيّة...[2]

أمّا بعد انتهاء الحرب الباردة بين الولايات المتّحدة الأميركيّة والاتّحاد السّوفياتيّ، لا سيّما بعد تفكّك هذا الأخير، عادت هذه اللّعبة الكُبرى وتجدّدت، تحت مسمّى "The New Great Game" "اللّعبة الكبرى الجديدة"، وذلك على شكلِ تنافسٍ دوليٍّ تحكّم به البعد الجيوبوليتيكيّ الجديد، وليس الجغرافيّ فحسب[3]... هذا البعد كان قد رسم حدودًا دوليّة جديدة في تلك الرّقعة، أخذ علماء الجيوبوليتيك على عاتقهم مهمّة دراستها وتحليلها وإطلاق النّظريّات حولها بهدف السّيطرة عليها كونها نقطة ارتكاز مهمّة للوصول إلى الهدف الأكبر، ألا وهو السّيادة العالميّة.[4]

يتّضح هنا، أنّ التّنافس الدّوليّ الحاصل اليوم بين القوى العالميّة الكبرى، الولايات المتّحدة الأميركيّة، روسيا الاتّحاديّة، وجمهوريّة الصّين الشّعبيّة، على آسيا الوُسطى، ما هو إلّا تطبيقٌ لتلك النّظريّات الجيوبوليتيكيّة التّي أخذت هذه البقعة من العالم موضوع دراسةٍ لها، بهدف السّيطرة عليها، تمهيدًا للسّيادة العالميّة، وهي التّي تناولناها في الفصل الأوّل من هذا القسم...

فعالِم الجيوبوليتيك البريطانيّ هالفورد ماكيندر، اعتبر أنّ الإقليم الذّي تقع في إطاره منطقة آسيا الوسطى هو المحور الجغرافيّ للتّاريخ، أمّا الجيواستراتيجيّ الأميركيّ نيكولاس سبيكمان، فاعتبر أنّه حافّة الأرض الحيويّة، وأخيرًا مستشار الأمن القوميّ الأميركيّ السّابق زبغنيو بريجنسكي الذّي أعاد إحياء الفكر الجيوبوليتيكيّ، اعتبر أنّ منطقة آسيا الوسطى، تشكّل المنطقة الوسطيّة لقارّة أوراسيا، محطّ أنظار القوى العالميّة والإقليميّة الكُبرى، كما تم إيضاحه في الفصل السّابق.

---

[1] M. E. Ahrari, **The New Great Game In Muslim Central Asia**, McNair Paper 47, Institute of National Strategic Studies, National Defense University, Washington, DC, January 1996, p. 2

[2] M. E. Ahrari, **The New Great Game In Muslim Central Asia**, op – cit, p. 2

[3] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 101

[4] المرجع أعلاه.

باختصار، إنّ الفكرة الأساسيّة التّي سيقوم هذا الفصل بمناقشتها وإيضاحها هي: مكانة آسيا الوُسطى في كلٍّ من النّظريّات الثّلاث التّي ذُكرت بالتّتالي، بما أنّ تلك المكانة بحاجة لأنّ تفصّل بشكلٍ يساعد على إيضاح مجمل التّفاصيل المرتبطة بها في كلّ من النّظريات الثلاث المختلفة، كما يمدّ بالمساعدة على الإجابة على الإشكاليّة المطروحة في هذه الدّراسة.

الفَقَـرَةُ الأُولَـى:
مَكَـانَةُ مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْـطَى فِـي نَظَرِيَّـة هالفـورد ماكينـدر

أ- أسس نظريّات ماكيندر وتعديلاتها:

إنّ السّيطرة على "المنطقة المحوريّة" التّي سلّط عالم الجيوبوليتيك البريطانيّ هالفورد ماكيندر الضّوء عليها في محاضرته التّي ألقاها في العام ١٩٠٤[1] يمهّد للتّحكّم بالجزيرة العالميّة، المكوّنة من القارّات الثّلاث: آسيا، أوروبّا، وإفريقيا، أي من تلك الحلقة المتّصلة من اليابسة في العالم[2]؛ ومن يتحكّم بهذه الجزيرة العالميّة، يتحكّم بالعالم بأسره[3].

وعقب الحرب العالميّة الأولى والبلبلة والاضطراب اللّذين خلّفتهما، قام ماكيندر باستبدال مصطلح "المنطقة المركزيّة" أو "المحوريّة" بمصطلح "منطقة القلب" عام ١٩١٩[4] موسّعًا حدودها نحو الغرب لتضمّ بذلك كامل أوروبّا الشّرقيّة وحوض بحر البلطيق، وحوضَي نهرَي لينا وينيسّي في سيبيريا الغربيّة، بالإضافة إلى آسيا الوسطى[5]... وافترض بعد ذلك أنّ من يتحكّم بأوروبّا الشّرقيّة يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على قلب العالم يتحكّم بجزيرة العالم، ومن يتحكّم بجزيرة العالم، يتحكّم بالعالم بأسره.[6]

أمّا في العام ١٩٤٣ وبعدما رأى ماكيندر أنّ منطقة القلب التّي تحدّث عنها واستفاض تفتقر إلى العدد الكافي من السّكان، وكذلك إلى وجود قوّة عسكريّة خاصّة فيها،[7] عاد وعدّل في نظريّته جاعلًا من الولايات المتّحدة الأميركيّة ركنًا أساسيًّا فيها[8]، معتبرًا أنّ الموقف السّياسيّ الخارجيّ للقوى العالميّة لا يُبنى فقط بحسب المعطيات الجغرافيّة لمنطقة القلب، إنّما أيضًا على التّقدّم العلميّ والتّكنولوجيّ والصّناعيّ الذّي

---

[1] Halford J. Mackinder, **The Geographical Pivot Of History (1904)**, op – cit

[2] Halford J. Mackinder, **Democratic Ideals and Reality**, op – cit, p. 90

[3] "النّظريّة الجيوسياسيّة"، منشورة في **موسوعة الدّراسات الإستراتيجيّة...**، مرجع سابق.

[4] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

[5] Halford J. Mackinder, **Democratic Ideals and Reality**, op – cit, p.p. 95 –96

[6] Ibid, p. 194

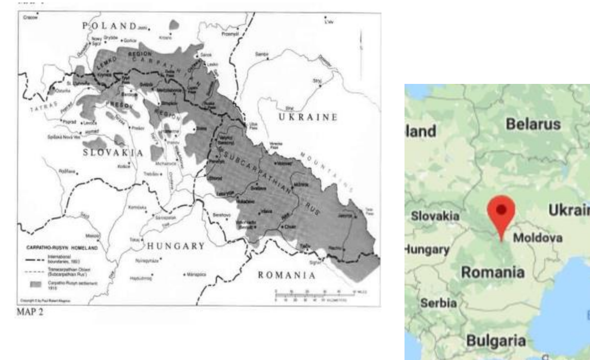
[7] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 63

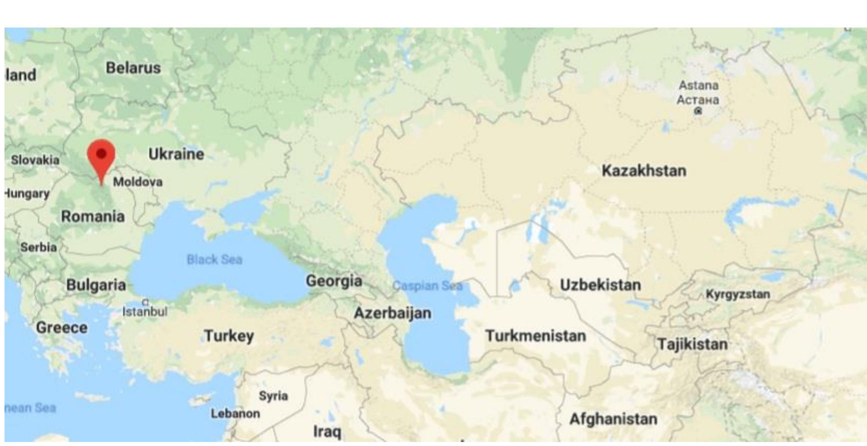
[8] Halford J. Mackinder, **The Round World and the Winning of the Peace**, op – cit, p.p. 596 – 598

تحرزه. من هنا تحدّث عن منطقة الأطلسي التّي تقارب بأهمّيّتها الاستراتيجيّة أهمّية منطقة القلب،[1] مطلقًا عليها مصطلح "الحوض الأوسط" (Midland Ocean) رابطًا به شمال محيط الأطلسيّ بشرق الولايات المتّحدة الأميركيّة وغرب القارّة الأوروبيّة. وذكر أيضًا أنّ منطقة "الرّايخ الألمانيّ" تفصل بين منطقة القلب والحوض الأوسط الجديد.[2]

ب-آسيا الوسطى محور نظريّات ماكيندر:

يتّضح لنا انطلاقًا ممّا تقدّم أنّ منطقة آسيا الوسطى تحتلّ مكانة محوريّة في فكر ماكيندر مهما عدّل من نظريّاته تبعًا للمعطيات والمعلومات المتوفّرة لدينا... ففي نظريّته الأولى حيث اعتبر أنّ من يتحكّم بالمنطقة المركزيّة يتحكّم بجزيرة العالم، يتبيّن لنا أنّ مفتاح التحكّم بالمنقطة المركزيّة هو التّحكّم بمنطقة آسيا الوسطى،[3] حيث أنّه لا يمكن لهذه المنطقة المركزيّة أن تُهاجَم إلّا من الجهة الغربيّة، برًا عن طريق جبال كاربات **Carpates** لأنّها المنفذ البرّي الوحيد إليها؛ وبحرًا عن طريق بحر قزوين والبحر الأسود، لأنّ هذه المنطقة لا تقع في محيط المياه الدّافئة، وبحر قزوين والبحر الأسود هما المنفذَين البحريّين الدّافئَين الوحيدين إليها.[4]





خارطة رقم 6: تُظهر سلسة جبال الكاربات في أوروبا الغربيّة وبحر قزوين والبحر الأسود[1]

---

[1] Halford J. Mackinder, **The Round World and the Winning of the Peace**, op – cit, p. 601

[2] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 64

[3] Tanguy Struye De Swielande, **Caucase et Asie Centrale: La Guerre pour le Controle du Rimlande**, les cahiers du RMES, volume IV, numéro 01, 2007, p. 213: http://www.etudier.com/dissertations/Caucase-Et-Asie-Centrale-La-Guerre-Pour/85076.html

[4] Halford J. Mackinder, **The Geographical Pivot Of History (1904)**, op – cit, p. 424

وإذا ما تمعنّا بالخارطة الجغرافيّة التّي توضح لنا موقع جبال كاربات في أوروبا الغربيّة يتبيّن لنا أنّه إذا ما سارت القوى البرّيّة منها شمالًا، سوف تصل إلى أوكرانيا وتصطدم بالوجود العسكريّ الرّوسيّ هناك وهذا لا يتوافق مع تكتيكات الدّول واستراتيجيّاتها على الأمد الطّويل، فكلّ دولة توسّعيّة تسعى دومًا للسّيطرة والسّيادة الدّوليّة بأقلّ كلفة بشريّة وعسكريّة ممكنة.

لذا، ومن وجهة نظر شخصيّة، سيكون المنفذ البرّيّ الآخر الأكثر أمنًا ممتدًّا أمامها من تركيا جنوبًا إلى إيران ومن بعدها إلى أفغانستان وصولًا إلى منطقة آسيا الوسطى، مع العلم أنّ لهذا المسار صعوبته دون شكّ، خاصّة وأنّه يمتدّ بين دولتين إقليميّتين صاعدتين، ألا وهما تركيا وإيران كما ذكرنا. دون أن ننسى أيضًا الخصوصيّة التّي تتمتّع بها أفغانستان لناحية عدم الاستقرار الدّائم الذّي تشهده، وتردّي الوضع الأمنيّ فيها، إلى جانب تسابق الدّول وتصارعها على أراضيها، طمعًا باستغلال الثّروات وإحراز النّفوذ لتوسيع إطار سلطاتها باتّجاه السّيادة العالميّة.

أمّا في ما يخصّ القوى البحريّة، فبطبيعة الحال، وكما تبيّنه لنا الخارطة المرفقة أيضًا، وكما سبق وذكره ماكيندر في نظريّته عام ١٩٠٤ لا يوجد منافذ بحريّة "دافئة" للسّيطرة على المنطقة المحوريّة سوى بحر قزوين والبحر الأسود؛[2] وهذان البحران لن يوصِلَا القوى البحريّة القادمة إلّا إلى منطقة آسيا الوسطى أيضًا كمحطّة أوليّة، وذلك للأسباب نفسها التّي ذُكرت سابقًا والتّي تمنعها من مواجهة القوى الرّوسيّة في شمال البحر الأسود، فلن يعود أمامها من وجهة تسلكها سوى منطقة آسيا الوسطى.

ت-آسيا الوسطى بوابة العبور نحو السّيطرة على العالم:

إنّ ما نريد إيضاحه ممّا تقدّم هو أنّ مفتاح باب الحصول على السّيادة على المنطقة المحوريّة إن عن طريق القوى البرّيّة أو البحريّة تمهيدًا للتّحكّم بالجزيرة العالميّة ومن بعدها بالعالم بأسره لن يتمّ الحصول عليه إلّا بالتّحكّم بمنطقة آسيا الوسطى كخطوةٍ أوّليّة وأساسيّة. وبالتّالي، فإنّ آسيا الوسطى بحسب المحلّ

---

[1] Google maps: https://www.google.com.lb/maps/@39.0332112,45.7342728,4z

[2] Halford J. Mackinder, **The Geographical Pivot Of History (1904)**, op – cit, p. 424

الاستراتيجيّ والجيوبوليتيكيّ الشّهير هالفورد ماكيندر تعتبر أحد أهمّ المناطق الاستراتيجيّة المتحكّمة في قلب أوراسيا، بمعنى آخر هي تشكّل المفتاح الاستراتيجيّ لمحاولات السّيطرة عليها (على أوراسيا).[1]

أمّا إذا ما انتقلنا إلى النظريّة الثّانية التي أفصح عنها ماكيندر بعدما ما قام بتعديل الأولى عام ١٩١٩ مبدّلًا مصطلح الـ"منطقة المحوريّة" بمصطلح "منطقة القلب"[2] وموسّعًا إطار هذه المنطقة نحو الغرب، لتضمّ أوروبّا الشّرقيّة كاملةً وأحواض بحر البلطيق ونهرَي لينا وينيسّي اللّذين يقعان في سيبيريا الغربيّة، بالإضافة إلى آسيا السّوفياتيّة التّي أصبحت تُعرَف اليوم بآسيا الوسطى[3] كما سبق وذكرنا في بداية هذه الفقرة؛ وإذا ما تمعنّا بقراءة نظريّته المعدّلة التّي تقول ببسيط العبارة أنّ: "من يتحكّم بأوروبّا الشّرقيّة يسيطر على قلب العالم، ومن يسيطر على قلب العالم يتحكّم بجزيرة العالم، ومن يتحكّم بجزيرة العالم يتحكّم بالعالم بأسره"،[4] يتّضح لنا أنّ آسيا الوُسطى التّي تشكّل جزءًا لا يتجزّأ وذي أهمّيّة كبيرة من منطقة قلب العالم كما بيّنّا أعلاه، أصبحت هي النّقطة المحوريّة في استراتيجيّات السّيطرة والسّيادة العالميّتين، إذ لا يمكن لأيّة قوّة بريّة كانت أو بحريّة أن تفرض سيطرتها وتحكّمها على قلب العالم وجزيرته من دون إحكام سيطرتها على منطقة آسيا الوسطى في بادئ الأمر.

نشير أيضًا باختصار، أنّه وبهدف التّحكّم بأوروبّا الشّرقيّة تمهيدًا للسّيطرة على قلب العالم، هناك بقعةٌ جغرافيّة استراتيجيّة أساسيّة تتوجّب السّيطرة عليها كمرحلة ضروريّة، ألا وهي البقعة التّي يمتدّ عليها بحر البلطيق، بما أنّه يمتاز بكون مياهه هي المياه الدّافئة الوحيدة المتواجدة في شمال منطقة القلب (لجهة الغرب)، مع أنّها تتجمّد لمدّة تقارب الثّلاثة شهور شتاءً[5] ممّا يجعلها بمنأىً عن أيّ هجوم، إلّا أنّه وفي الفترة المتبقيّة من العام يشكّل نقطة استراتيجيّة أساسيّة وجب استغلالها في حال تقرّر تطبيق ما تشير إليه نظريّة ماكيندر المعدّلة عام ١٩١٩ على أرض الواقع، فتتمّ بذلك السّيطرة على أوروبّا الشّرقيّة بشكلٍ يمهّد للسّيطرة على منطقة القلب. من هنا فإنّ هذه المنطقة التّي تحيط بمنطقة القلب من الجهة الشماليّة الغربيّة تعدّ مصدر

---

[1] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

[2] المرجع أعلاه.

[3] Halford J. Mackinder, **Democratic Ideals and Reality**, op – cit, p.p. 95 –96

[4] Ibid, p. 143

[5] علي أحمد علوان، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 323

الخطر لهذا القلب، خصوصًا تلك الواقعة بين جبال كاربات وبحر البلطيق، كونها استغلّت لمرّات عدّة كخاصرة ضعيفة تمّت من خلالها عمليّات العدوان على المنطقة.[1] (أنظر خارطة رقم ٧ في الصّفحة ٣٩)



خارطة رقم 7: تُظهر الموقع الجغرافيّ لبحر البلطيق[2]

أمّا في التّعديل الأخير الذّي أورده ماكيندر على نظريّته في العام ١٩٤٣، فهو جعل من الولايات المتّحدة الأميركيّة ركنًا خاصًا وأساسيًّا فيها، إذ تبيّن له أنّ عهد القوى البحريّة قد ولّى وحلّ مكانه عهد القوى البرّيّة، إذ حتّى ولو تمّ استخدام الطّرق البحريّة لن يكون ذلك إلّا تحت إشراف القوى البرّيّة.[3] وبالتّالي يكون قد زال الخطر البحريّ عن منطقة القلب بحسب ماكيندر وعادت الدّول إلى استخدام قواها البرّيّة لتنفيذ مخطّطاتها وتحقيق أهدافها الاستراتيجيّة.

قام ماكيندر بالتّعديل الأخير بإعطاء الأهميّة الكبرى للولايات المتّحدة الأميركيّة، معتبرًا إيّاها القوّة الوحيدة التّي توازي في أهمّيّتها أهمّيّة منطقة القلب، وذلك بعد انتصارها في الحرب العالميّة الثّانية، وتحديدها لمصير الحرب العالميّة الأولى لصالحها فيما سبق... فأصبحت القوّة العالميّة الكبرى، وأصبحت دول أوروبّا

---

[1] علي أحمد علوان، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 325

[2] Source: The World Factbook: https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/en.html

[3] Halford J. Mackinder, **The Round World and the Winning of the Peace**, op – cit, p.p. 596 – 598

الغربيّة تابعة لها بشكلٍ عام.[1] إلّا أنّ بقي يميل إلى إمكانيّة انتصار الدّول البرّيّة في منطقة قلب الأرض على حساب الدّول البحريّة.[2]

ث-إستنتاجات:

نستنتج ممّا تقدّم أنّ المنافذ البحريّة التّي توصلنا إلى منطقة القلب قد أُغلقت ضمنيًّا ولم يعد أمام القوى المعادية حلًّا غير استخدام قواها البريّة إذا ما أرادت "غزو" منطقة القلب، وبالتّالي ستكون منطقة آسيا الوسطى جسر العبور الإلزاميّ أمامها لتصل إلى مآربها تمهيدًا إلى السّيطرة الكاملة على منطقة القلب وبعدها على الجزيرة العالميّة، ومن ثمّ على العالم بأسره.

أمّا عن القوّة الجويّة، فاعتبر ماكيندر أنّها سلاح مكّمل للقوّة البرّية وليس البحريّة، وذلك بسبب الموقع الجغرافيّ المميّز لمنطقة القلب في الحرب الجويّة... من هنا فقد أصبح استخدام البحار عسكريًّا مستحيل من دون موافقة قوى البرّ التّي تستطيع أن تغلق طرق الملاحة وقتما تشاء بمعاونة القوى الجويّة المتمركزة في قواعدها العسكريّة الخاصّة.[3]

على أيّة حال، أصبح من الجليّ لدينا أنّ ماكيندر كان قد استهلّ نظريّته من فكرة أنّ الجزء الدّاخليّ من قارّة أوراسيا، الذّي يضمّ بشكلٍ أساسيّ منطقة آسيا الوسطى، هو مركز العالم سياسيًّا، وحذّر أو لفت انتباه سلطته بأنّ التّحكّم في هذا الإقليم وبسط النّفوذ عليه من قبل أيّ دولةٍ كان سيؤدّي إلى الإفصاح عن الخطوات الواجب اتّباعها للوصول إلى السّيادة العالميّة.[4]

وبعد ظهور الاتّحاد السّوفياتيّ كقوّة قارّيّة ترغب في التّقدّم والتّوسّع وبسط نفوذها على المنطقة المحوريّة والتّوسّع نحو أوروبّا الشّرقيّة بهدف السّيطرة على مجمل القارّة الأوراسيّة ومنها على المياه الدّافئة التّي تفتح أمامها المجال للتّوسّع العالميّ، بعد طرد كافّة القوى البحريّة المعاديّة طبعًا؛[5] فقد شكّلت منطقة آسيا الوسطى (بالإضافة إلى القوقاز) مفتاحًا استراتيجيًّا بيد السّوفيات يفتح أمامهم باب السّيطرة على كامل أوروبّا الشّرقيّة، وهنا يمكننا فهم العمليّة التّي قامت بها القوّات البحريّة البريطانيّة ضدّ السّوفيات لكي تنتزع

---

[1] علي أحمد علوان، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 326

[2] المرجع أعلاه، ص. 327

[3] علي أحمد علوان، **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، مرجع سابق، ص. 327

[4] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 103

[5] المرجع أعلاه، ص. 104

منهم العمق الاستراتيجيّ الجنوبيّ الخاصّ بهم في القرن التّاسع عشر (اللّعبة الكبرى)، بما أنّ منطقة آسيا الوسطى (والقوقاز) منطقة مهمّة استراتيجيًّا، لا بل هي مفتاح السّيطرة على القارّة الأوراسيّة بأكملها.[1]

لا يمكننا أن نغفل عن أنّ السّوفيات كانوا قد اعتبروا منطقة آسيا الوسطى طيلة حكمهم من أهمّ الرّكائز لأمنهم القوميّ، وذلك لأنّ الحديقة الخلفيّة لهذه المنطقة تضمّ دولًا تحالفت مع الولايات المتّحدة الأميركيّة أثناء الحرب الباردة[2]. فكانوا يبذلون كلّ جهودهم لحماية أمنهم القوميّ الذّي كان عرضةً للأخطار بسبب تلك التّحالفات المعادية لمصالحهم. دون أن ننسى العمق الجغرافيّ الذّي توفّره هذه المنطقة وكأنها "قلعة طبيعية" تشكّل حصنًا منيعًا أمام غزوات الأعداء، فأغلب سهولها الواسعة محاطة بجبالٍ وهضاب توفّر الحصن الطبّيعي للأمن القوميّ السّوفياتيّ.[3] وبالتّالي إذا ما تمكّنت أيّة قوّة دوليّة من وضع قاعدة عسكريّة على إحدى هذه الهضاب سيمكّنها بشكلٍ تلقائيّ من الإشراف والسّيادة الكاملة على القلب الأوراسيّ، قلب العالم.[4]

وفي ختام هذه الفقرة نستخلص ممّا تقدّم فيها مدى أهميّة مكانة منطقة آسيا الوسطى في نظريّة ماكيندر كونها أحد أهمّ المناطق المحوريّة في القارّة الأوراسيّة، فيمكن اعتبارها إذا ما صحّ القول النّبض، أو القلب النّابض لقلب العالم، والتّي إن تمّت السّيطرة عليها من قبل إحدى الدّول الكبرى، تتمكّن هذه الدّولة المسيطرة من أن تتحكّم بقلب العالم، وبالتّالي السّيطرة على الجزيرة العالميّة تمهيدًا لبسط نفوذها على العالم أجمع.

أمّا بعد ماكيندر، ماذا عن سبيكمان؟ كيف عبّر في نظريّته عن أهمّية منطقة آسيا الوسطى؟ هذا ما سوف تجيب عليه الفقرة الثّانية من هذا الفصل، وهي التّالية.

---

[1] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

[2] المرجع أعلاه.

[3] المرجع أعلاه.

[4] المرجع أعلاه.

الفَقَـرَةُ الثّانيـة:

مَكَـانَةُ مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْـطَى فِـي نَظَرِيَّـة نيكُولاس سبيكمَان

أ- أسس نظريّة سبيكمان:

كما أوردنا في الفقرة الثّانية من الفصل السّابق، كان نيكولاس سبيكمان، أهمّ مؤسّسي المدرسة الواقعيّة الأميركيّة، قد عارض بنظريّته، التّي ظهرت إلى العلن في كتابه الصّادر عام ١٩٤٤ والذّي حمل عنوان "جغرافيّة السّلام" **"The Geography of Peace"**،[1] نظريّة نظيره هالفورد ماكيندر، بعدما اعتبره قد بالغ أوّلًا في إيلائه تلك الأهمّيّة الجيوبوليتيكيّة الكبيرة لمنطقة القلب، وثانيًا في إشارته إلى أنّ من يسيطر عليها يتمكّن من التّحكّم بالجزيرة العالميّة؛ إلّا أنّه وافق على الجزء الذّي يقول فيه ماكيندر أنّ من يسيطر على الجزيرة العالميّة يتمكّن من التّحكّم بالعالم بأسره.[2]

وفي مقاربته اعتبر أنّ الهلال الدّاخلي (Inner Crescent) لدى ماكيندر، الذّي يضمّ كلًّا من أوروبا وشبه الجزيرة العربيّة والعراق، وآسيا الوسطى، وإيران، وأفغانستان، والهند، وجنوب شرق آسيا، وشرق سيبيريا، والصّين وكوريا، هو أهمّ من من منطقة قلب الأرض لدى ماكيندر،[3] نسبة إلى غناه بالموارد الطّبيعيّة وارتفاع نسبة كثافته السّكّانيّة، عدا عن امتداده على مساحة جغرافيّة واسعة المدى،[4] وأطلق على هذا الهلال تسمية أرض الحافّة أو الإطار (Rimland)، [5] وهذه الأرض هي المنطقة الوسطيّة التّي تقع بين روسيا (قلب الأرض في نظره) والبحار المشاطئة لها.[6]

---

[1] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة...**، مرجع سابق، ص. ص. 234 – 235

[2] عبّاس محمّد قطايا، **الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة – تحوّلات الجغرافيا السّياسيّة وتوظيفاتها الجيوبوليتيكيّة**، مرجع سابق، ص. ص. 28 – 29

[3] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

[4] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة...**، مرجع سابق، ص. 235

[5] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص. 24

[6] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 105



خارطة رقم 8: تُظهر قلب الأرض (روسيا) وأرض الإطار التّي تضمّ آسيا الوسطى في نظريّة سبيكمان[1]

اعتبر سبيكمان أنّ أرض الحافّة هي من تمدّ شريان قلب الأرض بالحياة بما أنّها تمتلك مقوّمات جيواستراتيجيّة على قدرٍ عالٍ من الأهميّة،[2] فبالإضافة إلى احتوائها ثلثي سكّان العالم، هي تُنتج ثلثي النّاتج الإجمالي العالمي، إلى جانب ضمّها أهمّ الممرّات البرّيّة والبحريّة، وأكبر دولتين في العالم من حيث عدد السّكان وهما الصّين والهند، دون أن ننسى غناها بالموارد الطّبيعيّة وتميّزها بالمقدرات النّوويّة الهائلة.[3] وهذا ما جعلها بطبيعة الحال ساحة لصراعاتٍ دوليّة مستمرّة.

حافّة الأرض بالنّسبة لسبيكمان هي المنطقة الأكثر حيويّة من العالم، حتّى أنّه وصفها بمفتاح السّيسة العالميّة، أمّا قلب الأرض فهو منطقة ميتة بما أنّها "حبيسة" تلك الحافّة الغنيّة بثرواتها ومواردها الطّبيعيّة...[4] من هنا خَلُصَ سبيكمان إلى انّ من يسيطر على منطقة الحافّة يسيطر على قارّة أوراسيا بأكملها، وأنّ من يسيطر على قارّة أوراسيا يضع مصير العالم في قبضة يديه.[5]

[1] Source: www.lesyeuxdumonde.fr

[2] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 106

[3] المرجع أعلاه.

[4] المرجع أعلاه.

[5] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة**... مرجع سابق، ص. 235

ب- منطقة آسيا الوسطى منطلق تطبيق نظرية سبيكمان:

أمّا عن علاقة الموقع الجغرافيّ لمنطقة آسيا الوسطى بالبحث عن الهيمنة والنّفوذ في أرض الحافّة، فتجدر بنا الإشارة إلى أنّ أرض الحافّة أو الإطار تلك وإذا ما قرأنا فقط أسماء الدّول التّي تضمّها وهي على التّوالي: أوروبّا بأكملها، وشبه الجزيرة العربيّة، والعراق، وإيران، وآسيا الوسطى، وأفغانستان والهند، والصّين، وجنوب شرق آسيا وكوريا وسيبيريا الشّرقيّة،[1] يتّضح لنا بأنّ الخاصرة الضّعيفة أو الأرض الأكثر قابليّة للسّيطرة والصّراع هي آسيا الوسطى، إذ أنّها تضمّ خمسة بلدان تتنازع الدّول الكبرى على النّفوذ والسّلطة فيها، ويتوسّطها بحر قزوين، بحر الصّراعات والإنقسامات والخلافات، والاختلافات.

لا يمكننا أن نغضّ الطّرف عن أنّ آسيا الوسطى هي نتاج تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ، وهي المنطقة التّي تقع في حديقته الخلفيّة ويتمّ شدّ الحبال فيها شرقًا وغربًا لغاية اليوم طمعًا بضمّها إلى أحد "المعسكرَين"...

هذه الفكرة تعيدنا إلى واقعة انتصار الحلفاء في الحرب العالميّة الثّانية، وسيطرتهم على معظم مناطق أرض الحافّة، الأمر الذّي شكّل المحرّك الأساس لقارب رسم السّياسة الخارجيّة الأميركيّة عامّة وعقيدة الاحتواء خاصّة، التّي كان ربّانها جورج كينان وتبنّتها الولايات المتّحدة الأميركيّة لتطويق تمدّد الاتّحاد السّوفياتيّ إبّان الحرب الباردة.[2] وكانت خلفيّة اعتبارها أنّ أرض الإطار أو الحافة بشكلٍ عام ومنطقة آسيا الوسطى بشكلٍ خاص كانت بمثابة أرض اصطدام أو **Crush Zone** ستشهد حتمًا أعتى أنواع الصّراعات بهدف السّيطرة على ممرّاتها ومواردها الطّبيعيّة.[3]

من جهتها كانت روسيا أو الاتّحاد السّوفياتيّ حينها يسعى إلى التّوغّل فيها للوصول إلى البحار والمحيطات، خاصّة وأنّ المياه التّي تحاوطه ليست بمياهٍ دافئة ويستحال القيام بالملاحة فيها، لا عسكريًّا، لا تجاريًّا، ولا حتّى سياحيًّا.[4] فكانت أرض الحافّة عامّة وآسيا الوسطى خاصّة تشكّل الهدف الأوّليّ لاستراتيجيّة

---

[1] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 104

[2] المرجع أعلاه، ص. 106

[3] المرجع أعلاه.

[4] المرجع أعلاه.

السّيطرة الرّوسيّة طمعًا بالمنافذ البحريّة الاستراتيجيّة إلى جانب الموارد الطّبيعيّة الخام والنّفوذ السّياسيّ على أراضيها إحقاقًا للمنافسة الشّرسة ضدّ الفريق الغربيّ.[1]

وإذا ما عدنا إلى خلاصة نظريّة سبيكمان التّي تفيد بأنّ "من يسيطر على أرض الحافّة يحكم أوراسيا ومن يحكم أوراسيا يتحكّم بمصائر العالم"،[2] نرى بأنّ أرض الحافّة هي منطقة شاسعة الامتداد الجغرافيّ، ومن الصّعب السّيطرة عليها بأكملها كخطوة أوليّة، لذا وجب إيجاد المدخل الأساس إلى داخل هذه الأرض، لإحكام السّيطرة عليه كمقدّمة للتّحكّم بأرض الحافّة كلّها. ومن الواضح أن آسيا الوسطى هي هذا المفتاح الذّي تتصارع الدّول الكبرى كافّة من أجل الحصول عليه، وهذا ما استدعى بطبيعة الحال لجوء الولايات المتّحدة الأميركيّة إلى اعتماد سياسة الاحتواء في الحرب الباردة وذلك لمنع خصمها السّوفياتيّ من التّوسّع والقدوم إلى تلك المنطقة.[3]

حتّى أنّنا سوف نشرح بشكلٍ مفصّل كيف تدير كلّ من روسيا الإتّحاديّة والولايات المتّحدة الأميركيّة إضافةً إلى الصّين الشّعبيّة طبعًا، كلّ على حدى، مصالحها الجيوبوليتيكيّة في منطقة آسيا الوسطى، وذلك في الفصل الثّاني من القسم الثّاني والأخير من هذه الدّراسة البحثيّة.

يبدو من الجليّ أنّ واقع منطقة آسيا الوسطى في منطقة الحافّة لدى سبيكمان يحمل من الأهمّيّة بما يكفي الدّول الكبرى بأن تسيطر عليها دون سواها في بداية الأمر، وحتى أيضًا أن تكتفي بتلك السّيطرة نظرًا لنسبة الموارد الطّبيعيّة العالية الجودة التّي تحويها بالإضافة إلى توسّط بحر قزوين لها، دون أن ننسى كونها أرض قابلة لمرور خطوط الأنابيب النّفطيّة عليها، وهذا ما تقوم الدّول الكبرى بالتّنازع عليه، والتّنافس عن طريق كسب رضى السّتانات الخمس من خلال تبادل المصالح بينها. (أنظر خارطة رقم ٩ في الصّفحة ٤٦)

حتّى أنّ سبيكمان بنفسه اعتبر أنّ الاتّحاد السّوفياتيّ لن يتمكّن من السّيطرة على العالم ما لم يتمكّن من السّيطرة على أرض الحافّة وينجح في الاستحواذ عليها؛[4] من هنا جاء تأكيده على دوام استمراريّة التّنافس البرّيّ والبحريّ عليها بشكلٍ عام وعلى مفتاحها الاستراتيجيّ آسيا الوسطى بشكلٍ أكثر تخصّصًا.

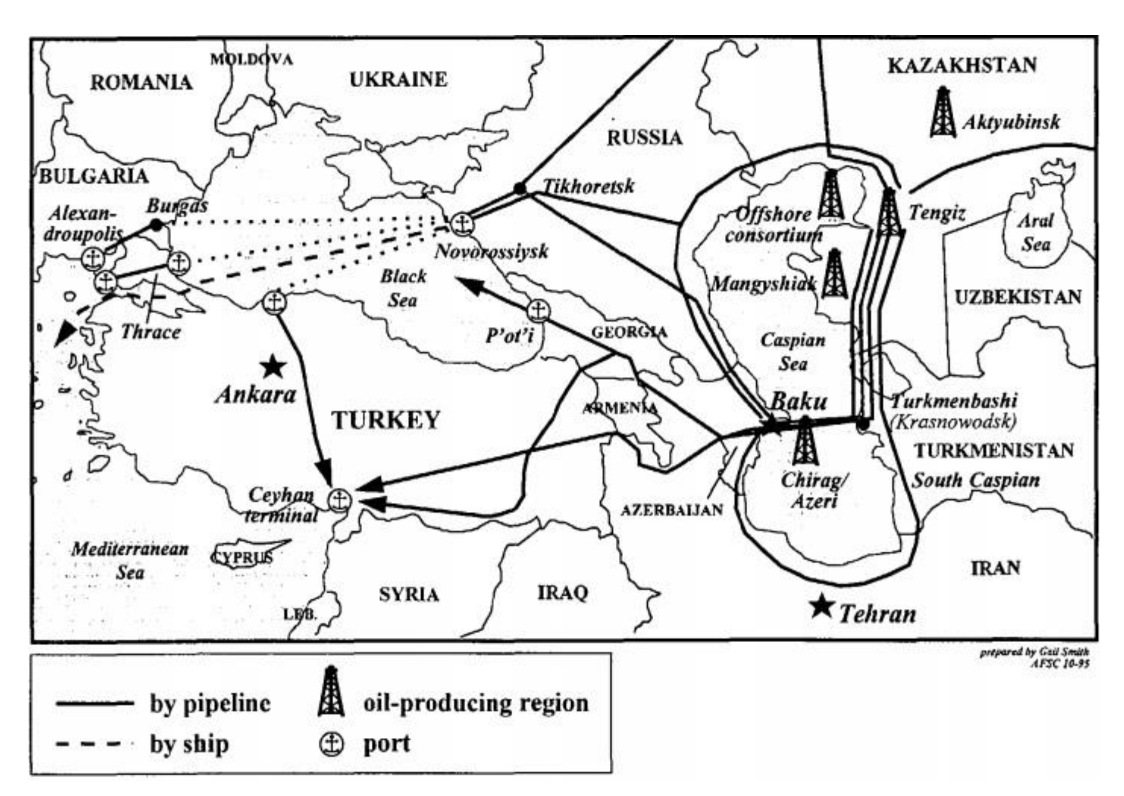
---

[1] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص.ص. 24 – 25

[2] محمّد عبدالغني سعودي، **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة**... مرجع سابق، ص. 235

[3] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص. 25

[4] المرجع أعلاه، ص. 24



خارطة رقم 9: تُظهر طرق إمدادات أنابيب النّفط والغاز من أذربيجان، تركمانستان، وكازاخستان إلى روسيا، تركيا وإيران.[1]

بالنّظر إلى الخارطة أعلاه، تتضّح لنا عمليًّا أهمّيّة منطقة آسيا الوسطى كمضخّ حيويّ للموارد الطّبيعيّة لصالح الدّول الإقليميّة القريبة، (علمًا أنّ الخارطة هذه لم تظهر استفادة الصّين الشّعبيّة من تلك الإمدادات، لكنّنا سوف نتحدّث عنها في فصلٍ لاحق)... من هنا تعتبر منطقة آسيا الوسطى كنز طاقةٍ استراتيجيّ تسعى هذه الدّول للاستفادة منه قدر الإمكان، وتخوض "معارك" شرسة لخدمة هذا الهدف الأساسيّ في سياساتها الجيواقتصاديّة.

بالنّسبة لنيكولاس سبيكمان، يتمّ في أرض الحافّة ككلّ تحديد ميزان القوى العالميّ، كما وأنّه من الضّروريّ على الدّول المعادية لـ"المعسكر الشّرقيّ" أن تبذل قصارى جهدها للسّيطرة عليها وذلك بهدف التّخفيف من وطأة أهمّيّة منطقة قلب الأرض بحسب رأيه.[1]

[1] M. E. Ahrari, **The New Great Game In Muslim Central Asia,** op – cit, p. 55

ت-خلاصة واستنتاجات:

تفيد خلاصة تحليلنا في هذه الفقرة بأنّ السّيطرة على مركز القارّة الأوراسيّة: منطقة آسيا الوسطى توازي جيوبوليتيكيًّا بأهمّيّتها أهمّية السّيطرة أو التّحكّم بمنطقة قلب الأرض لدى ماكيندر، هذا إن لم نقل تفوقها أهمّيّة... هذا ما نستطيع استنتاجه من نظريّة سبيكمان الجيوبوليتيكيّة، وهذا ما يبرّر تصارع الدّول الكبرى عليها وعلى "تجميعها" لمصالح جيواستراتيجيّة فيها، تكون لها سندًا عند اشتداد المنافسة في "اللّعبة الكبرى الجديدة".

أمّا لناحية المصالح المذكورة فسوف نخصّص لها فصلًا توضيحيًا في القسم التّالي نبوّب فيه مصالح كلٍّ من الولايات المتّحدة الأميركيّة وروسيا الاتّحاديّة والصّين الشّعبيّة في منطقة آسيا الوسطى، ونكون بذلك قد قدّمنا مقاربة عمليّة تطبيقيّة لنظريّة سبيكمان حول أرض الحافّة، كما للنّظريّتين الجيوبوليتيكيّتين الأخرَيين، بيّنّا فيها الأهميّة الفعليّة لجيوبوليتيك منطقة آسيا الوسطى وتأثيره على رسم الدّول الكبرى لاستراتيجيّاتها المستقبليّة تجاه المنطقة.

لكن قبل أن نختم لا بدّ من أن نوضح إنّه بما أنّ سبيكمان كان يرى في نظريّته بأنّ أرض الإطار أو الـ Rimland هي نقطة أساسيّة يرتكز عليها تحقيق أهداف السّيطرة العالميّة، أوضح أنّه لتحقيق ذلك، وجب البدء أوّلًا بالتّوسّع الاستراتيجيّ التّدريجيّ الطّويل الأمد تمهيدًا للسّيطرة على الإطار، وذلك عن طريق "احتلال" منطقة والسّيطرة عليها بشكلٍ كامل لتكون بدورها قاعدة ترتكز عليها الدّولة الطّامحة للسّيادة للتوسّع في "هجومها" التّالي.[2] واعتبر أنّ إمكانيّة التّوسّع ترتبط بشكلٍ طرديّ مباشر بسهولة حركة التّوسّع، أي بمعنى آخر بضعف مقاومة هذا التّوسّع؛[3] فكلّما كانت وجهة الدّول التّوسّعيّة دول ضعيفة لناحية الاستقرار

---

[1] Rémie Baraize, **Divers / Poudrières en MDC – Le Vietnam, là où s'accrochent les empires : « île monde » eurasiatique contre thalassocratie dans la théorie globale du « Grand Jeu »**, le blog de la géopolitique du Vietnam, 18 Juin 2017 : https://vinageoblog.wordpress.com/tag/spykman/

[2] **النّظريّة الجيوسياسيّة**، منشورة في "موسوعة الدّراسات الإستراتيجيّة"، مرجع سابق:
https://www.politics-dz.com/threads/alnzri-algiusiasi.5981/

[3] المرجع أعلاه.

السّياسيّ والأمني، ضعفت إمكانيّة مقاومة تلك الأخيرة ودفاعها عن أمنها القوميّ وبالتّالي ازدادت إمكانيّة نجاح الدّول التّوسّعيّة في مخطّطاتها الهجوميّة.

بعد هذا التّحليل البسيط، تتجلّى بوضوح أمامنا صورة منطقة آسيا الوسطى بدولها التّي تفتقر إلى الاستقرار السّياسيّ والأمنيّ فتتحوّل بذلك إلى ثقبٍ في الحائط المنتصب أمام الدّول الطّامحة إلى السّيادة العالميّة، لتقوم هذه الأخيرة بمحاولات استغلالها تدريجيًّا والسّيطرة عليها تباعًا موسّعة بجيواستراتيجيّاتها الكبرى ثقب هذا الحائط، لتدخل منه إلى مرحلة السّيطرة على كامل أرض الإطار Rimland، ومن ثمّ العمل على السّيطرة على قارّة أوراسيا بكاملها تنفيذًا لنظريّة سبيكمان هذه، التّي تؤدّي في نهاية المطاف إلى السّيطرة على العالم بأكمله.

نعيد ونذكّر هنا أنّ إمكانيّة تحقيق ذلك كلّه من قبل دولة واحدة هو شبه مستحيل، مهما كانت هذه الدّولة كبيرة وعظمى ومهما كانت قدراتها العسكريّة متطوّرة برًّا وبحرًا وجوًّا، وذلك نظرًا للطّبيعة الجغرافيّة لأرض الحافّة وموقعها الممتّد على مساحة شاسعة[1]، اللّذان يتطلّبان جهودًا تحالفيّة عديدة وتنازلات سياسيّة متنوّعة بين الدّول لبلورة مطامعها التّوسّعيّة في المنطقة، لكن هذا لا ينفي أهميّة منطقة آسيا الوسطى في ذلك، إنّما على العكس، فهو يزيد من أهمّيتها لناحية أنّها مرحلة ضروريّة وأساسيّة من مراحل السّيطرة الأوّليّة على أرض الإطار. ويمكن وصفها بأنّها مصغّر عن تلك الأرض التّي تحدّث عنها سبيكمان نظرًا لتشابه المواصفات بينهما لناحية الكثافة السّكانيّة والموارد الطّبيعيّة والأهميّة الاستراتيجيّة.

أمّا الآن فلا بدّ لنا من أنّ نضطلع على رأي مستشار الأمن القوميّ الأميركيّ السّابق زبيغنيو بريجنسكي حول هذا الموضوع، لندرك أهميّة منطقة آسيا الوسطى بالنّسبة لنظريّته، نظريّة المساحة الوسطيّة، وذلك في الفقرة التّالية والأخيرة من هذا الفصل.

---

[1] محمّد رياض، **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مرجع سابق، ص. 79

الفَقَـرَةُ الثّالـثـة:

مَكَـانَةُ آسْيـا الوُسْـطَى فِـي نَظَريَّـة زبغنيـو بـريجنسكــي

أ- أسس نظريّة بريجنكسي:

على اعتبار أنّ مجمل التّحدّيات التّي تواجهها الولايات المتّحدة الأميركيّة هي ذات جذور أوراسيّة،[1] رأى المفكّر والباحث الاستراتيجيّ، ومستشار الأمن القوميّ الأميركيّ السّابق زبيغنيو بريجنسكي، أنّ القارّة الأوراسيّة هي المحور في مجال الجيوبوليتيك،[2] والجائزة الجيوبوليتيكيّة الرّئيسة للولايات المتّحدة الأميركيّة،[3] وبالتّالي فإنّ سيطرة هذه الأخيرة عليها سيمكّنها من سدّ فراغٍ جيواستراتيجيّ كبير حال دون سيادتها على العالم ككلّ[4] كما ذكرنا سابقًا.

القارّة الأوراسيّة هي المحور في مجال الجيوبوليتيك، لأنّه وبحسب بريجنسكي، المحاور الجيوبوليتيكيّة في العالم تتكوّن من الدّول التّي تستمدّ أهميّتها من موقعها الحسّاس أوّلًا، ومن النّتائج المترتّبة عن ظرفها الهشّ ضمنًا ثانيًا، ومن كونها خاضعة لإمرة وتصرّفات اللّاعبين الجيواستراتيجيّين الدّوليّين ثالثًا، ولا تستمدّها من قوّتها ودوافعها على الإطلاق.[5]

كانت أوراسيا مركز الدّول الأكثر صلابةً والأشدّ عزيمة وديناميكيّة على مرّ التّاريخ بحسب قوله،[6] وذلك يعود إلى أنّها ضمّت الصّين والهند، الدّولتين الأكثر قوّة وتصميمًا وكثافةً سكّانيّة في فضائها السّياسيّ، وهاتين الدّولتين هما المنافستان الأشدّ ضراوة للولايات المتّحدة الأميركيّة في سلّم صعودها العالميّ،[7] مع الإشارة إلى أنّه تعمّد ربّما عدم ذكر روسيا الاتّحاديّة كمنافس وذلك كتكتيكٍ معهود لدى الإدارة الأميركيّة من ضمن تكتيكات استراتيجيّاتها النّاعمة للتّخفيف من شأن منافسيها معنويًّا.

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 48

[2] المرجع أعلاه.

[3] المرجع أعلاه، ص. 47

[4] المرجع أعلاه، ص. 52

[5] المرجع أعلاه، ص. 59

[6] المرجع أعلاه، ص. 48

[7] Constantin Hilhor, **Geopolitics from a classical...**, op – cit, p. 34

من هنا خَلُص بريجنسكي إلى أنّ الهيمنة على القارّة الأوراسيّة توفّر بشكلٍ تلقائيّ القاعدة الأساسيّة للسّيادة العالميّة،[1] وجاءت نظريّته الجيوبوليتيكيّة التّي نقلت الفكر الجيوبوليتيكيّ من الحيّز الإقليميّ الضّيق إلى البعد العالميّ الأوسع مدى.

نعيد ونذكّر بأنّ نظريّته أفادت بأنّ: "من يهيمن على أوراسيا، يهيمن تلقائيًا على معظم منطقة إفريقيا والشّرق الأوسط"[2] وبالتّالي يتبيّن لنا أنّه بتطبيق هذه النّظريّة لن يبقَ من العالم سوى القارّة الأميركيّة والقارّة الأستراليّة، مع الإشارة إلى أنّ بريجنسكي كان يتحدّث من منظار أميركيّ، أي بما معناه كان يقول بأنّ الجهة الأميركيّة هي الفاعل وهي التّي تريد أن تجعل من باقي بقاع العالم، مفعولًا بها.

فنظريّته هذه، التّي أطلق عليها تسمية نظريّة "المساحة الوسطيّة"،[3] أشارت إلى أنّ السّيطرة العالميّة للولايات المتّحدة الأميركيّة تبقى دائرة غير مكتملة البنيان ما لم تُتَمّم هيمنتها على القارّة الأوراسيّة، وعندما تهيمن عليها، تمتدّ الطريق أماها للسّيادة على العالم أجمع.[4]

وقال في رقعة الشّطرنج الكبرى أنّ: "السّياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأميركيّة يجب أن تظلّ معنيّة بالبعد الجيوبوليتيكيّ، وينبغي عليها أن تستخدم نفوذها في أوراسيا بطريقة تخلق توزانًا مستقرًّا في القارّة، تقوم على رأسه الولايات المتّحدة كمرجعٍ وحكمٍ سياسيّ"[5]. وهذا القول بيّن بشكلٍ واضح مدى أهمّيّة هذه الرّقعة من العالم بنظره نسبةً إلى الإدارة الأميركيّة...

ب- آسيا الوسطى "مركز الثّقل الاستراتيجيّ" في رقعة الشطرنج الكبرى:

إلى ذلك، أشار بريجنسكي في نظريّته كما ذُكر في ما سبق، إلى أنّ المنطقة التّي تقع في جنوب القارّة الأوراسيّة تجمع ما بين الفوضى السّياسيّة ومصادر الطّاقة الغنيّة، وتتمتّع بأهمّية عظمى نظرًا لأنّ بعض دولها تتّخذ رؤى الهيمنة الإقليميّة[6]... هذه المنطقة ما هي بمجملها من المنظور الواسع إلّا منطقتَي

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 48

[2] المرجع أعلاه.

[3] المرجع أعلاه، ص. 52

[4] المرجع أعلاه.

[5] المرجع أعلاه، 12

[6] المرجع أعلاه، ص. 52

آسيا الوسطى وحوض المتوسّط، اللّتين اعتبرهما بريجنسكي تقعان على خطّ عدم الاستقرار والأزمات الطّويلة الأمد.

هنا نشير إلى أنّ عاملان مهمّان تبحث عنهما الدّول الكبرى لتوسيع نفوذها وسلطتها، يتواجدان في منطقة آسيا الوسطى بشكلٍ مشترك وهما: 1 – مصادر الطّاق الغنيّة ؛ 2 – الفوضى السّياسيّة وعدم الاستقرار. وهذان العاملان بتواجدهما فيها كانا قد شكّلا منها تربةً خصبةً للتّنافس الدّوليّ العالميّ... فالتّنافس يحصل عادة في العالم بغاية احتكار هكذا موارد طبيعيّة واستغلالها اقتصاديًّا وسياسيًّا، فكيف بالحريّ إذا ما كانت تلك الموارد متوافرة في منطقة يسودها عدم الاستقرار السّياسيّ والاقتصاديّ في الأساس؟ هذا ما جعل هذه المنطقة محطّ أنظار القوى العالميّة الكبرى وعلى رأسها الولايات المتّحدة الأميركيّة، روسيا الاتّحاديّة والصّين الشعبيّة.

أمّا بوصفه لمنطقة آسيا الوسطى على أنّها "مركز ثقل استراتيجيّ"[1] في المحور الجيوبوليتيكيّ الذّي تشكّله القارّة الأوراسيّة، يكون بريجنسكي بذلك قد أكّد بشكلٍ صريح مدى أهمّيّة آسيا الوسطى نسبةً للإدارة الأميركيّة في الفترة التّي تقع ما بعد الحرب الباردة، وذلك يمكننا أن نعيده بطبيعة الحال إلى أنّها تشكّل مجال نفاذ ونفوذ للدّول الآسيويّة المعادية للإدارة الأميركيّة، وتمنع اللّاعبين الاستراتيجيّين الدّوليّين من الحصول على الموارد الأوراسيّة،[2] أي بما معناه يمكننا القول أنّ طريق الدّول الكبرى نحو أوراسيا تمرّ بآسيا الوسطى، فهي المفتاح الذّي يتمكّن من يحوذ عليه بأن يتدخّل ويتحكّم بالقارّة الأوراسيّة وشؤونها وشجونها.

كون منطقة آسيا الوسطى تشكّل أوّلًا منطقة نفوذ إلى داخل القارّة الأوراسيّة، وثانيًا تقف عائقًا أمام اللّاعبين الدّوليّين يحول دون حصولهم على الموارد الموجودة داخل القارّة الأوراسيّة؛ هذا يؤكّد على أنّ منطقة آسيا الوسطى هي منطقة محوريّة من منظور بريجنسكي الذّي عاد وحدّد المناطق المحوريّة بقوله: "غالبًا ما يتحدّد كون دولة ما محورًا جيوبوليتيكيًّا بجغرافيّتها التّي تمنحها في بعض الأحيان دورًا خاصًّا إمّا في تحديد النّفاذ إلى مناطق مهمّة، أو في حجب الموارد عن لاعب مهمّ".[3]

[1] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 109

[2] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 48

[3] المرجع أعلاه، ص. 59

يتّضح لنا بذلك أنّ منطقة آسيا الوسطى هي نقطة ارتكاز أساسيّة، لا بل النقطة الوحيدة التّي يجب الاستحواذ عليها لتنفيذ مشروع القيادة العالميّة الجديدة، والارتكاز عليها كسند في مواجهة المنافسين والخصوم الدّوليّين... فهي المنطقة الاستراتيجيّة الأكثر أهميّة التّي تتحكّم بمجال أوراسيا الجيوبوليتيكيّ الرّحب، الممتدّ من أقاصي أوروبا الغربيّة حتى أقاصي شرق آسيا،[1] لا بل هي "محور المحور الجيوبوليتيكيّ" بما معناه أنّها نواة المحور الجيوبوليتيكيّ الذّي تشكّله قارّة أوراسيا على الصّعيد العالميّ.

لذا، فإنّ أية فكرة توسّع أو امتداد تصدر من الغرب أو من الشّرق لا يمكن أن تنفّذ على أرض الواقع إلّا من خلال المرور بآسيا الوسطى...[2] فلا يرتسم في أفق جيواستراتيجيّات إدارات الدّول الكبرى سوى هذا الطّريق كخيارٍ واحدٍ ووحيد للوصول إلى تحقيق المرام، ولكلّ طريق معالمه وعراقيله، والأقوى في استدراك المعالم واجتياز العراقيل الوسط آسيويّة هو المنتصر في نهاية المطاف، وهو الذّي سيتحكّم بزمام الأمور حتمًا.

تكون آسيا الوسطى بنظر بريجنسكي بذلك، ممرًّا إلزاميًا للسّيطرة على أوراسيا، وبالتّالي هو أجبر بشكلٍ غير مباشر إدارة الولايات المتّحدة الأميركيّة على أن تجعل من آسيا الوسطى هذه محطّ أنظار وأفكار كلّ الاستراتيجيّين والجيواستراتيجيّين والجيوبوليتيكيّين خاصّتها، لترسم بذلك الجيواستراتيجيّة الأفضل للهيمنة عليها، ومن بعدها فرض الهيمنة الشّاملة على القارّة الأوراسيّة بأكملها، وخصّص لها فقرة خاصّة في كتابه رقعة الشّطرنج الكبرى، سوف نقوم بدرسها في القسن الثّاني من هذا البحث.

لا يمكن أن نغفل عن فكرة أنّ آسيا الوسطى تقع في العمق الاستراتيجيّ الحيويّ لروسيا الاتّحاديّة، المنافس الأكبر للولايات المتّحدة الأميركيّة، لكنّها ذات توجّه حضاري إسلامي مختلف عن التّوجّه السّلافيّ الأرثوذكسيّ الرّوسي.[3] وهذه النّقطة يمكن للولايات المتّحدة أن تستغلّها لكي تحرز نقطة إضافيّة في المرمى

---

[1] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 107

[2] المرجع أعلاه.

[3] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص. 22

الرّوسي، لكن هذا الأمر يتطلّب حنكة عالية ودراية دقيقة بشؤون المنطقة وآمال سكّانها وآلامهم،[1] وهذا ما سوف نعرضه في الفقرة المخصّصة لهذا الموضوع في الفصل الأخير من هذه الدّراسة.

نعود إلى موضوع فقرتنا لنشير إلى أنّ بريجنسكي اعتبر أنّ الموقع الجغرافيّ لآسيا الوسطى يجعل منها جسرًا يربط الشّرق بالغرب، فتزداد أهمّيتها بذلك، كونها ستربط في الواقع أكثر المناطق ثراءً ونشاطًا في الشّرق والغرب الأوراسيّ،[2] لتكون آسيا الوسطى بذلك المساحة الوسطيّة في القارّة الأوراسيّة، وهي المساحة التّي تحدّث عنها في نظريّته[3]. وهذه المساحة هي ساحة للتّنافس الدّوليّ للقوى الكبرى بهدف فرض الهيمنة الشّاملة على العالم.

واعتبر بريجنسكي من ناحية أخرى أنّه بحال سقطت هذه المنطقة بيد لاعبٍ دوليّ واحد أو "متّحد أوراسيّ واحد" كما أسماه، سوف تزداد الضّغوطات على الولايات المتّحدة الأميركيّة،[4] لأنّه بحال تمّ ذلك سيكون العالم أمام مقدّمة تبشّر بتوحّد الشّرق بكامله، فتتم إزاحة النّفوذ الأميركيّ من آسيا الوسطى، وبالتّالي من أوراسيا ككلّ،[5] ونعود بذلك إلى الفراغ الاستراتيجيّ من جديد الذّي يمنعها من إكمال دائرتها لتبسط نفوذها على العالم أجمع.

وما من حلّ أمام الإدارة الأميركيّة بحسب بريجنسكي إلّا بالاستفادة من الفراغ الذّي شكّله تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ بعد الحرب الباردة... وإذا ما تمّت تعبئة هذا الفراغ يمكن للقوّة الأميركيّة العظمى في منظوره التّمدّد في شطر الفراغ الأوراسيّ هذا.[6]

أمّا عن فكرة بناء "القوّة الكونيّة الكاسحة" **"Hyper Power"** التّي تطمح الولايات المتّحدة الأميركيّة بأن تحقّقها، فيرى بريجنسكي أنّ ذلك لن يحصل دون أن تنشئ هذه الأخيرة قواعد عسكريّة على

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 53

[2] المرجع أعلاه، ص. 52

[3] محمّد الياس خضير، سرمد خليل ابراهيم، **متغيّر الطّاقة في السّياسة الخارجيّة التّركيّة حيال دول آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة**، منشور في "مجلّة قضايا سياسيّة"، عدد 35، جامعة النّهرين – العراق، 2014، ص. 195

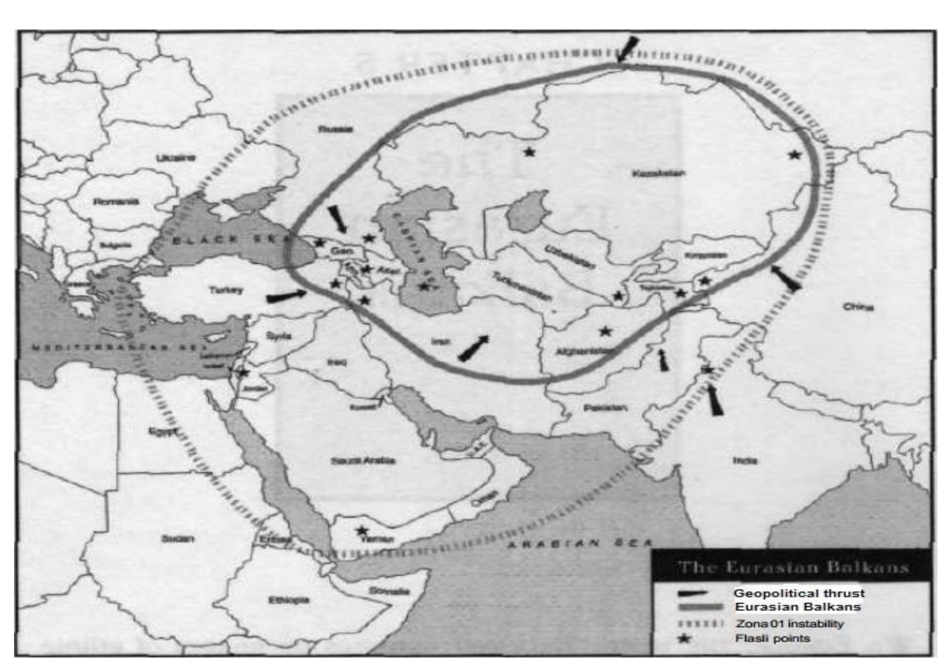
[4] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص.ص. 12 – 13

[5] المرجع أعلاه، ص. 52

[6] سفيان بو سنان، **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، مرجع سابق، ص. 108

أراضي جمهوريّات آسيا الوسطى كونها وبحسب إدراكها هي المنطقة الاستراتيجيّة التّي تتوسّط العالم،[1] وبالتّالي هي محور العالم، محور كلّ الصّراعات والمنافسات والنّزاعات الدّوليّة... لأنّ من يتحكّم بالمحور، يتمكّن من التّحكّم بالأطراف حتمًا.

وفي الفصل الخامس من كتابه "رقعة الشّطرنج الكبرى" اعتبر بريجنسكي أنّه كما لأوروبّا "بلقانها" التّي تتنافس الدّول العظمى عليها، كذلك لأوراسيا "بلقانها" الخاصّة بها، لكنّها أوسع حجمًا وأكثر نفوذًا وأشدّ تنوعًا من النّاحيتين العرقيّة والدّينيّة من البلقان الأوروبّيّة.[2] وهي تقع في "المستطيل الجغرافيّ" الذّي يمثّل منطقة عدم الاستقرار في العالم، بحسب بريجنسكي، والذّي يضمّ أجزاءً من جنوب شرق أوروبّا، ومن جنوب آسيا، ومن الشّرق الأوسط والخليج الفارسيّ إلى جانب منطقة آسيا الوسطى.



خارطة رقم 10: تُظهر موقع "البلقان الأوراسيّة" داخل المستطيل الجغرافيّ لـ "عدم الاستقرار".[3]

---

[1] محمّد حمد السّعدون، **نظريّة ماكيندر: قراءة جديدة في ظلّ الهيمنة الأميركيّة**، منشور في "مجلّة الدّراسات الدّوليّة"، عدد 28، كلّيّة العلوم السّياسيّة، جامعة بغداد، 2005، ص. ص. 95 – 96.

[2] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 157

[3] Zbigniew Brzezinski, **the Grand ChessBoard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives**, op – cit, p. 124

وبالنّظر إلى الخارطة أعلاه، يتبيّن لنا أنّ منطقة "البلقان الأوراسيّة" هي منطقة القلب الدّاخليّة لهذا المستطيل، لكن ما يميّزها عن المناطق الخارجة عنها هو أنّها تشكّل منطقة "فراغ في القوّة"[1] بحسب بريجنسكي، مع الإشارة إلى أنّ تلك المناطق (الخارجة عن البلقان الأوراسيّة) هي أيضًا مناطق غير مستقرّة، إلّا أنّها بمجملها خاضعة للنّفوذ والهيمنة من قبل جانب واحد هو الجانب الأميركيّ الذّي يسعى باعتبار بريجنسكي إلى تقييد حالة عدم الاستقرار القائمة في المنطقة. لكن بما يخصّ البلقان الأوراسيّة، فهي إلى جانب عدم الاستقرار الذّي يخيّم على أجوائها، تشكّل وضعًا خاصًّا "يغري" الدّول المجاورة لها على التّدخّل في شؤونها، كونها "فارغة من القوّة"، ممّا يخلق حالة من التّنافس الشّرس بين تلك القوى المتعارضة التّي تسعى كلّ واحدة منها إلى منع منافستها من إحراز السّيطرة المرجوّة على تلك المنطقة.[2]

وبمقارنة مع البلقان الأوروبيّة التّقليديّة، التّي كانت تصنّف على أنّها "المكافأة الجيوبوليتيكيّة" المحتملة في التّنازع على السّيطرة الأوروبيّة، رأى بريجنسكي أنّ "البلقان الأوراسيّة" تكتسب أهميّة جيوبوليتيكيّة بسبب وجودها على شبكة النّقل التّي تربط طرفَي أوراسيا الشّرقيّ والغربيّ، وهما الطّرفان الأكثر ثراءً ونشاطًا في القارّة؛ إضافة إلى جوارها المكوّن من الدّول الأكثر قوّة في العالم، روسيا، الصّين، تركيا وإيران؛ والسّبب الأخير والأهمّ في اكتساب تلك المنطقة لأهمّيتها الجيوبوليتيكيّة هو كون مصادر هائلة من الموارد الطّبيعيّة كالغاز والنّفط والعادن المهمّة تتركّز فيها بشكلٍ عام،[3] وفي آسيا الوسطى على وجه الخصوص.

ت-خلاصة واستدراك:

هذه الأمور كلّها تستفزّ الطّموحات الدّوليّة التّوسّعيّة، وتحيي الآمال الجيوبوليتيكيّة، وتحفّز المصالح الجيواستراتيجيّة، وتضرم المنافسات الدّوليّة،[4] خاصّة وأنّ تلك المنطقة من رقعة الشّطرنج هي منطقة "الملك" وفي الوقت عينه تعاني من "فراغ قوّة"... وبذلك نخلص إلى إدراك مدى أهمّية زاوية آسيا الوسطى من هذه الرّقعة الكبرى التّي تناولها بريجنسكي في نظريّته، فيتبيّن لنا أنّها هي الأرض الذّي يقف عليها الملك بمفرده، ويسعى الفريق المعادي على إزاحته من هذا المكان، مستخدمًا استراتيجيّات ونظريّات

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 157

[2] المرجع أعلاه.

[3] المرجع أعلاه، ص. 158

[4] المرجع أعلاه، ص. 159

وفرضيّات فكريّة عدّة تنمّ عن حنكة في القيادة السّياسية العالميّة وذلك لبسط السّيطرة على أراضيه وتحقيق النّصر المرجوّ.

ما هي هذه الاستراتيجيّات والفرضيّات، وبناء على أيّة معطيات تقوم الدّول الكبرى بإعدادها؟ هذا ما سوف يجيب عليه القسم الثّاني من هذه الدّراسة، تمهيدًا للوصل إلى خاتمة دقيقة، تجيب على الإشكاليّة المطروحة والتّساؤلات المرفقة بها بشكلٍ واضحٍ، وتصل إلى خلاصة علميّة تفتح أفقًا جديدًا لدراسة مستقبليّة أخرى في هذا المضمار.

القِسْمُ الثّاني:

جِيـواستـرَاتِيجِيـا الـدُّول الكُـبْرى فِـي مِنطَقَة آسيـا الوُسـطى

إنّ الجمهوريّات الخمس التّي استقلّت عن الاتّحاد السّوفياتي بعد انتهاء الحرب الباردة، والتّي هي: أوزباكستان، تركمانستان، طاجاكستان، كازاخستان، وقيرغيزستان،[1] تقع في قلب آسيا كما سبق وذكرنا، وتشكّل بذلك وحدة إقليميّة واحدة نسبةً لتقاربها الجغرافيّ أيضًا. وهذا الواقع، حسب ما تفيد به معظم التّحليلات السّياسيّة، ممكن أن يشكّل بدوره قاعدة ارتكاز لبناء كتلة سياسيّة واحدة مستقبلًا بحال توافرت الظّروف والشّروط المحدّدة لذلك.[2]

هذه الدّول تمثّل جيوبوليتيكيًّا، مثالًا للدّول الحبيسة أو المغلقة والتّي ليس لها منفذ على أيّ من البحار، باستثناء بحر قزوين المغلق والذّي تطلّ عليه دولتان من أصل خمس، وهي تركمانستان وكازاخستان... إلّا أنّ هذه الجمهوريّات الخمس غير مطلّة ومتّصلة بأي أرخبيل أو ميناء يربطها ببقيّة العالم الخارجيّ.[3]

من النّاحية البريّة هناك ميّزة مهمّة جدًّا تتمتّع بها هذه البقعة الجغرافيّة من العالم، وهي مرور طرق بريّة في جنوبها تصل شرق آسيا أفقيًّا بغربها وصولًا إلى أوروبّا، وهذه الطّرق هي التّي عُرفت تاريخيًّا تحت مسمّى "طريق الحرير"، بالإضافة إلى طرق أخرى تمرّ بشكلٍ عاموديّ في وسطها وتربط شمالي القارّتين آسيا وأوروبّا بقلب القارّة الآسيويّة آسيا الوسطى، تحت مسمّى "طريق الفراء" [4].

---

[1] Encyclopedia Britannica, Macropedia, Vol. 14, 1994, p. 249

[2] حميد شهاب أحمد، **التّنافس الإقليميّ والدّوليّ في منطقة الجمهوريّات الإسلاميّة لآسيا الوسطى**، منشور في "مجلّة دراسات دوليّة"، عدد 28، كلّيّة العلوم السّياسيّة، جامعة بغداد، 2005، ص.3.

https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=60835

[3] المرجع أعلاه.

[4] سيار الجميل، **جمهوريّات آسيا الوسطى وقوقاسيا – الجغرافية التّاريخيّة لجمهوريّات آسيا الوسطى**، مركز الدّراسات التّركيّة، جامعة الموصل، 1992

نشير إضافةً إلى ما سبق أنّ منطقة آسيا الوسطى تعتبر منطقة غنيّة من النّاحية الإيكولوجيّة الطّبيعيّة، إذ أنّها تضمّ في ما يقارب الأربعة مليون كيلومتر مربّع مساحةً (400 994 3 كم²)،[1] صحارٍ واسعة، وواحات، وسهول وجبال تمتدّ من بحر قزوين وتصل إلى حدود الصّين.[2]

وبعدما كانت منطقة آسيا الوسطى ساحة مناورة و"عرض عضلات" عسكريّة، سياسيّة، واقتصاديّة لردحٍ طويلٍ من الزّمن، بدءًا بالاستعمار الرّوسيّ و"اللّعبة الكبرى" في القرن التّاسع عشر، مرورًا بالحرب الباردة في منتصف القرن العشرين،[3] وصولًا إلى الحرب ضدّ الإرهاب في الـ ٢٠٠١ و"اللّعبة الكبرى الجديدة" اليوم؛ باتت حتمًا تحتاج إلى عمليّة "إعادة بناء" كاملة وشاملة، تدخل فيها توازنات ومنافسات عالميّة، إقليميّة، ومحلّيّة،[4] تجعل من النّفوذ الذّي ستمتلكه الدّول المتنافسة على أراضيها مرهونًا بجيواستراتيجيّات هذه الدّول ودورها في عمليّة إعادة البناء الجيوبوليتيكيّ لها.

وإذا ما تمعنّا بموقع آسيا الوسطى الجيوبوليتيكيّ، نتنبّه إلى أنّها تقع في وسطٍ فريد له تأثير أبعد من المجال الإقليميّ الخاصّ به، فهو محاط بحضارات الشّرق الأقصى العريقة بالإضافة إلى الحضارة السّلافيّة، والفارسيّة والعثمانيّة، دون أن ننسى مرور طريق الحرير القديم في وسطه، وهو أهم طريق تبادل تجاريّ تاريخيّ ممتدّ في أوراسيا. ونلاحظ أيضًا أن آسيا الوسطى هي منطقة تفصل بين شبه القارّة الهندية وروسيا الاتّحاديّة والشّرق الأوسط، وهي تشكّل بالتّالي الرّقعة التّي تتحكّم بقلب العالم وتمتلك مفتاح السّيطرة على العالم بأكمله.[5]

من هنا نستنتج أنّ هذه المنطقة لا تشكّل عمقًا حيويًا استراتيجيًا لدولة واحدة فقط، لا بل إنّ القوى العالميّة الكبرى، حتّى تلك البعيدة جغرافيّا عنها (الولايات المتّحدة الأميركيّة) تتنافس في ما بينها على "الأعماق الحيويّة" التّي تراها فيها، بما أنّها الجسر الأساسيّ والوحيد، الذّي بعبوره تضمن لنفسها التّحكم بمصائر العالم أجمع.

---

[1] عبدالله الفلّاح عودة العضايلة، **التّنافس الدّوليّ في آسيا الوسطى: 1991 – 2010**، مرجع سابق، ص. 22

[2] المرجع أعلاه، ص. 24

[3] المرجع أعلاه، ص. 27

[4] المرجع أعلاه، ص. 28

[5] أحمد داوود أوغلو، **العمق الاستراتيجيّ**، الطّبعة الثّانية، مركز الجزيرة للدّراسات، الدّوحة – قطر، 2011، ص. 494

المتخصّص في شؤون منطقة آسيا الوسطى (Lutz Kleveman) لوتز كليفمان، وفي مقالٍ له في صحيفة (The Guardian) البريطانيّة عام ٢٠٠٣ اعتبر أنّ الحرب المعلنة من قبل إدارة جورج بوش ضدّ الإرهاب عام ٢٠٠١ كانت حربًا مستغلّة من قبل الولايات المتّحدة الأميركيّة لتعزيز مصالحها في حوض قزوين،[1] وذلك نظرًا للارتفاع الطّرديّ والمستمرّ لنسبة الطّلب على الطّاقة عند كبار مستهلكي النّفط والغاز العالميّين، بمقابل انخفاض نسبة توافرها في منطقة الخليج الفارسيّ، الأمر الذّي ساهم في زيادة أهميّة منطقة آسيا الوسطى في السّنوات التّالية، وذلك إضافة إلى واقع كونها تمثّل أرضيّة استراتيجيّة بالغة الأهميّة من المنظور الجيوبوليتيكيّ،[2] تضمّ مصالحًا للدّول الكبرى لا حصر لها ولا عدّ.

لذلك ارتأينا أن نخصّص هذا القسم لإيضاح المصالح الجيوبوليتيكيّة لكلّ من القوى الكبرى روسيا الاتّحاديّة، الصّين الشّعبيّة والولايات المتّحدة الأميركيّة في آسيا الوسطى، وذلك في الفقرات الثّلاث للفصل الأوّل منه. أمّا الفصل الثّاني والأخير، فستتمّ فيه دراسة الإدارة الاستراتيجيّة لمصالح هذه القوى المذكورة في منطقة آسيا الوسطى، وذلك أيضًا في الفقرات الثّلاث التّي سترد فيه.

وقبل الولوج في مضمون هذا القسم، أورد تعريفًا علميًّا لمفهوم الـ "جيواستراتيجيّا" الذّي أوضحه بريجنسكي في كتابه "رقعة الشّطرنج الكبرى"، وهو يعني "الإدارة الاستراتيجيّة للمصالح الجيوبوليتيكيّة"[3]. وبالتّالي سنقوم في هذا القسم بإيضاح المصالح الجيوبوليتيكيّة الدّول الكبرى في آسيا الوسطى أوّلًا، وبعد ذلك ندرس إدارتها الاستراتيجيّة لهذه المصالح. فأكون قد قدّمت بذلك عرضًا واضحًا لجيواستراتيجيّاتها في هذه المنطقة، تمهيدًا للوصول إلى خلاصة استنتاجيّة تجيب عن اشكاليّة هذه الدّراسة والفرضيّات التّي طرحتها بشكلٍ علميٍّ دقيق.

---

[1] Lutz Kleveman, **The New "Great Game"**, The Guardian, October 20, 2003: https://www.theguardian.com/business/2003/oct/20/oil

[2] Georgiy Voloshin, **Le Nouveau Grand Jeu en Asie Centrale : Analyse Des Jeux De Puissances et Des Strategies Geopolitique sur l'Exemple de l'Afghanistan**, Sous la direction de Mme Laure Delcour, Ecole Nationale D'administration, Paris – France, 2011–2012, p. 4

[3] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، 12

الفَصْلُ الأوَّل:

المَصــالِحُ الجيُوبوليتيكيّــة للدّولِ الكُــبرى فِي مِنطَقَة آسيـا الوُسـطى

إذا ما أردنا دراسة جيواستراتيجيّات الدّول الكبرى في آسيا الوسطى، لا بدّ لنا في البداية من عرض مصالحها الجيوبوليتيكيّة في تلك المنطقة، لنتمكّن تاليًا من دراسة وإيضاح إدارتها الاستراتيجيّة لهذه المصالح. علمًا بأن الجيواستراتيجيا هي كما سبق وأشرنا في مقدّمة هذا القسم الإدارة الاستراتيجيّة للمصالح الجيوبوليتيكيّة للدّول.[1]

في قضيّة التّعاون والتّنافس الرّوسيّ – الصّينيّ في منطقة آسيا الوسطى اليوم، غدت المسألة الإقتصاديّة موضوع النّقاش المحتدم بين الطّرفين، على الرّغم من أنّ المصالح الرّوسيّة الصّينيّة تتماشى وتلتقي مع بعضها من المنظور الجيوبوليتيكيّ، لكن يبدو أنّ الفارق بين مقدراتهما الاقتصاديّة التّنافسيّة هو المسبّب الأساس للتّوتّر الشّديد بينهما.

فروسيا الاتّحاديّة هي دولة منتجة للموارد الأوّليّة على غرار آسيا الوسطى، إلّا أنّه لا يمكنها الاستمرار في السّوق التّنافسيّة دون احتياطاتها من موارد آسيا الوسطى، لأنّ جزءً كبيرًا من عائداتها مصدره إعادة بيع منتجات آسيا الوسطى في السّوق الأوروبيّة بسعرٍ مرتفع.[2]

أمّا بالنّسبة إلى الصّين، فهي تحتاج إلى الموارد الأوّليّة كونها تسعى إلى توسيع تجارتها البرّيّة، بما أنّها كانت تعتمد على الواردات التّي تأتيها من البحار حصرًا؛ فهي تهدف اليوم إلى توسيع مصادر وارداتها والتّعامل مع الدّول المغلقة في قارّة أوراسيا وأهمّها آسيا الوسطى، وذلك بغية التّخفيف من وطأة الضّعف الجيوسياسيّة النّاجمة عن الاعتماد على جانب واحد في الاستيراد.[3]

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، 12

[2] Marlène Laurelle, Sébastien Peyrouse, **China as a Neighbor: Central Asian Perspectives and Strategies**, Central Asia-Caucasus Institute & Silk Road Studies Program, Singapore, 2009, p. 39

[3] Ibid, p. 39

وأخيرًا وبما يخصّ الولايات المتّحدة الأميركيّة التّي كانت قد حقّقت أحد أهمّ أهدافها العالميّة بانهيار الاتّحاد السّوفياتيّ وتفكّكه بعد الحرب الباردة، فقد أرسلت هذه الأخيرة بعثات متعدّدة إلى الجمهوريّات التّي استقلّت عن الاتّحاد السّوفياتيّ حينها وذلك بهدف تجميع المعلومات اللّازمة عنها في سبيل تحديد مصالحها فيها.[1]

إلّا أنّ هذه البعثات في التّقارير التّي عادت بها إلى الإدارة الأميركيّة أفادت بأن المصالح الحيويّة في آسيا الوسطى هي متواضعة وهامشيّة، لكنّها في الوقت نفسه عادت وأكّدت أن تلك المصالح الحيويّة هي أهل للاستثمار والتّطوير، ومن واجب الإدارة الأميركيّة أن تعمل على تطويرها.[2] نأخذ مثال على ذلك التّقرير الذّي أعدّته "بعثة الولايات المتّحدة للسّلام" بعد زيارتها لمنطقة آسيا الوسطى في العام ١٩٩٢ وحدّدت فيه أنّ مصالح الولايات المتّحدة في آسيا الوسطى هي: مراقبة السّلاح النّووي الكازاخستاني بشكلٍ صارم والعمل على تدميره، تطوير مصالح القطاع الخاصّ في دول المنطقة، تعزيز الأمن والاستقرار، العمل على التّطوّر الهادئ نحو اللّيبراليّة في السّياسة والاقتصاد. [3]

ما سبق شكّل مقدّمة توضح دوافع تعاون الدّول الكبرى في آسيا الوسطى نظرًا للمصالح المشتركة في ما بينها على أراضيها، بالمقارنة مع المخاوف التّي قد تخلق منافسات شرسة على المدى الطّويل نظرًا لتضارب المصالح الأخرى لتلك الدّول.

فما هي المصالح الجيوبوليتيكيّة لكلّ دولة من الدّول الكبرى موضوع دراستنا في منطقة آسيا الوسطى، هذا ما سوف تجيب عنه الفقرات الثّلاث التّابعة لهذا الفصل بشكلٍ مفصّل بدءًا بمصالح روسيا الاتّحاديّة، مرورًا بمصالح الصّين الشّعبيّة، ووصولًا إلى مصالح الولايات المتّحدة الأميركيّة.

---

[1] Andre Gunder Frank, **The Centrality of Central Asia**, Vu University Press, Amesterdam, 1992, p. 145

[2] محمّد السّيّد سليم، **مستقبل الجمهوريّات الإسلاميّة في آسيا الوسطى والقوقاز**، منشور في "مجلّة العالم الإسلاميّ"، عدد 5، لا م، 1992، ص. 235

[3] المرجع أعلاه.

الفَقَـرَةُ الأُولَـى:

المَصـالِحُ الجيُوبوليتيكيّــة لرُوسيــا الاتّحـاديّــة فِي مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْـطَى

إنّ السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة أهملت إلى حدّ بعيد منطقة آسيا الوسطى لفترة ليست بقصيرة قبل وبعد انهيار الاتّحاد السّوفياتيّ، إلّا أنّ التّطوّرات الإقليميّة والدّوليّة عادت ودفعت موسكو مؤخّرًا للاهتمام بهذه المنطقة، إلى أن شكّلت هذه الأخيرة عنصرًا أساسيًا في سياسة فلاديمير بوتين التّي تهدف إلى تحويل روسيا الاتّحاديّة إلى لاعبٍ أساس في قلب رقعة الشّطرنج الأوراسيّة، وإلى جعلها قطبًا سياسيًّا يتمتّع بقوّة عظمى مستقلّة تمامًا على غرار القطبين الأميركيّ والصّينيّ.[1]

أ- آسيا الوسطى تعيد إحياء الوجدان الرّوسيّ:

هناك عدّة أمور جعلت من آسيا الوسطى تحتلّ هذه المكانة المرموقة في السّياسة البوتينيّة، وهي شكّلت بشكلٍ غير مباشر مصالح حيويّة لروسيا الاتّحاديّة في تلك المنطقة، سواء توجّبت المحافظة عليها واستثمارها لتوسيعها، أو تطويرها وتحسينها لدرءِ خطر السّيطرة عليها من قبل الدّول الكبرى المنافسة. فنسبيّة اهتمام روسيا بآسيا الوسطى كانت مرتبطة تمامًا بحجم مصالحها فيها، والاهتمام المتزايد مؤخّرًا يشير بطبيعة الحال إلى ارتفاع حجم المصالح.

عوامل عديدة ساهمت في التّطوّر الحاصل في التّوجّه الرّوسيّ نحو منطقة آسيا الوسطى، نورد منها التّالي:[2]

- تأزّم العلاقات بين روسيا الاتّحاديّة والغرب؛
- اعتماد روسيا الاتّحاديّة سياسة التّوجّه نحو الشّرق؛
- إنسحاب القوّات الأميركيّة وقوّات حلف شمالي الأطلسيّ النّاتو من أفغانستان؛
- التّوسّع الاقتصاديّ الصّينيّ في آسيا الوسطى؛
- عدم استقرار النّظم السّياسيّة الحاكمة في بعض دول آسيا الوسطى (كازاخستان وأوزباكستان).

---

[1] Bobo Lo, **La Russie a-t-elle une stratégie en Asie Centrale ?**, Russie NEI Visions, N° 82, IFRI centre Russie/ NEI, Paris – France, Janvier 2015, p. 3

[2] Ibid, p. 5

إنّ العوامل المذكورة شكّلت حجّة وفي الوقت نفسه فرصة لروسيا الاتّحاديّة لأن تخصّص جهودًا أكثر جدّيّة للاهتمام بقضايا وشؤون تلك المنطقة كما بمصالحها الحيويّة فيها.

كما أنّ توجّه الكرملين نحو منطقة آسيا الوسطى واعتباره أنّ أهمّيّة تلك المنطقة لن تتوقّف عن التّزايد يعود إلى أهدافه الجيوبوليتيكيّة، إلى مخاوفه على الأمن القوميّ الروسيّ، وإلى أفكار الاتّحاد والوحدة الحضاريّة الوسط آسيويّة التّي تلوح في الأفق.[1]

ب-مصالح روسيا "المستدامة" في آسيا الوسطى:

إنّ صانعي السّياسة الرّوسيّة قد اعتادوا الإشارة إلى تواجد "مصالح مستدامة" في منطقة آسيا الوسطى، وهذا الأمر يحمل في الواقع شيئًا من الضّبابيّة والتّعقيد. في ما يلي يندرج عرض وتفصيل المصالح الجيوبوليتيكيّة الروّسيّة في المنطقة بشكلٍ محدّد كمحاولة لإزالة الغشاوة والضّبابيّة التّي تلفّ هذا الموضوع.

1- إنّ مكانة آسيا الوسطى في النّظريّات الجيوبوليتيكيّة التّي ناقشناها في القسم الأوّل من هذه الدّراسة، وموقعها الجغرافيّ الاستراتيجيّ في قلب القارّة الأوراسيّة، تلك القارّة التّي تستقطب الأنظار الدّوليّة إليها، هو ما جعل من آسيا الوسطى في بداية المطاف هدفًا رئيسًا لروسيا الاتّحاديّة ترتكز عليه لإعادة بناء هيكلها وصورتها كقوّة عالميّة عظمى على السّاحة الدّوليّة. بما معناه أنّ المصلحة الرّوسيّة الأولى في آسيا الوسطى، هي آسيا الوسطى بحدّ ذاتها، كمنطقة استراتيجيّة تحمل مكانة جيوبوليتكيّة مرموقة، وتسعى فيها روسيا إلى بسط سيطرتها واستعادة نفوذها الذّي خسرته مع استقلال الجمهوريّات الخمس السّوفياتيّة السّابقة بعد تفكّك وانهيار الاتّحاد السّوفياتيّ نتيجة الحرب الباردة في أوائل التّسعينيّات...[2]

2- إنّ العالم ينقسم اليوم إلى ثلاثة أقطاب عالميّين مستقلّين، تتفاوت نسبة القوّة فيما بينهم، فتحتلّ الولايات المتّحدة الأميركيّة مركز قائد العالم الغربيّ، فيما نفوذ الصّين الشّعبيّة يتزايد بشكلٍ تصاعديّ ولو بطيء في العالم الشّرقيّ. الأمر الذّي يحثّ روسيا الاتّحاديّة على وجوب "امتلاك" ساحة نفوذٍ

---

[1] Dimitri Trenin, **Russia's Spheres of Interest not Influence**, published in "The Washington Quarterly", Vol. 32, Issue 4, September 22, 2009

[2] وسيم خليل قلعجيّة، **روسيا الأوراسيّة – زمن الرّئيس فلاديمير بوتين**، الطّبعة الأولى، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، عين التّينة – بيروت – لبنان، 2016، ص. 96

استراتيجيّة خاصّة بها، تجعل منها قوّة إقليميّة عظمى تبسط نفوذها وسيطرتها بالكامل على الإقليم الجيوبوليتيكيّ الذّي تُعنى به، لتتمكّن بالتّالي وبشكلٍ تلقائيّ من أن تنافس بشدّة على السّاحة الدّوليّة، وتحتّل مكانة القوّة العالميّة العظمى من جديد إلى جانب الولايات المتّحدة الأميركيّة والصّين الشّعبية. يبدو هنا أنّ الوصول إلى العالميّة يبدأ من الإقليميّة، فكما الولايات المتّحدة سيطرت على الغرب والصّين الشّعبيّة على الشّرق، يبقى أمام روسيا السّيطرة على المساحة الوسطيّة التّي تمتدّ بين هذا الشّرق وذاك الغرب لتنافس على السّاحة الدّوليّة بـ"عظَمة". وما هذه المساحة الوسطيّة سوى منطقة آسيا الوسطى من المنظور الجيوبوليتيكيّ، وتحديدًا بحسب زبيغنيو بريجنسكي.[1]

3- إلى ذلك، فإنّ موضوع الأمن القوميّ الرّوسيّ يتصدّر قائمة اهتمامات الكرملين، فتوجّه روسيا الاتّحاديّة نحو آسيا الوسطى جاء بسبب الظّروف التّاريخيّة التّي جعلت من هذه المنطقة بالذّات بمثابة الخاصرة الضّعيفة لروسيا الاتّحاديّة نظرًا لاستقلال جمهوريّاتها عن الاتّحاد السّوفياتيّ السّابق بعد تفكّكه... فالتقليص التّدريجيّ للتّواجد العسكريّ الأميركيّ في أفغانستان، وانسحاب قوّات حلف شماليّ الأطلسيّ منها اللّذين قابلهما اشتداد قوّة حركة طالبان، وتوسّع التّطرّف والتّشدّد الإسلامي في أرجاء المنطقة، وانتشار آفة الاتجار بالمخدّرات، وإلى ما هنالك من مشاكل وتهديدات تطال الأمن القوميّ الروسيّ والحديقة الخلفيّة لروسيا الاتّحاديّة. كلّ هذه الأمور جعلت من روسيا الاتّحاديّة تستدرك مدى أهميّة التّغلغل في منطقة آسيا الوسطى حفاظًا على أمنها القوميّ كمصلحة جيوبوليتيكيّة أساسيّة تأتي من بعدها كافّة المصالح الأخرى.[2]

4- تجدر الإشارة أيضًا إلى أنّ موسكو لا ترى في الجمهوريّات الخمس المستقلّة التّي تشكّل بمجموعها منطقة آسيا الوسطى، مقدرة على إدارة الأزمات المتصاعدة في المنطقة بشكلٍ مستقلّ، فهذه الدّول بالنّسبة لها (باستثناء جمهوريّة كازاخستان) ليست شريكة في المحافظة على استقرار الإقليم، بل على العكس فهي تعتبرها على أنّها المسبّب الأساس لعدم استقراره وللأزمات التّي تحصل فيه[3]، نظرًا لهشاشتها وعدم صلابتها، بالإضافة إلى تنازع وتنافس الدّول الكبرى عليها وعلى مواردها. فعندما

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 52

[2] Bobo Lo, **La Russie a-t-elle une stratégie en Asie Centrale ?,** op – cit, p.8

[3] Ibid, p.p. 8 – 9

تفتقر مطلق منطقة استراتيجيّة إلى القوّة والصّلابة الضّروريّتان لتماسك أمنها واستقرارها، ستشكّل حتمًا حلقة ضعيفة أمام "وحوش" السّاحة الدّوليّة، فتتنازع هذه الأخيرة عليها ممّا يخلق وتيرة متواصلة من الأزمات إن لم يُحسم النّزاع لصالح أحد الأفرقاء، وتكون تبعات هذه الأزمات غير محصورة بالإقليم المتنازع عليه، فقد يتأثر محيط هذا الإقليم سواء بشكلٍ مباشر أو غير مباشر بالأزمات التّي تطاله هو على وجه الخصوص... فإن وجهة النّظر الرّوسيّة تفيد هنا بأنّها إذا ما توصّلت إلى السّيطرة على هذا الإقليم، تكون قد حسمت النّزاع الحاصل فيه لصالحها، ممّا يزيد من مكامن قوّتها على السّاحة الإقليميّة الضّيقة، وبعدها على السّاحة الدّوليّة الأوسع، هذا من جهة؛ أمّا من جهة أخرى فتكون قد حمت حدودها وأمنها الدّاخليّ وسلامة شعبها وأراضيها من تسرّب محتمل للأزمات الواقعة في ذلك الإقليم. (الثّورة الملوّنة التّي حصلت في قيرغيزستان عام ٢٠٠٥ تحت تسمية "ثورة التّوليب" ضدّ الرّئيس عسكر آكاييف الذّي كان محسوبًا على الاتّحاد السّوفياتيّ السّابق وحكمها منذ العام ١٩٩٠ حتى عام الثّورة، مثال واضح على الأزمات التّي تتخوّف روسيا الاتّحاديّة من أن تتمدّد إلى عقر دارها).[1]

5- أمّا إذا ما أردنا الولوج أكثر إلى عمق المصالح الرّوسيّة في قلب آسيا الوسطى جيوبوليتيكيًّا، نستدرك أنّ في آسيا الوسطى مكانًا لكلّ شيء، من مخلّفات التّاريخ إلى مشاريع للمستقبل، من الثّورات الشّعبيّة إلى حركات التّمرّد القوميّة والإسلاميّة المسلّحة، دون أن ننسى القواعد العسكريّة الرّوسيّة والصّينيّة والأميركيّة، وأخيرًا وليس آخرًا حقول النّفط والغاز والكنوز الطّبيعيّة للموارد الأوّليّة.[2] لكن في بداية الأمر علينا التّنبّه إلى أنّ آسيا الوسطى هي منطقة كانت تابعة للاتّحاد السّوفياتيّ قبل أن ينهار وتستقلّ عنه، وبالتّالي فهي تضمّ نسبة عالية من المواطنين الرّوس والمتحدّثين باللّغة الرّوسيّة على أراضيها، وحماية هؤلاء المواطنين هي مصلحة أساسيّة لروسيا الاتّحاديّة بطبيعة الحال،[3] أضف إلى ذلك أنّهم بتواجدهم على الأراضي الوسط آسيويّة يشكّلون همزة وصلٍ أساسيّة ومهمّة بينها وبين

---

[1] Mohammad-Reza Djalili, Thierry Kellner, **L'Asie Centrale, Terrain de Rivalités**, Le Courrier des Pays de l'Est, No. 1057, 2006, p. 5 : http://www.cairn.info/revue-le-courrier-des-pays-de-l-est-2006-5-page-4.htm

[2] وسيم خليل قلعجيّة، **روسيا الأوراسيّة – زمن الرّئيس فلاديمير بوتين**، مرجع سابق، ص. 95

[3] المرجع أعلاه، ص. 99

روسيا الاتّحاديّة، وهذه نقطة مهمّة تضاف إلى مكامن القوّة الرّوسيّة في آسيا الوسطى، وتفتقر إليها الدّولتان المنافستان الأخريان، الولايات المتّحدة الأميركيّة والصّين الشّعبيّة. فالسّكان الرّوس يشكّلون ٢٣% من مجموع سكّان كازاخستان الذّين يقارب عددهم الـ ٦,١٨ مليون نسمة[1]،٨,٥% من مجموع سكّان قيرغيزستان الذّين يقارب عددهم الـ ٨,٥ مليون نسمة[2]، ١٢% من مجموع سكّان تركمانستان الذّين يقارب عددهم الـ ٤,٥ مليون نسمة[3]، ٢% من مجموع سكّان طاجاكستان الذّين يقارب عددهم ٥,٨ مليون نسمة، وأخيرًا ٢,١٤% من مجموع سكّان أوزباكستان الذّين يقارب عددهم الـ ٨,٢٩ مليون نسمة. وبالتّالي فإنّ نسبة التّواجد للمواطنين الرّوس في آسيا الوسطى هي مرتفعة، ممّا يحثّ الإدارة الرّوسيّة على الدّفاع عنهم ضدّ المخاطر التّي يمكن أن تطالهم في الدّاخل الوسط آسيويّ، إن كانت سياسيّة جرّاء الأزمات التّي تحصل في الأنظمة أو اقتصاديّة ناتجة عن تردٍّ للأوضاع المعيشيّة. وتكون بذلك قد قامت بعمليّة استباقيّة لتفادي هجرة هؤلاء المواطنين إلى أراضيها وزيادة الأعباء الإقتصاديّة عليها بسبب ارتفاع تكلفة استيعابهم فيها.[4]

6- لا يمكننا أنّ ننسى ما تشكّله منطقة آسيا الوسطى بمصادر الطّاقة الهائلة المتواجدة على أراضيها من مصلحة جيواستراتيجيّة أساسيّة بالنّسبة لروسيا الاتّحاديّة. فهي إلى جانب استغلاها لتلك المصادر المتنوّعة من النّفط والغاز، لا تتناوى عن إظهار نفسها كدولة عبور لتصدير تلك الموارد

[1] Central Intelligence Agency (CIA), The WORLD FACTBOOK Website, **Central Asia: Kazakhstan:** https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/kz.html (Accessed on 1 January 2018)

[2] Central Intelligence Agency (CIA), The WORLD FACTBOOK Website, **Central Asia: Kyrgyzstan:** https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/kg.html (Accessed on 1 January 2018)

[3] Central Intelligence Agency (CIA), The WORLD FACTBOOK Website, **Central Asia: Turkmenistan:** https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/tx.html (Accessed on 1 January 2018)

[4] وسيم خليل قلعجيّة، **روسيا الأوراسيّة – زمن الرّئيس فلاديمير بوتين**، مرجع سابق، ص. 99

من آسيا الوسطى إلى العالم.[1] وبالمقابل فإنّ أي استثمار لثروات حوض بحر قزوين، إن من قبل جمهوريّات آسيا الوسطى بنفسها، أو من قبل شركات الدّول الأجنبيّة المعادية لروسيا، وعلى رأسها شركات الولايات المتّحدة الأميركيّة، والصّين الشّعبيّة، سيؤدّي إلى منافسة شديدة مع إنتاجات روسيا في السّوق الدّوليّة للطّاقة.[2] علمًا أنّ مردودها النّاجم عن صادرات نفطها وغازها يبلغ حوالي الـ 45% من النّقد الأحنبيّ.[3] وبالتّالي إذا ما حصل استثمار لنفط وغاز آسيا الوسطى بشكلٍ عام وحوض بحر قزوين بشكلٍ خاص، سوف تقلّ نسبة الصّادرات الرّوسيّة من هذه الموارد، ممّا يؤثّر على اقتصادها بشكلٍ سلبيّ. من هنا فإنّ أهمّ مصالح الكرملين الجيواستراتيجيّة في آسيا الوسطى تقضي بضمان نقل إنتاج بحر قزوين عبر أراضيها، فتحصل على مردود من رسوم النّقل/ التّرانزيت أوّلًا، وتحافظ على نفوذها داخل أراضي آسيا الوسطى ثانيًا، وذلك لكي تستطيع تمرير أنابيب النّفط في الأراضي الوسط آسيويّة عن طريق فرض سيادتها ونفوذها عليها.[4]

لذلك يمكننا أن نستنتج أنّ آسيا الوسطى هي كنز تختبئ فيه مصالح استراتيجيّة بالغة الأهمّيّة بالنّسبة لروسيا الاتّحاديّة، فمن النّاحية الأولى هذه المنطقة بمجملها تشكّل الفرصة الأهمّ لاستعادة روسيا الاتّحاديّة لنفوذها الذّي خسرته في العالم بعد انهيار الاتّحاد السّوفياتي وتفكّكه في العام ١٩٩١، وذلك عن طريق بسط نفوذها السّياسيّ على أراضيها للتّوصل بذلك إلى تحقيق مصلحة استراتيجيّة ثانية أوسع وهي التّوسّع من الإقليميّة إلى العالميّة عبر السّيطرة على كامل القارّة الأوراسيّة والجزيرة العالميّة ومن ثمّ التّحوّل إلى قوّة عظمى تفرض نفوذها على العالم كله.

ثالثًا يؤمّن التّغلغل في آسيا الوسطى فرصة أمام روسيا الاتّحاديّة للحفاظ على أمنها القوميّ من حركات التّشدّد الإسلاميّ الذّي ضرب المنطقة وانتشار آفة الإتجار بالمخدّرات والسّرقة والقتل المتعمّد

---

[1] Mohammad-Reza Djalili, Thierry Kellner, **L'Asie Centrale, Terrain de Rivalités,** op – cit, p. 9

[2] Mohammad-Reza Djalili, Thierry Kellner, **Géopolitique de la Nouvelle Asie Centrale : De la Fin de l'URSS à l'après-11 Septembre,** 4ème Édition, The Graduate Institute Geneva, 2006, p. 59

[3] Idem

[4] Idem

والجنايات على كافّة أنواعها، والتّي من الممكن أن تتسرّب إلى داخل الأراضي الرّوسيّة كونها مجاورة لها جغرافيًّا.

أمّا رابعًا وبما أنّ الجمهوريّات الوسط آسيويّة ضعيفة السّلطات السّياسيّة وعدم مستقرّة أمنيًّا في الدّاخل ستشكّل حتمًا فريسة لدّول العظمى، وترى روسيا أنّه في حال تمكّنت من فرض نفوذها عليها تكون بذلك حققّت مصلحتين جيوبوليتيكيّتين، الأولى تقضي بحسم التّنازع على هذه الجمهوريّات لصالحها دوليًّا، والثّانية تابعة للأولى، بحيث أنّها إذا حسمت التّنازع تكون وضعت حدًّا للأزمات المحتملة على أراضي تلك الجمهوريّات وحمت حدودها من تسرّب الأزمات وأمنها القوميّ من التّزعزع.

وخامسًا تجد روسيا في حماية مواطنيها المتواجدين في قلب الجمهوريّات المستقلّة عن الاتّحاد السّوفياتيّ السّابق مصلحة استراتيجيّة عليا بحيث أنّها تؤول إلى منع هجرة هؤلاء إلى أراضيها بحال تعرّضهم إلى مخاطر محتملة جرّاء الأزمات، لأنّ تكلفة هجرتهم إليها واستقرارهم في أراضيها سوف تزيد الأعباء الاقتصاديّة على الدّولة الرّوسيّة.

وسادسًا وأخيرًا، من أهمّ المصالح الجيواستراتيجيّة الرّوسيّة في الأراضي الوسط آسيويّة، هي المصلحة الجيوإقتصاديّة الأساسيّة المتمثّلة بمصادر الطّاقة في آسيا الوسطى عامّةً وفي بحر قزوين بشكلٍ خاص، والتّي بحال تمّ استغلالها من قبل شركات الدّول الأجنبيّة، بغية تصديرها إلى السّوق العالميّة للطّاقة، يتعرّض الاقتصاد الرّوسيّ لخطر منافسة الطّاقة الوسط آسيويّة لصادراته من الطّاقة، وخاصّة النّفط والغاز. من هنا بات على الكرملين الرّوسيّ المحافظة على مصالح بلاده الدّاخليّة أوّلًا، وثانيًا الوقوف في وجه أي عمليّة استثماريّة لمصادر الطّاقة في وسط آسيا، تعرّض صادرات البلاد للخطر، وتزعزع سيطرتها ونفوذها في المنطقة، الضّروريّين لسيادتها العالميّة.

أمّا الآن، فماذا عن الصّين؟ هل تتشابه مصالحها الجيواستراتيجيّة في آسيا الوسطى، مع تلك الرّوسيّة فيها؟ أم أنّها تتضارب معها؟ هذا ما سوف تقوم الفقرة التّالية بالإجابة عنه.

الفَقَـرَةُ الثـّانيـة:

المَصـالِحُ الجيُوبوليتيكيـّة للصّيـن الشّعبيـّة فِي مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْـطَى

إنّ التّطوّر الإقتصاديّ الهائل الذّي عرفته الصّين الشّعبيّة بعد عمليّات الإصلاح الاقتصاديّ التّي قامت بها منذ سبعينيّات القرن الماضي ولا تزال تقوم بها لغاية اليوم، حوّلها إلى "عملاقٍ آسيويّ" تسعى جميع الدّول إلى التّقرّب منه، وتهابه في الوقت عينه... إنّ هالة القوّة التّي تميّز هذا العملاق على الصّعيد العالميّ ومقدرة النّفوذ التّي يمارسها على بعض المناطق الإقليميّة ومنها منطقة آسيا الوسطى أقلقت أغلب الدّول المنافسة له، بما أنّه يشكّل تهديدًا لنفوذ هذه الأخيرة ومصالحها الاستراتيجيّة فيها.[1]

أ- آسيا الوسطى تؤجّج هالة القوّة الصّينيّة على الصّعيد الدّوليّ:

وأمام هذه القفزة النّوعيّة التّي حقّقتها الصّين في اقتصادها، كان من الضّروريّ عليها أن تتأقلم مع الظّروف والأوضاع والوقائع الجديدة التّي طرأت عليها وعلى المنطقة،[2] والتّي كان جزءٌ منها مرتبطًا بنتائج هذا الصّعود الذّي حقّقته، والجزء الآخر له علاقة باستراتيجيّات الدّول الكبرى المنافسة لها في المناطق التّي كانت تبسط بعضًا من نفوذها عليها، وخاصّة منطقة آسيا الوسطى بجمهوريّاتها الخمس: أوزباكستان، تركمانستان، طاجاكستان، قيرغيزستان، وكازاخستان.

ورغبةً منها في متابعة صعودها الذّي لا تزال تحصد ثماره حتّى الآن، تسعى جمهوريّة الصّين الشّعبيّة إلى تحقيق كافّة الشّروط والمتطلّبات اللّازمة للمحافظة على تلك الوتيرة المتصاعدة لنموّها الاقتصاديّ،[3] ولا بدّ من أنّها ترى في منطقة آسيا الوسطى كنزًا يخبّئ الكثير من المصالح الاستراتيجيّة التّي بتحقيقها لها تكون وفّرت الشّروط المذكورة للتّنمية الاقتصاديّة. وللوصول إلى هذا الكنز لا بدّ من رسم خارطة توضح المعالم التّي تظهر على الطّريق، والمراحل الواجب خوضها والتّحدّيات الواجب اجتيازها والألغاز

---

[1] Julie Coulombe, **Le Processus Décisionnel Chinois En Matière De Politiques Energétiques: Le Cas De L'Asie Centrale**, Université du Québec, Montréal, Avril 2012, p. 1

[2] Idem

[3] Idem

الواجب حلّها للوصول في الختام إلى الكنز الذّي تتنافس على الحصول عليه إلى جانبها الولايات المتّحدة الأميركيّة وروسيا الاتّحاديّة. وما هذه المعالم والمراحل والتّحديّات والألغاز سوى ترجمة عمليّة للمصالح التّي تسعى إلى تحقيقها أو المحافظة عليها من المنافسة الدّوليّة، وما الكنز الأخير سوى تحقيق مقدرة بسط النّفوذ على آسيا الوسطى.

هذا كلّه هو ما حوّل رحلة البحث عن الكنز المذكور إلى "اللّعبة الكبرى الجديدة"،[1] وما الصّين الشّعبيّة وروسيا الاتّحاديّة والولايات المتّحدة الأميركيّة سوى أهمّ اللّاعبين الدّوليّين في تلك اللّعبة... ومن الطّبيعيّ أن تتطلّب هذه الرّحلة جهودًا كبيرة تبذلها الدّول المذكورة، إلّا أنّ إيجاد الكنز الأخير سيحقّق أهدافًا استراتيجيّة بعيدة المدى كانت تبحث عنها تلك الدّول، لا بل أنّ تلك الأهداف هي أيضًا المسبّب والدّافع الأساس وراء خوضها لهذه اللّعبة.

وبالعودة إلى الصّين نعلم أنّه من الطّبيعيّ أنّ النّمط السّريع الذي اعتمدته للتّطوّر الاقتصاديّ الذّي حقّقته كلّفها أعباءً هائلة بما أنّه استنفذ مواردها الطّبيعيّة التّي هي أصلًا غير متجدّدة.[2] ففي العام ١٩٩٣ تحوّلت الصّين من بلد مصدّر للنّفط إلى بلدٍ مستوردٍ له، وعادت مشكلة النّفاذ وطالت قطاع الغاز الطّبيعيّ أيضًا وهذا ما أقلق الحكومة الصّينيّة لأنّها وجدت أنّ الموارد الطّبيعيّة المتوفّرة على أراضيها لم تعد تكفي لتلبية حاجاتها واقتصادها السّريع النّموّ.[3] ولهذا السّبب سعت الحكومة لإيجاد بدائل عن تلك الموارد تكون ذات قيمة عالية وتخدمها على المدى الطّويل لتضمن لنفسها المتابعة في الوتيرة نفسها من الصّعود ولتنافس بقوّة على السّاحة الدّوليّة.

---

[1] Georgiy Voloshin, **Le Nouveau Grand Jeu en Asie Centrale: Analyse Des Jeux De Puissances et Des Strategies Geopolitiques sur l'Exemple de l'Afghanistan**, op – cit, p. 12 :
https://www.ena.fr/content/download/2810/45466/version/1/file/2012Curie_CIL_VOLOSHIN.pdf

[2] Julie Coulombe, **Le Processus Décisionnel Chinois…**, op – cit, p. 2

[3] Idem

قامت الحكومة الصّينيّة ببلورة استراتيجيّات للتّعامل مع هذا الواقع الذي استجدّ عليها لتستبق أيّة أزمة اقتصاديّة أو سياسيّة أو اجتماعيّة ممكن أن تطالها.[1] ومن أهمّ تلك الاستراتيجيّات كان إيجاد تلك البدائل والسّيطرة عليها "سياسيًّا" في الخارج للتّخفيف من تكلفة الاستيراد من ناحية وللاستفادة من مصالح جديدة تحقّقها في الوقت عينه على الخارطة العالميّة بتطبيقها لهذه الاستراتيجيّات.[2] وما ارتسمت أمام المفكّرين الاستراتيجيّين وواضعي السّياسة الخارجيّة الصّينيّة سوى صورة منطقة آسيا الوسطى بمواردها الطّبيعيّة وكنزوزها وأراضيها الخصبة للاستثمارات.[3]

ب-وقود جيواستراتيجيّة الصّين التّنافسيّة، مصالحها في آسيا الوسطى:

وسنقوم بإيضاح جيواستراتيجيّة جمهوريّة الصّين الشّعبيّة في منطقة آسيا الوسطى في الفقرة الثّانية من الفصل الثّاني من هذا القسم. أمّا الآن فسنوضح أهمّ المصالح الجيوبوليتيكيّة التّي سعت حكومتها ولا تزال تسعى إلى تحقيقها والمحافظة عليها في هذه المنطقة في النّقاط التّالية:

1- إنّ مصادر الطّاقة كانت المصلحة الأولى والأساسيّة التّي بحثت عنها الصّين الشّعبيّة ووجدتها في جمهوريّات آسيا الوسطى، خاصّة وأنّ حكومتها كانت تبحث عن بلدان تفتقر إلى الإستثمار المتطوّر لقطاع الطّاقات والموارد الطّبيعيّة المتجدّدة فيها، بالإضافة إلى افتقارها إلى السّلطة السّياسيّة القويّة التّي تحكم قبضتها على زمام الأمور في دولتها وعلى مصادر الطّاقة كذلك الأمر. ويبدو أنّ آسيا الوسطى كانت جامعة لهذين الشّرطين في واقعها الممتاز لناحية احتوائها للموارد الطّبيعيّة الهائل، وواقعها المتردّي لناحية ظروفها السّياسيّة غير المستقرّة والتّي آلت بشكلٍ عام إلى إضعاف سيطرة حكوماتها على معظم القطاعات على أراضيها... إنّ جوف أراضي منطقة آسيا الوسطى غنيٌّ بالنّفط، والغاز الطّبيعي والمعدنيّ الذّين تبحث عنهم الصّين بشكلٍ متكاثر لضمان أمن الطّاقة لديها والحفاظ عليه. وبالتّالي فإنّ آسيا الوسطى تلبّي الحاجات الصّينيّة من الطّاقة، وتكون الحكومة

---

[1] Julie Coulombe, **Le Processus Décisionnel Chinois...**, op – cit, p. 1

[2] Ibid, p. 2

[3] Xuecheng Liu, **China's Energy Security and Its Grand Strategy**, The Stanley Foundation Policy, Analysis Brief, September 2006, p. 2

الصّينيّة بذلك حافظت على أمن الطّاقة لديها والذّي يشكّل المصلحة والهدف الأوّليين لجميع استراتيجيّاتها.[1]

2- من ناحية أخرى ترى الصّين في التّهديدات الإرهابيّة والأمنيّة المستمرّة في جمهوريّات آسيا الوسطى، فرصة تفرض بها نفوذها على تلك الجمهوريّات عن طريق التّذرّع بمساعدتها لمكافحة هذه التّهديدات، فتكون بذلك حققّت نفوذًا سياسيًّا كمصلحة جيوبوليتيكيّة أساسيّة لها في تلك المنطقة. وفي الواقع قامت بكين في شهر آذار من العام ٢٠١٦ باقتراح آليّة للتّعاون المشترك في محاربة الإرهاب والتّهديدات الأمنيّة مع طاجاكستان من منطقة آسيا الوسطى، إلى جانب أفغانستان وباكستان، سعيًا منها للانخراط في المسائل الأمنيّة التّي تقع في محيطها الحيويّ[2]، وهدفها البعيد من ذلك هو في معالجة خطر الاقتتال الذّي يهدّد المنطقة ويمكن أن يقع بين اللّحظة والأخرى وذلك ليس محبّة منها بالمواطنين فيها، لكن بهدف النّفوذ السّياسيّ أوّلًا، وحماية مصالحها الاستراتيجيّة ثانيًا من التّهديدات الأمنيّة التّي يمكن أن تعرّضها للخطر وتقف عراقيل أمام تنفيذ مشاريعها التّوسّعيّة المستقبليّة.

3- إنّ المصالح التّي تسعى الصّين الشّعبيّة لحمايتها عن طريق تعاونها مع بعض دول آسيا الوسطى لمحاربة الإرهاب والتّهديدات الأمنيّة فيها، متعدّدة، خاصّة وأنّ مشاريعها المستقبليّة في تلك المنطقة لا حصر لها ولا عدّ. إلّا أنّ المشروع الأهمّ الذّي تحتاج فيه الحكومة الصّينيّة إلى استقرارٍ في منطقة آسيا الوسطى، هو مشروع طريق الحرير الجديد، "حزام واحد طريق واحد"، ليكون صلة الوصل بينها وبين أوروبّا، وتطبّق به أفكارها التّوسّعيّة السّياسيّة من بابٍ تجاريٍّ – إقتصاديّ. فهذا المشروع جاء نتيجة مبادرة تمّ الحديث عنها للمرّة الأولى في العام ٢٠١٣ بعد أن طرحها الرّئيس الصّينيّ شي جينبينغ، وتمّ إطلاقها في قمّة خاصّة في أيّار 2017. وهذا الطّريق يتضمّن طريقين فرعيّين، "طريق الحرير البحريّ"، و"حزام طريق الحرير الإقتصادي" البرّي.[3] طريق الحرير هذا هو طريقٌ يمتدّ أمام قادة الصّين، وعبوره يزيد من عظمة بلادهم. هو مؤلّف من شبكة طرق وجسور،

---

[1] Julie Coulombe, **Le Processus Décisionnel Chinois…**, op – cit, p. p. 6 – 7

[2] مركز أبحاث كاتيخون، **التّوسّع الصّينيّ في آسيا الوسطى... وتحدّيات الأمن والإرهاب**، لا م. 24 – أيّار – 2016:
http://katehon.com/ar/article/ltws-lsyny-fy-asy-lwst-wthdyt-lmn-wlrhb

[3] لا ك.، **مشروع "طريق الحرير" الصّينيّ**، موقع بي بي سي عربي الإلكترونيّ، 15 أيّار 2017:
http://www.bbc.com/arabic/business-39922326

إلى جانب أنابيب النّفط والغاز وسكك الحديد التّي تربط الصّين بآسيا الوسطى، ومنها إلى أوروبّا. وفي العقد الأخير، أصبحت شركة *China National Petroleum Corporation* الصّينيّة المتحكّم الأكبر بالطّاقة الوسط آسيويّة، فتقوم الصّين بضخّ النّفط من كازاخستان إلى أوروبّا وإلى أراضيها عبر خطّ أنابيب، وكذلك بالنّسبة إلى الغاز الذّي يتمّ نقله من تركمانستان إلى غرب الصّين.[1] فمن أصل ستّة ممرّات برّيّة، هناك ممرّ أساسيّ يمتدّ من غرب الصّين إلى تركيا وصولًا إلى أوروبّا ويمرّ عبر آسيا الوسطى وآسيا الغربيّة[2]. ليس هذا فحسب، إنّما الأموال الصّينيّة أيضًا لها "حصّة نقل" في هذا المشروع، فهي تتدفّق بشكلٍ هائل وتغيّر وجه آسيا الوسطى، بإنشائها بنى تحتيّة أكثر تطوّرًا إلى جانب شبكات النّقل الحديثة.[3] وتكون الصّين بذلك قد أمّنت احتياطًا من موارد الطّاقة الأوّليّة، حفظت أمن المنطقة الوسط آسيويّة الاستراتيجيّة بالنّسبة لها، وأمّنت مشاريع استثماريّة تتابع في وتيرة النّموّ الإقتصاديّ الصّينيّ إضافة إلى فرضها نفوذًا سياسيًا في منطقة آسيا الوسطى بشكلٍ خاصّ، أوراسيا بشكل أوسع، والجزيرة العالميّة بشكلٍ أكثر توسّعًا.

4- منذ بداية استقلالها عن الاتّحاد السّوفياتيّ السّابق، كان لجمهوريّات آسيا الوسطى ميراثًا لمشكلة كان عمرها ثلاثون عامًا حينها، وهي مشكلة النّزاعات الإقليميّة والحدوديّة التّي وضعت الصّين الشّعبيّة في وجه الاتّحاد السّوفياتيّ طيلة تلك المدّة... تمكّنت موسكو وبيكين من أن تتوصّلا إلى اتفاق مشترك لحلّ النّزاع في القطاع الشّرقي من الحدود في العام ١٩٩١، إلّا أنّ ذلك الواقع في القطاع الغربيّ والمرتبط بجمهوريّات آسيا الوسطى بسبب الجوار الجغرافيّ لم يتمّ حلّه آنذاك، وهذا ما عرّض الصّين وإقليم شينغ يانغ- المعروف بنزعاته الانفصاليّة والواقع في أقصى غرب الصّين على حدود كازاخستان، قيرغيزستان وطاجاكستان – إلى عدّة مشاكل قوّضت سلامة العلاقات فيما بينهما بسبب

[1] Robert D. Kaplan, **the Quiet Rivalry between China and Russia**, New York Times, 3 November 2017. https://www.nytimes.com/2017/11/03/opinion/china-russia-rivalry.html

[2] لا ك.، **مشروع "طريق الحرير" الصّينيّ**، مرجع سابق

[3] Robert D. Kaplan, **The Quiet Rivalry Between China And Russia**, op-cit

ذلك الميراث.[1] طالت مدّة هذه الأزمة ولم تشهد تطوّرات ملحوظة لناحية العمل على إيجاد حلٍ من قبل الطّرفين المتنازعين، على الرّغم من اعتبار السّلطات الصّينيّة أنّ حلّ هذا النّزاع سوف يساهم في إرساء الشّفافيّة على قضيّة مشكلة الحدود، وكذلك في إرساء السّلام والإستقرار في المنطقة، الأمر الذّي تطالب به كلّ من الصّين وجمهوريّات آسيا الوسطى على حدٍّ سواء.[2] فوجدت الصّين نفسها بذلك أمام مشكلة مفاوضات حدوديّة مع كيان سياسيّ حديث الولادة والعهد على السّاحة الدّوليّة... وبعد جهودٍ حثيثة وعشرات جولات المفاوضات توصّلت الصّين وجمهوريّة كازاخستان إلى توقيع الاتّفاق النّهائي على حلّ الأزمة وإعادة ترسيم الحدود في ١٠ أيّار ٢٠٠٢ في بكين.[3] أمّا جمهوريّة قيرغيزستان، فكانت ثاني من وقّع اتّفاقًا مع جمهوريّة الصّين الشّعبيّة لإعادة ترسيم الحدود، وذلك بعد أن خاض الطّرفان المراحل نفسها التّي خاضتها الصّين الشّعبيّة وكازاخستان لكن على مدى فترة أطول، حيث كان الطّرفان يوقّعان البروتوكول النّهائي للاتّفاق في حزيران ٢٠٠٣[4]. وأخيرًا بالنّسبة لجمهوريّة طاجاكستان وبعد اجتياز عدّة عراقيل سياسيّة وأمنيّة تمّ التّوصّل إلى اتّفاق نهائي وابتدأت عمليّة إعادة ترسيم الحدود في العام ٢٠٠٦...[5] إنّ الذّي نريد إيضاحه من كلّ ما تقدّم أنّ للصّين في منطقة آسيا الوسطى وخاصّة في جمهوريّات كازاخستان، قيرغيزستان وطاجاكستان الواقعة على حدودها مصلحة جيوبوليتيكيّة عليا، وهي الحفاظ على أمنها القوميّ، فإقليم شينغ يانغ الصّينيّ يقع في غرب الصّين على حدود الجمهوريّات الثّلاث المذكورة، وهو معروفٌ بكونه يشكّل بقعة عدم استقرار مستمرّة للصّين الشّعبيّة على امتداد التّاريخ، وهو دومًا محكومٌ بخطر الانفصال، ويتطلّب

---

[1] Thierry Kellner, **L'Occident de la Chine: Pékin et la nouvelle Asie Centrale (1991 – 2001)**, Institut de hautes études internationales et du développement, Genève, 13 octobre 2015, p. 444

[2] Guangcheng XING, **China and Central Asia: Towards a New Relationship**, publié dans Yongjin ZHANG, R. AZIZIAN, "Ethnic challenges beyond Borders – Chinese and Russian Perspectives of the Central Asian Conundrum", New York, St Martin Press, 1998, p. 46

[3] Thierry kellner, **L'Occident de la Chine: Pékin et la nouvelle Asie Centrale (1991 – 2001)**, op – cit, p. 458

[4] Ibid, p. 465

[5] Ibid, p. 471

بشكلٍ مستمرّ بذل جهودٍ حثيثة من قبل الحكومة الصّينيّة "للحفاظ على رشده". تحليلات ودراسات علميّة عديدة تناولت موضوعه، فهو بمثابة "مستعمَرة حقيقيّة"[1] على الأراضي الصّينيّة، حتّى أنّ اسمه يعني "الحدود الجديدة"، ممّا يشير إلى حتميّة النّزعات الانفصاليّة التّي تصدر عنه، علمًا بأنّه إقليم ذي غالبيّة مسلمة، تتعارض كثيرًا مع طائفة الأويغور الصّينيّة[2] ممّا يخلق صدامات عنفيّة كثير في ما بينهما... باختصار، من مصلحة الصّين أن تحافظ على علاقاتها الجيّدة مع دول آسيا الوسطى، وخاصّة طاجاكستان، قيرغيزستان، وكازاخستان، بما أنّها على حدود إقليم شينغ يانغ المذكور وذلك منعًا لإقامة تكتّلات معارضة للصّين من الإقليم والجمهوريات الوسط آسيويّة في حال تردّي العلاقات بينها وبين هذه الأخيرة، وتسرّب المناهضين لسياستها إلى داخل الإقليم وزعزعة الإستقرار وانتهاك الأمن القوميّ الصّينيّ، هذا مع العلم أنّ باكستان (مهد حركة طالبان) والهند المناهضتان للصّين تجاور هذا الإقليم من الجنوب الغربي، ممّا يزيد من احتمال تسرّب الإرهابيّين وحركات الإتجار بالمخدّرات وزعزعة الإستقرار... الأمر الذّي يجبر الصّين على توطيد علاقاتها بشكلٍ مستمرّ مع جمهوريّات آسيا الوسطى حفاظًا على أمنها القوميّ من أن يُمَسّ، لأنّه في حال تزعزع سوف تتوقّف جميع مشاريعها المستقبليّة التّي ستُنفّذ والتّي هي في طور التّنفيذ، وبالتّالي سوف تخسر مصالحها الجيوبوليتيكيّة كافّة في آسيا الوسطى.

وفي ختام هذه الفقرة يتبيّن لنا أنّ المصالح الاستراتيجيّة للصّين الشّعبيّة في منطقة آسيا الوسطى تقتصر أوّلًا على توفير مصادر طاقة أوليّة وأهمّها النّفط والغاز، وذلك لعدم دخولها في عجز بما أنّ مواردها الخاصّة بدأت تُستنذف؛ ثانيًا على فرض نفوذٍ سياسيٍّ لها تحت ذريعة المساعدة في محاربة الإرهاب، وذلك طمعًا بكسب سلطة أقوى للسّيطرة على المنطقة تمهيدًا للتّحكّم بأوراسيا ككّل؛ وثالثًا المصلحة ذات الأهميّة القصوى هي أنّ تلك المنطقة تشكّل صلة وصلٍ بينها وبين العالم الغربيّ، وعلى أراضيها سوف تمرّ مشاريعها الإقتصاديّة – التّجاريّة وعلى رأسها "طريق الحرير الجديد" الذّي يصلها بتركيا ومن تركيا بأوروبا،

---

[1] Olivier Tesquet, **Pour Pékin, le Xinjiang est Plus Dangereux que le Tibet**, Groupe L'Express, France, 06-07-2009 (Accédé le 04/01/2018) : https://www.lexpress.fr/actualite/monde/asie/pour-pekin-le-xinjiang-est-plus-dangereux-que-le-tibet_772682.html

[2] Olivier Tesquet, **Pour Pékin, le Xinjiang est Plus Dangereux que le Tibet**, op – cit

وهو المشروع السّياسيّ – الإقتصاديّ التّنمويّ الأهمّ على صعيد العالم؛ أمّا أخيرًا وليس آخرًا فإنّ آسيا الوسطى تشكّل بحدّ ذاتها مصلحة جيوبوليتيكيّة رئيسة أمام الصّين الشّعبيّة لناحية أنّ أيّ خللٍ أمنيّ يطرأ عليها سيؤثّر حتمًا بأمن الصّين القومي وبمشاريعها واقتصادها واستقرارها السّياسيّ. وبالتّالي فإنّ الحفاظ على مصلحة الأمن القوميّ الصّينيّ عن طريق ضبط الأمن في آسيا الوسطى، يظلّل ويضمن حماية كافّة المصالح الجيوبوليتيكيّة الأخرى وتحقيقها.

الفَقَـرَةُ الثّالثـة:

المَصـالِحُ الجيُوبوليتيكيـّة لِلْوِلَايَـاتِ ٱلمُتَّحِدَةِ الْأَمِيرِكِيّةِ فِـي مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْـطَى

لا أحد يستطيع إنكار مدى أهمّيّة منطقة آسيا الوسطى الاستراتيجيّة بالنّسبة للولايات المتّحدة الأميركيّة ذات السّياسة التّوسّعيّة غير الآبهة بالمساحات والفواصل الجغرافيّة ولا حتّى بالتّجارب التّاريخيّة السّابقة... فأمام ثاني أكبر إحتياطيّ عالميّ من النّفط والغاز (في بحر قزوين)، وأمام النّسبة العالية من إحتياطيّ المعادن (في بحر الآرال)، وأمام الكميّات الهائلة من البترول والغاز الطّبيعيّ والمعدنيّ (في كازاخستان وتركمانستان)، وأمام امتداد طرق المواصلات التّجاريّة الأوراسيّة، وأمام موقع جغرافيّ استراتيجيّ مميّز يتوسّط القوى الإقليميّة الأكثر فعاليّة على السّاحة الدّوليّة (روسيا، الصّين، إيران، وتركيا) لا يمكن للولايات المتّحدة الأميركيّة التّي حملت ميراث الآحاديّة القطبيّة لفترة ليست بقصيرة من تاريخ العلاقات الدّوليّة أن تقف مكتوفة اليدين متفرّجة على تنازع القوى المنافسة لها على أراضٍ "تشتهي" هي بدورها بسط نفوذها عليها لتكريس سيطرتها لفترة مستقبليّة قادمة، ولتنتصر على السّاحة الدّوليّة ولتكتب بأيدي استراتيجيّيها وموجّهي سياساتها الخارجيّة تاريخ إستعادتها لمركز القطبيّة العالميّة "الوحيد"، وتحاكم كلّ من خوّلت له نفسه أن يقف يومًا في وجه أهدافها مقاومًا عدوًّا.

ففي كتابه "رقعة الشّطرنج الكبرى" أفصح بريجنسكي ضمنيًّا عن سياسة أميركيّة خاصّة تفيد بامتلاكها مقدرات عسكريّة مميّزة تحسم بها السّيطرة على السّواحل برمائيًّا، وهذا ما يمكّنها من فرض نفوذها على الدّاخل بطرق سياسيّة الأبعاد والأهمّيّة. وضمن هذا السّياق أشار أيضًا إلى أنّها مسيطرة على كافّة محيطات وبحار العالم، وأنّ الطّرفين الشّرقيّ والغربيّ لأوراسيا، والخليج الفارسيّ محكومين بوجود فيالق عسكريّة أميركيّة فيهم... وكذلك قال إنّه هناك انتشار على كامل مساحة القارّة الأوراسيّة للحكومات الحليفة لأميركا، وإنّ بعضها يطمح إلى ترسيخ العلاقات والرّوابط الرّسميّة مع واشنطن.[1]

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 36

أ- آسيا الوسطى نقطة إرتكاز استراتيجي للولايات المتّحدة الأميركيّة:

إنّ السّياسة الخاصّة التّي تعمل الولايات المتّحدة الأميركيّة بنشاطٍ على تطبيقها في القارّة الأوراسيّة بشكلٍ عام وفي منطقة آسيا الوسطى بشكلٍ خاصّ منذ أن تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ وسعيها للتّقرّب من الجمهوريّات التّي استقلّت عنه، لهي دليلٌ واضحٌ على عمق مصالحها الجيوبوليتيكيّة فيها.

فالجهود التّي بذلتها الإدارة الأميركيّة لتوطيد العلاقات بينها وبين كلّ جمهوريّة من جمهوريّات السّتانات الخمسة إن لجهة السّياسة أو الاقتصاد، ومن هذا الباب محاولتها كسب ودّ الأنظمة السّياسيّة الحاكمة فيها أو القيام بإرساء أخرى متناغمة وإيّاها، وذلك لضمان تأمينها لمصالحها النّفطيّة في هذه البقعة الجغرافيّة الاستراتيجيّة في العالم...[1] إلّا أنّ الأمر لم يكن بتاتًا مقتصرًا على النّفط بشكلٍ حصريّ بطبيعة الحال.

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ تجدّد النّشاط الأميركيّ في منطقة آسيا الوطى ورأت فيها قاعدة ارتكاز لمحاربة الإرهاب بشكلٍ عام ومحاربة القاعدة وحركة طالبان بشكلٍ خاص. فقامت بتوقيع اتّفاقيّات مع بعض تلك الجمهوريّات (قيرغيزستان وأوزباكستان) لإقامة قواعد عسكريّة على أراضيها تحت ذريعة مكافحة الإرهاب في أفغانستان.[2]

إلّا أنّه من الواضح أنّ أهداف الإدارة الأميركيّة من إنشاء تلك القواعد العسكريّة لم تكن محصورة بمكافحة الإرهاب، ولم تكن مكافحة الإرهاب الهدف الأساسيّ منها حتى. بل أنّها قامت بذلك بهدف تدعيم نفوذها السّياسيّ في المنطقة وتثبيته خاصّة وأنّها منطقة استراتيجيّة، تشكّل المجال الحيويّ لروسيا الاتّحاديّة والصّين الشّعبيّة وحتّى لشبه القارّة الهنديّة وإيران. بالإضافة إلى أنّها غنيّة بالموارد الطّبيعيّة وتتيح لها القيام بمشاريع عديدة لاستثمار النّفط والغاز بما يؤمّن احتياجاتها من الطّاقة. علمًا بأنّ من يسيطر على موارد الطّاقة في آسيا الوسطى يتحّكم بإمدادات النّفط والغاز والمعادن والموارد الزّراعيّة إلى روسيا والصّين وشبه القارّة الهنديّة ودول الاتّحاد الأوروبّي.[3] الأمر الذّي يذكّرنا بأنواع العقوبات الاقتصاديّة التّي اعتدنا على

---

[1] حنان أبو سكّين، **بين الصّراع والتّعاون: التّنافس الدّوليّ في آسيا الوسطى**، مجلّة آفاق سياسيّة، العدد السّادس، المركز العربيّ للبحوث والدّراسات، القاهرة، 2014.

[2] المرجع أعلاه.

[3] المرجع أعلاه.

الولايات المتّحدة الأميركيّة أن تفرضها على أيّة دولة تقوم بأيّة خطوة تهدّد مصالحها وأمنها القوميّ؛ فتكون مقدرة التّحكّم بموارد منطقة آسيا الوسطى في حال حصلت عليها ورقة قوّة بيدها، تهدّد بها منافسيها عند اشتداد التّنازع بينهم.

إنّ منطقة آسيا الوسطى تلعب دورًا مهمًّا جدًّا في الاستراتيجيّة الأميركيّة، فآسيا الوسطى تشكّل حلقة وصل فارغة تتوسّط المنطقة الأوراسيّة، التّي تطمح الولايات المتّحدة الأميركيّة بأن تسيطر عليها.[1] فإذا ما تمّت تعبئة هذه الحلقة الفارغة بالنّفوذ الأميركيّ السّياسيّ العسكريّ والاقتصاديّ، تكون الإدارة الأميركيّة قد حقّقت نقطة ارتكاز مهمّة من استراتيجيّتها العالميّة، من خلال سيطرتها على المنطقة التّي تشكّل محور التحليلات والنّظريّات الجيوبوليتيكيّة الشّهيرة.

وبعد أن أدخلت منطقة الشّرق الأوسط بدوّامة صراعاتٍ سياسيّة وعسكريّة دمويّة، نعرف أين بدأت ولكنّنا لا نعلم متى تنتهي، نرى الولايات المتّحدة الأميركيّة بإدارتها التّوسّعيّة تتحوّل اليوم إلى منطقة آسيا الوسطى، مجهّزة بكافّة الأعتدة اللّازمة لاستغلال كلّ ما يعترضها من مصالح تستفيد منها على المديين القريب والبعيد.

ب- مصالح الولايات المتّحدة الأميركيّة لتعبئة الفراغ الاستراتيجيّ في المنطقة:

يمكن تلخيص تلك المصالح الجيوبوليتيكيّة التّي تسعى واشنطن إلى حمايتها أو الاستحواذ عليها بما يلي:

1- تثبيت نفوذها السّياسيّ والعسكريّ والاقتصاديّ أمام تصاعد النّفوذ الصّينيّ على مستوى العالم بسبب مشاريعه التّنمويّة في القارّة الأوراسيّة وأهمّها مشروع "الحزام الاقتصاديّ"... فمصادر النّفط والغاز في آسيا الوسطى، إلى جانب الأهمّيّة الكبرى التّي يمثّلها بحر قزوين، حثّت الولايات المتّحدة الأميركيّة على مصارعة النّفوذ الصّينيّ فيها عن طريق مواجهة "مشروع طريق الحرير" الصّينيّ بمشروع مشابه أميركيّ تشيّد فيه شبكات وطرق المواصلات وتمدّ أنابيب الغاز باتجاه بحر قزوين، فتكون بذلك قد نافست المشاريع الصّينيّة النّافذة في المنطقة وصارعت روسيا الاتّحاديّة، خصمها الأساسيّ، في

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 52

حديقته الخلفيّة[1] باختراقها لها عبر مشاريعها التّنمويّةِ والاقتصاديّةِ الذّريعة، والسّياسيّةِ الأهداف والأبعاد؛

2- من مصلحة الولايات المتّحدة الأميركيّة الجيوبوليتيكيّة أيضًا أن تبذل قصارى جهدها لعرقلة سياسات الاتّحاد الأوروبّي في آسيا الوسطى، والوقوف في وجه طموحات الصّين واليابان، الذّين يبحثون فيها عن مصادر للطّاقة بديلة عن تلك المتوفّرة في منطقة الشّرق الأوسط،[2] وذلك بسبب بسط الولايات المتّحدة نفوذها على معظم دول ومناطق الشّرق الأوسط وبالتّالي فإنّ أغلب مصادر الطّاقة في تلك المنطقة بات في "قبضة يد" الإدارة الأميركيّة، ممّا جعلهم يتوجّهون نحو منطقة آسيا الوسطى المعروفة بغناها بالموارد الأوليّة والطّاقات بحثًا عن تلك البدائل... وإذا ما قامت واشنطن بمزاحمة "الأطماع الأجنبيّة" في منطقة آسيا الوسطى، فذلك يكون بمثابة القيام بوضع حدّ أمام طموحاتهم التّوسّعيّة إلى جانب حصولها على ورقة قوّة إضافيّة تدعم هدفها الأساسيّ والأهمّ ألا وهو الحفاظ على منصب القيادة الواحدة، على السّاحة الدّوليّة بشكلٍ عام، وفي تلك المنطقة المتنازع عليها بشكلٍ خاص؛

3- بعد أزمة الإرهاب التّي ضربت المنطقة وحديقتها الخلفيّة، خاصّة أفغانستان وتنظيم القاعدة وطالبان بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ في الولايات المتّحدة الأميركيّة، رأت هذه الأخيرة أن مساهمتها في الحفاظ على أمن المنطقة القوميّ سيفيد مصالحها الاستراتيجيّة فيها وسيخصّص لها مكانةً مهمّة بين دولها، إذ إنّ الطّرف القويّ على السّاحة الدّوليّة يكسب دومًا ولاء الدّول الأضعف منه لحماية نفسه من المخاطر المحتملة عليه. وبالتّالي فإنّ تواجد الولايات المتّحدة الأميركيّة في منطقة آسيا الوسطى سيدعم إستقرار الوضع الميدانيّ فيها عن طريق إضعاف أسباب تأزّمه.[3] وإذا ما أخذنا قراءة جمهوريّات آسيا الوسطى لهذا التّواجد إلى جانب القراءة الأميركيّة له، نتوصّل إلى أنّه مصلحة أساسيّة من المصالح المشتركة للطّرفين المذكورين، تكون السّتانات الخمس قد حصلت فيها على

---

[1] سامي السّلامي، **أي مستقبل للدّور الأميركيّ في آسيا الوسطى؟**، مجلّة السّياسة الدّوليّة، مؤسّسة الأهرام، شارع الجلاء، القاهرة، جمهوريّة مصر العربيّة، 15 – 11 – 2015 : http://www.siyassa.org.eg/News/7568.aspx

[2] المرجع أعلاه.

[3] المرجع أعلاه.

الاستقرار الذّي تنشد، والولايات المتّحدة الأميركيّة قد حقّقت من خلالها النّفوذ والقوّة اللذّين تطمح إليهما؛

4- بما أنّ المنافس الأوّل للولايات المتّحدة الأميركيّة في منطقة آسيا الوسطى هو روسيا الاتّحاديّة، وبما أنّها أيضًا في لائحة المنافسين الأوائل لها على صعيد العالم أجمع... تسعى الإدارة الأميركيّة في تواجدها في منطقة آسيا الوسطى بأن تكسر من نفوذ روسيا الاتّحاديّة فيها، خاصّة وأنّ المظلّة الرّوسيّة مفلوشة بأكملها على الأراضي الوسط آسيويّة وذلك نظرًا لأنّها نتاج تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ، وبالتّالي فإنّها تحمل من طبيعته، وثقافة مواطنيها مشابهة لثقافته، هذا بالإضافة إلى أنّ نسبة كبيرةً من المواطنين الرّوس يتواجدون على أراضيها كما سبق وأشرنا في سياق المعالجة. يحاول التّوجّه الأميركيّ نحو آسيا الوسطى بأن يقف في وجه الهيمنة الرّوسيّة على تلك المنطقة وذلك عن طريق التّغلغل السّياسيّ وتأجيج مشاعر الانقلاب لدى المواطنين بهدف الوصول إلى "تحوّل ديمقراطيّ" في السّلطات الموالية لروسيا الاتّحاديّة في أساسها. وفي حال نجحت في ذلك تكون واشنطن قد تحكّمت بزمام الأمور في آسيا الوسطى، وحصلت على أنظمة تتناغم مع سياساتها الخاصّة، فترفض أيّ مشروعٍ تسعى من خلاله روسيا الاتّحاديّة إلى هيمنتها على منطقة آسيا الوسطى، وإلى توسيع نفوذها في العالم أجمع[1]. يُشار أيضًا إلى أنّه من ضمن السّياق نفسه المرتبط بمواجهة النّفوذ الرّوسيّ الهادف إلى التّوسّع، تسعى الولايات المتّحدة الأميركيّة إلى أن تفكّ ارتباط حليفها الإتّحاد الأوروبّيّ بالغاز والنّفط الرّوسيّين عن طريق تأمين مصادر بديلة له بعيدًا عن المصادر الرّوسيّة، وذلك للتّقليص من هيمنتها التّي تتّسع تدريجيًا مع مرور الأيّام؛

5- من الجدير ذكره أيضًا أنّ تواجد الولايات المتّحدة الأميركيّة بقواعدها العسكريّة في أفغانستان من جهة والعراق من جهة أخرى، وبعيدًا عن الأهداف الجيواستراتيجيّة المباشرة له، يهدف من جملة ما يهدف إلى محاصرة روسيا الاتّحاديّة والجمهوريّة الإسلاميّة في إيران ومنعهما من الدّخول إلى قلب

[1] سامي السّلامي، **أي مستقبل للدّور الأميركيّ في آسيا الوسطى؟**، مرجع سابق

الهارتلاند **Heartland** التّي ازدادت أهمّيتها الجيوبوليتيكيّة مع بداية الألفيّة الثّالثة،[1] وبالتّالي الوقوف في وجه مدّ نفوذهما على تلك الأراضي التّي تبذل الإدارة الأميركيّة بدورها قصارى جهودها السياسيّة، الإقتصاديّة والعسكريّة للوصول إليها بهدف تحقيق نظريّات الجيوبوليتيك على أرض الواقع، والتّي كانت بدورها قد أجمعت على أهميّة تلك المنطقة، لا بل أفادت أيضًا بأنّ السّيطرة عليها تتيح للقوّة المسيطرة بأن تبسط نفوذًا إقليميًا أوسع في أوراسيا كاملةً، تمهيدًا للوصول إلى اعتلاء منصب المتحكّم بمصير العالم أجمع. لذا فمن مصلحة الولايات المتّحدة الأميركيّة الجيوبوليتيكيّة بأن تحجز لها مكانةً مرموقةً في قلب القارّة الأوراسيّة، أي في منطقة آسيا الوسطى، وذلك لتحقيق أهدافها التّوسّعيّة البعيدة المدى، تزامنًا مع ردع الدّول المنافسة لها عن القيام بأي نشاطٍ أو تحرّك أو تطبيق أيّة سياسة تسمح لها بمنافستها على تلك الأهداف، فبات التّواجد على تلك الأراضي مصلحة جيوبوليتيكيّة أساسيّة بحدّ ذاته، تتنازع عليها كافّة القوى العالميّة والإقليميّة؛

6- أمّا بالنّسبة لبحر قزوين الذّي يتوسّط منطقة آسيا الوسطى، ويشكّل نقطة خلافٍ استراتيجيّة كبيرةٍ لدى المختصّين بقانون البحار، وذلك بسبب غناه المهمّ بمصادر الطّاقة، إلى جانب موقعه الجغرافيّ الذّي يُلزم بتقسيم الثّروات فيه على الدّول المشاطئة له. لكن خلافات عديدة نشبت بين تلك الدّول لناحية المعادلات القانونيّة للتّقسيم، فبعض الدّول طالبت بالتّقسيم بناءً على قاعدة المسافات المتساوية، وأخرى طالبت به بناءً على قاعدة أن لكلّ دولة حصّة بحسب طول شواطئها المطلّة عليه؛ ممّا شكّل خاصرة ضعيفة لاستقرار الوضع في المنطقة، وكان بمثابة فرصة أمام الدّول الكبرى للاستفادة منه. وهذا ما حصل مع الولايات المتّحدة الأميركيّة حيث رأت في بحر قزوين مصلحة جيوبوليتيكيّة حيويّة لها لتُخرج سيطرة موسكو عن تلك المنطقة وتدخل إليها عبر شركاتها النّفطيّة

---

[1] Bahram Amirahmadian, **Geopolitical, Geo-strategic and Eco-strategic Importance of Central Asia,** International Politics Online Magazine, 20 March 2008: http://www.int-politics.com/articles/no1/geopolitical,%20geo-strategic%20and%20eco-strategic%20importance%20of%20central%20asia.pdf

or: http://arz-e-pak.com/documents/ebooks/CentralAsiaImportance.pdf

الكبرى[1] لتستغلّ تردّي الأوضاع الأمنيّة وتستثمر مصادر الطّاقة الحيويّة في هذه البقعة الجغرافيّة من العالم بذرائعها المختلفة، ممّا يؤول حتمًا إلى إيجاد وتثبيت مواقع نفوذ استراتيجيّة أخرى وجديدة لها فيها.

بناءً على ما تقدّم نشير إلى أنّ منطقة آسيا الوسطى تشكّل اليوم بالنّسبة للولايات المتّحدة الأميركيّة منطقة أهميّة عالية وتحدٍ متزايد على حدّ سواء؛ فجوارها الجغرافيّ المؤلّف من روسيا الاتّحاديّة والصّين الشّعبيّة والهند وإيران وباكستان، وموقعها كمركز للحرب العالميّة الموجّهة على الإرهاب، وكونها مصدرًا كبيرًا للطّاقة؛ كلّ ذلك يجعل منها منطقة استراتيجيّة حيث للولايات المتّحدة الأميركيّة مصالح مهمّة وحيويّة... هذه المصالح ترتبط أوّلًا بالواقع الأمنيّ الاستراتيجيّ للمنطقة في ظلّ الحرب على الإرهاب، وثانيًا والأهمّ أنّها ترتبط بمصادر الطّاقة، بالإضافة إلى بذل الجهود من قبل الإدارة الأميركيّة لدعم الحركات الإصلاحيّة ونشر الدّيمقراطيّة واللّيبراليّة.[2] ففي حال كان الأمن مستتبًّا في تلك المنطقة ولم يكن هناك من إرهابٍ، تختفي ذريعة الولايات المتّحدة بمحاربته بهدف بسط سيطرتها ونفوذها، وفي حال لم تكن المنطقة خاضعة لإرث سوفياتيّ في المجتمع والسّياسة، لن يكون أمام الإدارة الأميركيّة من غطاء لتواجدها على الأراضي الوسط آسيويّة، وذلك بعيدًا عن مشاريعها لاستثمار الطّاقة فيها. من هنا يبدو لنا أنّ ذرائع الولايات المتّحدة للتّدخّل في شؤون وشجون وسط آسيا، باتت غطاءً تخلق تحته مصالح جيوبوليتيكيّة جديدة لها تصبّ جميعها في خانة المصلحة الأساس ألا وهي بسط النّفوذ والسّيطرة لاحتكار منصب القطب العالميّ الواحد.

من جهة أخرى تسعى الولايات المتّحدة الأميركيّة من جملة ما تسعى إليه في منطقة آسيا الوسطى إلى أن تحافظ على مقدرتها في الوصول إلى المجال الجويّ والأرضي في القلب الآسيويّ، وذلك يتطلّب أن يكون هناك استقرار أمنيّ وسياسيّ في تلك المنطقة، خاصّة بعد أحداث ١ أيلول ٢٠١١ الأمنيّة وفي ظلّ وجود حركة طالبان في أفغانستان، وذلك لكي تحافظ الولايات المتّحدة الأميركيّة على مصالحها من

---

[1] عصام اسماعيل، مقدّمة كتاب: **جيوسياسة آسيا الوسطى**، لكاتبيه: تيري كيلينير، محمّد رضا جليلي، ترجمة: علي مقلّد، منشورات دار الاستقلال، 2001، لبنان، ص. 8

[2] Douglas Lovelace, Foreword of the book: **U.S. INTERESTS IN CENTRAL ASIA AND THE CHALLENGES TO THEM**, for his author: Stephen J. Blank, Strategic Studies Institute (SSI), March 2007, p. iii

الانتهاك... من هنا يتبيّن لنا أنّ الوضع الأمنيّ المستقرّ في المنطقة هو سيف ذو حدّين أمام الجيواستراتيجيّة الأميركيّة فيها، ففي حال كان الأمن مستتبًّا لن يعود هناك من أسبابٍ تتذرّع بها للتّدخل في شؤون المنطقة، لكن لن تكون مصالحها المتواجدة على تلك الأراضي محميّة من الانتهاكات. هذا الأمر دفعنا إلى أن نخصصّ فصلًا نوضح فيه جيواستراتيجيّات كلًّا من الولايات المتّحدة، روسيا والصّين لنتبيّن كيفيّة إدارتها لمصالحها الجيوبوليتيكيّة في آسيا الوسطى ونستنتج الثّغر فيها والتّحديّات التّي تعترض طريقها خلال التّنفيذ.

الفَصْلُ الثّانــي:

الإدارة الإســتراتيجيّــة للمَصــالِحُ الجيُوبوليتيكيّــة للدّولِ الكُــبرى فِي مِنطَقَة آسيـا الوُسطى

بعد أن اطّلعنا في الفصل السّابق على المصالح الجيوبوليتيكيّة لروسيا الاتّحاديّة، الصّين الشّعبيّة والولايات المتّحدة الأميركيّة في منطقة آسيا الوسطى، كان لا بدّ من تخصيص هذا الفصل لدراسة الإدارة الاستراتيجيّة التّي تقوم بها كلّ من تلك الدّول الثّلاث لحماية مصالحها الجيوبوليتيكيّة في المنطقة والاستفادة منها عمليًّا، فتتوضّح لنا جيواستراتيجيّاتها بشكلٍ دقيق بما أنّ الجيواستراتيجيا تعني "الإدارة الاستراتيجيّة للمصالح الجيوبوليتكيّة"[1] كما سبق وأُشير إليه في بداية هذا القسم من البحث.

ما يحصل على خارطة العالم السّياسيّ اليوم، يثير الفضول العلميّ والبحثيّ... فالكثير من التّبدّلات والتّعديلات قد تطرأ بين ليلة وضحاها نتيجة لعدم الاستقرار الذّي تشهده السّاحة العالميّة ككلّ؛ لكن للإحاطة قدر المستطاع والبقاء على بيّنة من قرارات الدّول الكبرى ومحاولة معرفة "ما يجول في خاطر" صنّاع قراراتها، بابٌ واحدٌ يمكن اللّجوء إليه، ألا وهو جيواستراتيجيّاتها أو إدارتها لمصالحها الجيوبوليتيكيّة في العالم. فبدراسة تلك الجيواستراتيجيّات ترتسم في فكر الباحثين صورة شبه مكتملة عمّا يحصل على المسرح الدّوليّ، وعمّا يمكن أن يحصل في كواليسه تحضيرًا لإظهاره مستقبلًا إلى العلن.

أمّا المسرح الذّي تهتم هذه الدّراسة بالبحث والتّدقيق بجيواستراتيجيّات اللّاعبين الدّوليّين عليه، فهو مسرح منطقة آسيا الوسطى كما أصبح معلومًا، ولهذا المسرح خصوصيّته، وأساليب عرض الدّول لأدوارها عليه تخضع للتطوّر بشكلٍ مستمرّ: ففي القدم كانت الولايات المتّحدة الأميركيّة مثلًا تسعى إلى تفتيت الفضاء الأوروآسيوي وإقامة علاقات وثيقة مع الصّين الشّعبيّة وروسيا الاتّحاديّة بمقابل سعيها إلى منعهما من

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، 12

إقامة نفس العلاقة الوثيقة بينهما... أمّا اليوم أصبح العالم السّياسيّ يشهد عداءً أميركيًا ليس فقط تجاه روسيا الاتّحاديّة، بل تجاه الصّين أيضًا![1]

هذا التبدّل الكبير الذّي طرأ على السّياسة الخارجيّة للولايات المتّحدة الأميركيّة لا يمكن الإحاطة به وفهمه إلّا عن طريق الاطّلاع على مخططّاتها الجيوبوليتيكيّة البعيدة الأمد؛ فأهمّ ما يتسبب في تبديل السّياسات الخارجيّة للدّول الكبرى يتجلّى في التّغيير الذي يطرأ على مصالحها الجيواستراتيجيّة في العالم، وذلك نتيجة عدم الاستقرار الذّي يتّسم به الواقع السّياسيّ–الإقتصاديّ لأغلب الأراضي التّي تكون بمثابة كنز للدّول الكبرى، إن بموقعها الجغرافي المميّز، أو بمواردها الطّبيعيّة النّادرة، أو حتى بنظام دولها السّياسيّ وارتباطه بالتّاريخ والحاضر والمستقبل السّياسيّ العالميّ...

وكما في الولايات المتّحدة الأميركيّة، كذلك في روسيا الاتّحاديّة والصّين الشّعبيّة... لذا تمّ تخصيص هذا الفصل الأخير من البحث لدراسة كيفيّة إدارة تلك الدّول الكبرى الثّلاث لمصالحها الجيوبوليتكيّة في منطقة آسيا الوسطى، والتّي تناولها بإسهاب الفصل السّابق من هذا القسم... بالتّالي سوف يأتي هذا الفصل مقسومًا إلى فقرات ثلاث، تتناول كلٌّ منها إدارة روسيا الاتّحاديّة، الصّين الشّعبيّة والولايات المتّحدة الأميركيّة الإستراتيجيّة لمصالحها في منطقة آسيا الوسطى بالتّتالي؛ فنتوصّل في الخاتمة إلى إمكانيّة مقارنة تلك الجيواستراتيجيّات الثّلاث لنستنتج طبيعة العلاقة بين هذه الأقطاب الثّلاث في نطاق منطقة آسيا الوسطى وندرك مدى تأثير جيوبوليتيك هذه الأخيرة على التّعاون والتّنافس في تلك العلاقة.

---

[1] Dimitry Suslov, **New US Eurasian Strategy and Central Asia**, Valdai Club,18 May 2018: http://valdaiclub.com/a/highlights/new-us-eurasian-strategy-and-central-asia/?sphrase_id=337461 (Accessed On: 01/06/2018)

الفَقَـرَةُ الأُولَــى:

الإدارةُ الإســتراتيجيّــة الرّوسيّــة لِمَصــالِحها الجيُوبوليتيكيّــة فِي مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْــطَى

بعدما تبيّن في الفقرة الأولى من الفصل السّابق أنّ المصالح الجيوبوليتكيّة الرّوسيّة في منطقة آسيا الوسطى متعدّدة وتتمتّع بأهمّيّة بالغة إن على الصّعيد المحليّ والإقليميّ الضّيق أو على الصّعيد العالمي الأوسع؛ يبدو من المنطقيّ أن يضع صنّاع القرار الرّوس استراتيجيّة للإدارة الجيّدة لتلك المصالح؛ لحماية تلك الدّاخليّة منها أوّلًا، وثانيًا للوقوف في وجه أيّة منافسة دوليّة تضع مصالحها الخارجيّة في خطر.

أ- موجز عن مصالح روسيا الاتّحاديّة في آسيا الوسطى:

وقبل البحث في الجيواسترتيجيا الرّوسيّة في منطقة آسيا الوسطى، من الضّروريّ إعادة إيجاز مصالحها الجيوبوليتكيّة فيها إنطلاقًا ممّا ورد في الفقرة الأولى من الفصل السّابق من هذا القسم:

1- منطقة آسيا الوسطى تشكّل بحدّ ذاتها فرصة إذا ما أدركت روسيا كيفية استغلالها الصّحيحة، استعادت نفوذها الذّي خسرته بعد انهيار الاتّحاد السّوفياتيّ؛

2- منطقة آسيا الوسطى توفّر لروسيا – بحال استطاعت السّيطرة عليها – مصلحة التّوسّع من الإقليميّة باتّجاه العالميّة؛

3- التّغلغل الرّوسيّ في منطقة آسيا الوسطى يساعدها على حماية أمنها القوميّ من حركات التّشدّد الإسلاميّ في تلك الأخيرة، ومن انتشار آفات القتل والاتجار بالمخدّرات والسّرقة والجنايات على أنواعها؛

4- كما هو معلومٌ، فإنّ جمهوريّات آسيا الوسطى تعيش حالًا من اللّاإستقرار السّياسيّ والأمنيّ والاقتصاديّ، وبالتّالي فإنّ السّيطرة الرّوسيّة على تلك الجمهوريّات سوف تمكّن روسيا أوّلًا من حسم التّنازع الدّوليّ عليها نتيجة ضعفها وهشاشتها، كما ستمكّنها من وضع حدّ للأزمات المحتملة والممكن وقوعها مستقبلًا على أراضي تلك الجمهوريّات، بالإضافة إلى أنّها ستمكّنها من حماية أمنها القوميّ من خطر تسرّب الأزمات إلى أراضيها؛

5- في منطقة آسيا الوسطى مواطنون من أصل روسيّ يتعرّضون للخطر الدّائم نتيجة عدم الإستقرار المستمرّ في المنطقة، من هنا فإنّ فرض السّيطرة الرّوسيّة على المنطقة لن يحمي المنطقة فقط من خطر الأزمات، بل سيؤمّن مصلحة سياسيّة – إقتصاديّة لروسيا الاتّحاديّة بمنع "هجرة" المواطنين الرّوس إلى أراضيها، علمًا أنّ تكلفة هجرتهم واستقرارهم ستكون عالية ممّا يزيد الأعباء الاقتصاديّة على الدّولة الرّوسيّة؛

6- مصلحة سياسيّة – إقتصاديّة أخرى تفرض نفسها على الرّوس في منطقة آسيا الوسطى، ألا وهي حماية مصادر الطّاقة الخاصّة بها – وخاصّة النّفط والغاز- من منافسة مصادر الطّاقة الوسط آسيويّة لها بحال تمّ استثمارها من قبل الشّركات العالميّة وتصديرها إلى دول العالم.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ أغلب المصالح الجيوبوليتيكيّة لروسيا الاتّحاديّة في منطقة آسيا الوسطى تتطلّب استراتيجيّات دفاعيّة، والنّسبة الأقلّ منها تتطلّب أخرى هجوميّة... فما الذّي قام وسيقوم به الكرملين الرّوسيّ ليحقق الإدارة الحكيمة لهذه المصالح؟ هذا ما سوف تدرسه هذه الفقرة تفصيليًّا في ما يلي.

ب-الجيواستراتيجيّة "البوتينيّة" في آسيا الوسطى:

بدايةً من الممكن القول إنّ مشكلة روسيا الأساسيّة ليست في تحسين صورتها في الخارج، بل تكمن في استعادتها لمجالها الاستراتيجيّ الخاصّ في الدّاخل كما في الخارج،[1] وهذا ينطلق عن طريق إعادة إرساء النّفوذ الرّوسيّ في الفلك السّوفياتيّ السّابق، وخاصّة في منطقة آسيا الوسطى موضوع الدّراسة.[2]

عندما وصل الرّئيس فلاديمير بوتين إلى الحكم عام ٢٠٠٠، وجّه سعيه الأوّليّ إلى تعميق التّوجّه الأوراسيّ في سياسة بلاده الخارجيّة، فقدّم في حزيران من العام نفسه عدّة مبادئ لتلك السّياسة أُطلق عليها

---

[1] موسى الزّغبي، **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، مرجع سابق، ص. 275

[2] المرجع أعلاه.

تسمية "مبدأ بوتين"...[1] ومن أهمّ ما جاء في هذه المبادئ كان السّعي لإعادة بناء الرّوابط السّياسيّة والاقتصاديّة مع دول منطقة آسيا الوسطى،[2] وذلك في ما يصبّ في الإطار العام لتلك السّياسة الخارجيّة البوتينيّة الجديدة التي تتضمّن بنودًا للعمل على تعزيز أمن البلاد عن طريق "صيانة وتقوية سيادتها ووحدتها الإقليميّة، وتحقيق مكانة مرموقة على السّاحة الدّوليّة".[3]

وبالعودة إلى كيفيّة إدارة روسيا الاتّحاديّة لمصالحها الجيوبوليتيكيّة المذكورة في منطقة آسيا الوسطى، نجد أنّ هذه الإدارة تندرج ضمن إطار السّياسة الخارجيّة للبلاد في تلك المنطقة، وكما هو معلوم، فإنّ للسّياسة الخارجيّة أدوات عدّة، وهي حسب تشارلز هيرمان Charles Hermann: الأداة الدّبلوماسيّة، الأداة الاقتصاديّة، الأداة العسكريّة، أدوات السّياسة الدّاخليّة، الأدوات الاستخباراتيّة، الأدوات الرّمزيّة، الأدوات العلميّة والتّكنولوجيّة، والموارد الطّبيعيّة.[4] قد تلجأ الدّول الكبرى لاستخدام كافّة هذه الأدوات في تنفيذ سياستها الخارجيّة، كما قد ترتكز السّياسات الخارجيّة للدّول الأخرى على مجموعة معيّنة من تلك الأدوات؛ إلّا أنّ الهدف الأساسي من استخدامها هو طبعًا في سبيل تحقيق أهداف تلك السّياسات الخارجيّة للدّول.[5]

وفي الحالة الرّوسيّة، فإنّ مرحلة إنهيار الاتّحاد السّوفياتي كانت مرحلة ضعف في الدّولة، حيث ضعفت السّياسة الخارجيّة للدّولة حينها وبالتّالي انحصر وتقلّص استخدامها لتلك الأدوات، أمّا مرحلة

---

[1] قاسم دحمان، **السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة في آسيا الوسطى والقوقاز**، الطّبعة الأولى، إصدارات إي – كتب، لندن، آذار 2016، ص. 86

[2] وسيم خليل قلعجيّة، **روسيا الأوراسيّة – زمن الرّئيس فلاديمير بوتين**، مرجع سابق، ص. 103

[3] المرجع أعلاه

[4] أسماء عبدالبديع، **القيادة الرّوسيّة والتّغيّر في السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة تجاه دول آسيا الوسطى: 2000 – 2015**، إشراف: د. محمّد سلمان طايع، المركز الدّيمقراطيّ العربيّ، 2016: https://democraticac.de/?p=34651

[5] المرجع أعلاه

النّهوض التّي ابتدأت مع مطلع القرن الحالي مع الرّئيس فلاديمير بوتين، فقد اتّسمت بالقوّة، ممّا انعكس قوّةً بدوره على السّياسة الخارجيّة للبلاد وبالتّالي توسّع استخدامها لأدوات تلك السّياسة.[1]

قامت روسيا الاتّحاديّة في عهد الرّئيس بوتين بإعادة تقييم لاستراتجيّتها السّياسيّة والعسكريّة، وذلك بما ينسجم مع عالم اليوم والتّغيّرات التّي طرأت عليه، حيث تستعر المنافسة بين الدّول الكبرى في صراعٍ كبيرٍ حول المصالح...[2] وكان العنوان العريض التّي صاغت البلاد استراتيجيّتها الجديدة حوله يتمحور حول *المحافظة على المصالح في المدى الجيوبوليتيكيّ المرتبط بها، من دون الوصول إلى مواجهة مع الولايات المتّحدة الأميركيّة أو أيّة دولة كبرى أخرى.*[3]

أمّا المدى الجيوبوليتيكيّ لروسيا الاتّحاديّة، حيث تقبع مختلف مصالحها، وحيث يشتدّ خطر المنافسة والصّراع مع الولايات المتّحدة الأميركيّة كما مع الصّين الشّعبيّة، فهو ممتدٌّ في منطقة آسيا الوسطى... من هنا وجد صنّاع القرار الرّوس أنّ أفضل أسلوب لإدارة تلك المصالح والمحافظة عليها من دون الحاجة إلى المواجهة المباشرة مع الدّول الكبرى يتجلّى في النّقاط التّالية:

1- إنشاء نماذج للتّنمية الاقتصادية والاجتماعية والسّياسية جاذبة لدول الجوار وأهمّها دول منطقة آسيا الوسطى، لوضع حدّ أمام رغبتها في الانضمام إلى جمعيّات أو أحلاف تكامل جيوبوليتيكي أو جيواقتصادي أخرى؛[4]

---

[1] أسماء عبدالبديع، **القيادة الرّوسيّة والتّغيّر في السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة تجاه دول آسيا الوسطى: 2000 – 2015**، مرجع سابق

[2] أحمد علّو، **السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة في علاقاتها الدّوليّة**، منشورة في: مجلّة الجيش اللّبنانيّ، العدد 263، أيّار 2007: https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/السياسة-الخارجية-الروسية-في-علاقاتها-الدولية

[3] المرجع أعلاه

[4] Andrey Kortunov and Ivan Timofeev, **Russia's Foreign Policy: Looking Towards 2018**, Russian International Affairs Council (RIAC), Moscow – Russia, 2017, p. 26: www.russiancouncil.ru/en/report36

2- بناء تعاون مع الدّول الأعضاء في رابطة الدّول المستقلّة "كومنولث"، وذلك في ما يختصّ بحفظ الأمن المتبادل عن طريق بذل الجهود المشتركة لمكافحة الاتجار بالمخدّرات، والجرائم العابرة للحدود والهجرة غير القانونيّة؛[1]

3- العمل على توحيد منظّمة معاهدة الأمن الجماعيّ *Collective Security Treaty Organisation (CSTO)*، ومنظّمة شنغهاي للتّعاون *Shanghai Cooperation Organisation (SCO)*، وغيرها من المنظّمات... إضافةً إلى تطوير التّعاون الثّنائي في المجالين العسكريّ والسّياسيّ؛[2] وذلك نتيجة ما ورد في استراتيجيّة الأمن القومي الرّوسيّ حتّى العام 2020 من تحديد للمخاطر وعوامل عدم الاستقرار المتمحورة حول: التّعبئة القوميّة، تعزيز شعور كراهيّة الأجانب، الحركات الانفصاليّة، التّطرّف العنيف بما في ذلك التطرّف الدّينيّ؛[3]

4- اللّجوء إلى المساعدات الاقتصاديّة وذلك بما يصبّ في هدف توثيق التّعاون الأمنيّ... فعلى سبيل المثال، منذ أواخر العام 2012 شطبت موسكو مبالغ كبيرة من الدّيون المستحقّة على كلّ من قيرغيزستان وطاجاكستان. وهذا ما فتح المجال جزئيًا أمام تواجد القاعدة العسكريّة الرّوسيّة فيهما بالإضافة إلى تسهيل توقيع الاتّفاقيات بين الطّرفين... أمّا الهدف الأكبر من تلك التّسهيلات والمساعدات الاقتصاديّة فكان التّمهيد لضمّ هاتين الدّولتين إلى الاتّحاد الجمركيّ الأوراسيّ؛[4]

5- تشديد الرّقابة وإدخال تدابير أكثر صرامة تجاه الرّعايا الأجانب الذّين يعملون في روسيا، وخاصّة الآتين من البلدان الأعضاء في رابطة الدّول المستقلّة كومنولث، بناءً على ما ذكره الرّئيس بوتين في خطابه أمام الجمعيّة الفدراليّة الرّوسيّة في شهر كانون الأوّل من العام 2012؛[5] علمًا أنّه وكما ذكر متحدّث باسم وزارة الخارجيّة الرّوسيّة فإنّ "4.5 مليون نازح من وسط آسيا يعيشون ويعملون في

---

[1] Craig Oliphant, **Russia's Role and Interests in Central Asia**, Saferword, October 2013, p.3

[2] Ibid, p. p. 3 – 4

[3] **Strategy of National Security of the Russian Federation to 2020**, Krasnaya Zvezda 20 – 26 May 2009.

[4] Craig Oliphant, **Russia's Role and Interests in Central Asia**, op – cit, p. 4

[5] Ibid, p. 8

روسيا"،[1] ونسبة 2% من النّاتج المحلّي الإجماليّ الرّوسيّ تُحوَّل إلى آسيا الوسطى، الأمر الذّي استدعى وضع خطوات للحدّ من تدفّق النّازحين من وسط آسيا إلى الأراضي الرّوسيّة؛[2] الأمر الذّي يساعد السّلطات أيضًا في مكافحة الاتجار بالمخدّرات من آسيا الوسطى إلى روسيا؛[3]

6- تسعى السّلطات الرّوسيّة إلى تعزيز العلاقات الثّنائيّة مع كلّ جمهوريّة من جمهوريّات آسيا الوسطى على حدة بهدف تحضير التّربة الوسط آسيويّة لاستقبال الوجود العسكريّ الرّوسيّ، وذلك بما يتزامن مع العمل على تحسين الترتيبات المتعدّدة الأطراف كتلك التّي تجريها المنظّمات والمؤسّسات المذكورة سابقًا (منظّمة معاهدة الأمن الجماعيّ، منظّمة شنغهاي للتّعاون، رابطة الدّول المستقلّة...) تعزيزًا للدّعم الاقتصاديّ لتلك الدّول؛[4]

7- تعمل النّخب الرّوسيّة على إكساب بلادها القدر الكافي من التأثير في منطقة آسيا الوسطى، ممّا يسمح لها أن تنافس القوى الكبرى وتمنعها من الهيمنة على قرارات جمهوريّاتها، لتكون الموجّه الوحيد للقرارات الدّاخليّة والخارجيّة لسلطاتها، وتضمن الحفاظ على مصالحها العسكريّة والسّياسيّة والاقتصاديّة كأولويّة في سياسات تلك الدّول. لذا فإنّ انضمام جمهوريّات آسيا الوسطى إلى الكيانات الاقتصاديّة والسّياسيّة التّي أنشأتها موسكو مثل الاتّحاد الاقتصادي الأوراسيّ، ومنظّمة معاهدة الأمن الجماعيّ، يضمن لهذه الأخيرة أن لا تتماشى السّتانات الخمس إلّا مع السّياسات والقرارات التّي يتّخذها الكرملين.[5]

ت- خلاصة:

يُستنتج ممّا تقدّم أنّ روسيا الاتّحاديّة، وخاصّة منذ استلام الرّئيس فلاديمير بوتين الحكم في العام ٢٠٠٠ تحاول أن تبقى صاحبة النّفوذ الأقوى على الأراضي الوسط آسيويّة للمحافظة على مصالحها

---

[1] Regnum 22 January 2013, citing Russian MFA official: https://regnum.ru/news/search/2013-01-22.html

[2] Craig Oliphant, **Russia's Role and Interests in Central Asia**, op – cit, p. 8

[3] Ibid, p. 9

[4] Idem

[5] Bobo Lo, **La Russie a-t-elle une stratégie en Asie Centrale?**, op – cit, p. 11

الجيوبوليتكيّة؛ ولتحقيق ذلك الهدف اعتمدت جيواستراتيجيّتين أساسيّيتين: الأولى تقضي بتعزيز وجودها العسكريّ في المنطقة بالتّعاون مع الجمهوريّات الخمس، والثّانية تقضي برفع مستوى الشّراكة الاقتصاديّة معها لتقف حائلًا أمام "تدخّل" الدّول الأخرى كالصّين والولايات المتّحدة، وانتزاع النّفوذ الذّي حقّقته روسيا فيها.

يُشار أيضًا إلى أنّ التّخوّف الأميركيّ الذّي تحدّث عنه بريجنسكي من ولادة "متّحد أوراسيّ" قادر على السّيطرة على أوراسيا، وبالتّالي على تحدّي الولايات المتّحدة الأميركيّة على المستوى العالمي،[1] بدأ يتحوّل حقيقة مع الرّئيس بوتين الذي اعتمد عقيدة الامتداد الآسيويّ إلى جانب الامتداد الأوروبّيّ لروسيا الاتّحاديّة، أي الامتداد الأوراسيّ، فباتت الأوراسيّة مشروعًا أيديولوجيًا لكلّ الدّول الواقعة في الفلك الأوراسيّ، وأهمّها روسيا الاتّحاديّة وجمهوريّات آسيا الوسطى، ينافس المشروع الأطلسيّ الغربيّ: "الأوراسيّة مقابل الأطلسيّة"...[2] وعادت بذلك ملامح مشروع الاتّحاد الأوراسيّ تلوح في الأفق، إذ تعود فكرته إلى العام ١٩٩٤ مع الرّئيس الكازاخي نازارباييف...[3] إلى أن تمّ توقيع إتّفاقيّة بين روسيا الاتّحاديّة وروسيا البيضاء وكازاخستان في شهر أيّار من العام ٢٠١٤ لإنشائه... وباشر عمله في أوّل يوم من العام ٢٠١٥.[4]

إنبثق الاتّحاد الاقتصاديّ الأوراسيّ عن الاتّحاد الجمركيّ الذّي كان يضمّ الدّول الثلاث الموقّعة على الاتّفاقيّة، وانضمّت إليه لاحقًا كلّ من أرمينيا وقيرغيزستان. ويهدف هذا الاتّحاد من جملة ما يهدف إلى "تعزيز اندماج" الدّول الأعضاء فيه، ووضع سياسات مشتركة في القطاعات الاقتصاديّة الأهمّ: الطّاقة والصّناعة والزّراعة والمواصلات...[5]

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. ص. 12 – 13

[2] وسيم خليل قلعجيّة، **روسيا الأوراسيّة – زمن الرّئيس فلاديمير بوتين**، مرجع سابق، ص. 186

[3] المرجع أعلاه، ص. 187

[4] المرجع أعلاه، ص. 188

[5] المرجع أعلاه، ص. 189

يسعى هذا "المتّحد" إلى التّوسّع ومنافسة الهيمنة الغربيّة والصّينيّة، فكيف ستضمن الولايات المتّحدة والصّين نفوذها في آسيا الوسطى نتيجة ذلك؟ وكيف ستدير مصالحها الجيوبوليتيكيّة فيها؟ هذا ما ستتولى مناقشته الفقرتين التّاليتين.

الفَقَـرَةُ الثّـانيـة:

الإدارةُ الإسـتراتيجيّـة الصّيـنيّة لِمَصـالِحها الجيُوبوليتيكيّـة فِي مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْـطَى

قبل الغوص في مضمون هذه الفقرة وجب بدايةً إدارك حقيقة أنّ العلاقات التّي تسعى الصّين إلى المحافظة عليها مع دول آسيا الوسطى منذ تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ هي في الأساس متعدّدة الأبعاد ومعقّدة نسبيًا نظرًا لأنّ ما من شيء يهمّ الصّين في المنطقة أكثر من آبار نفطها وغازها.[1] فالمحاور الرّئيسة لتلك العلاقات تقتصر على الطّاقة والاقتصاد ومن تلك المحاور تتفرّع العلاقات السّياسيّة، ومن هذا المنطلق يمكن فهم ديناميكيّة تلك العلاقات ومسار تطوّرها.

أ- موجز عن المصالح الصّينيّة في منطقة آسيا الوسطى:

للصّين بالطّبع جيواستراتيجيّتها الخاصّة والفريدة في منطقة آسيا الوسطى، لكن قبل عرضها ومناقشتها لا بدّ من تلخيص مصالحها الجيوبوليتيكيّة فيها، والتّي تمّ تفصيلها في الفقرة الثانية من الفصل السّابق:

1- مصادر الطّاقة، بالتّزامن مع الافتقار إلى استثمار متطوّر في قطاع الطّاقات والموارد الطّبيعيّة المتجدّدة من قبل الحكومات الوسط آسيويّة بسبب الافتقار إلى وجود سلطات سياسيّة حاكمة قبضتها على المرافق الحكوميّة (باستثناء كتزتخستان)... فالنّفط والغاز الطّبيعيّ والمعدني في جوف أراضي وسط آسيا مصلحة جيوبوليتيكيّة تضمن الأمن الطّاقوي للصّين الشّعبيّة؛
2- التّهديدات الأمنيّة التّي تتعرّض لها جمهوريّات منطقة آسيا الويطى، حوّلتها الصّين الشّعبيّة إلى مصلحة جيوبوليتيكيّة تتذرّع بها لـ"التّدخّل" بحجّة مكافحة تلك التّهديدات، فتحقّق نفوذ جيوبوليتيكيّ

[1] Julie Coulombe, **Le Processus Décisionnel Chinois En Matière De Politiques Energétiques: Le Cas De L'Asie Centrale**, op –cit, p. 3

أساسيّ لها في المنطقة بالإضافة إلى أنّها تضمن حماية مصالحها فيها من المخاطر والتّهديدات المحتملة؛

3- مشروع طريق الحرير الجديد هو المشروع الاستثماريّ الأهمّ بالنّسبة للصّين التّي تسعى إلى خلق جوّ من الاستقرار في منطقة آسيا الوسطى كما في المناطق التّي يمرّ عبرها لضمان نجاحه. فهناك ممرّ أساسيّ من أصل ستّة ممرّات برّيّة يمرّ عبر الأراضي الوسط آسيويّة ليصل بعدها إلى تركيا وأوروبّا. وبالتّالي فإنّ الموقع الجغرافيّ لمنطقة آسيا الوسطى يشكّل بحدّ ذاته مصلحة جيوبوليتيكيّة حيويّة تضمن للصّين تنفيذ مشاريعها الإقليميّة والعالميّة المتوسّعة؛

4- الحفاظ على العلاقات الجيّدة مع جمهوريّات آسيا الوسطى، مصلحة جيوبوليتيكيّة أساسيّة بالنّسبة لصنّاع القرار الصّينيّين، علمًا بأن تلك العلاقات شهدت توتّرًا تاريخيًّا لفترة ليست بقصيرة من الزّمن نتيجةً للصّراعات السّوفياتيّة – الصّينيّة، وإقليم زيغ يانغ الصّينيّ ذو النّزعات الإنفصاليّة المتكرّرة لا يزال يشهد عليها لغاية اليوم. فالحفاظ على العلاقات الجيّدة مع وسط آسيا يضمن للصّين عدم تسرّب معارضين لسياساتها من أراضي تلك المنطقة إلى إقليم شينغ يانغ وتجييش المناهضين لها فيه والتسبّب بأزمات تنتهك أمنها القوميّ.

نتيجة لميراث الصّراعات السّوفياتيّة – الصّينيّة التّاريخيّة، لم تكن العلاقات الصّينيّة مع دول آسيا الوسطى بعد انهيار الاتّحاد السّوفياتيّ علاقات جيّدة، إلّا أنّ النّخب الصّينيّة كانت مدركة تمام الإدراك صورتها السّلبيّة في نظر الجمهوريّات المستقلّة، وقرّرت في العام ١٩٩٢ أن تجعل من الصّين جارًا لطيفًا للمنطقة وتؤسّس لعلاقات حسن جوار، وذلك بما يضمن مصالحها المحليّة، الإقليميّة والعالميّة.[1]

ب- الجيواستراتيجيّة "السّلميّة" للصّين في إدارة مصالحها في المنطقة:

إذن "حسن الجوار" كان العنوان العريض الذّي كتبت الصّين ولا تزال تكتب في مضمونه كيفيّة إدارتها لمصالحها في آسيا الوسطى... وسنعرض ونناقش أسلوب السّلطات الصّينية في إدارة مصالحها

---

[1] Marlène Laurelle, Sébastien Peyrouse, **China as a Neighbor: Central Asian Perspectives and Strategies**, op – cit, p. 24

الجيوبوليتيكيّة، أو في وضع وتنفيذ الجيواستراتيجيا الخاصة بها والمرتبطة بمصالحها في منطقة آسيا الوسطى حصرًا في ما يلي:

1- إنّ "الإختراق الاستراتيجيّ" للولايات المتّحدة الأميركيّة في آسيا الوسطى، أثّر على المكاسب التّي حقّقتها الصّين جرّاء تحسين علاقاتها معها بعد أحداث الأوّل من أيلول ٢٠٠١، كما أثّر على أمنها القوميّ نتيجة ترويج الأميركيّين لفكرة الدّيمقراطيّة في الجمهوريّات المستقلّة الأمر الذّي أقلق صنّاع القرار الصّينيّين من خسارة نفوذهم فيها أمام الأميركيّين... ولمواجهة هذه التّهديدات سعت الصّين إلى تحسين علاقاتها الثّنائيّة مع كلّ دولة من دول آسيا الوسطى على حدة، وكذلك إلى تعزيز دور منظّمة شنغهاي للتّعاون *Shanghai Cooperation Organisation (SCO)*.[1] وحاولت بذلك استغلال برودة العلاقات التّي استجّدت بين جمهوريّات آسيا الوسطى والولايات المتّحدة الأميركيّة نتيجة الموجة الأميركيّة لـ"الثّورات الملوّنة" التّي عمّت المنطقة تحت حجّة نشر الدّيمقراطيّة فيها، إضافةً إلى حرب العراق.[2] هذه الظّروف دفعت بدول آسيا الوسطى إلى توقيع اتّفاقيّات تعاون مع الصّين، مثلًا أوزباكستان وقّعت في الـ ٢٠٠٤ إلى جانب بكين إعلان مشترك يمهّد الطّريق أمام تعميق العلاقات الثّنائيّة بينهما في مختلف المجالات: السّياسة، الاقتصاد، الطّاقة، المعادن، المواصلات، النّقل، الاتّصالات إضافة إلى العمل المشترك على مكافحة الإرهاب...[3] الجدير ذكره أنّ ذلك لم يقِ الصّين من منافسة الولايات المتّحدة الأميركيّة لنفوذها في منطقة آسيا الوسطى، بل إنّه حمى أمنها القوميّ من خطر الأويغور الانفصاليّين في إقليم شينغ يانغ نتيجة اتّفاقيّات العمل المشترك على مكافحة الإرهاب الموقّعة من قبل دول آسيا الوسطى المجاورة للإقليم (قيرغيزستان، طاجاكستان، وأوزباكستان إضافةً إلى كازاخستان أيضًا).[4]

---

[1] Mohammad-Reza Djalili et Thierry Kellner, **L'Asie Centrale Terrain de Rivalités**, op – cit, p. p. 12 – 13

[2] Ibid, p. 13

[3] Idem

[4] Idem

2- من حيث مضامين الجيوبوليتيك العالميّة، تحتلّ منطقة آسيا الوسطى مكانة استراتيجيّة مهمّة، إذ إنّها تمثّل المركز الجغرافيّ لأوراسيا، ومحور الارتكاز لطريق الحرير الجديد، والأهمّ أنّها تمثّل منطقة "قلب العالم" *Heartland* أو منطقة الارتكاز لدى ماكيندر، التّي برأيه في حال تمّت السّيطرة عليها، تتمّ السّيطرة على قارّة أوراسيا ككلّ، وبالتّالي تمّ التّحكّم بالعالم أجمع كما تمّ إيضاحه سابقًا.[1] وبعد موجة الانتقادات التّي تعرّضت لها الصّين منذ العام ٢٠٠٣ لناحية ما سمّي بـ "نظريّة التّهديد الصّينيّ" التّي أطلقها أتباع المدرسة الواقعيّة، والتّي تفترض أنّ إمكانيّات الصّين الوطنيّة تمكّنها من أن تزعزع استقرار النّظام العالميّ ككلّ، صاغ النّائب السّابق لمدير مدرسة الحزب المركزي الصّينيّ *China's Central Party School* تشينغ بيجيان، مصطلح "الصّعود السّلميّ" *"Peaceful Rise"*، الذّي سرعان ما تمّ استبداله بمصطلح "النّظرة المتناغمة للعالم" *"Harmonizing Worldview"*، بعدما توضّح للصّين أنّ "الصّعود" يتطلّب زيادة في القوّة النّسبيّة، إضافة إلى القيام بتحدّي الستاتيكو Status-quo القائم في العالم، والذّي تهيمن عليه الولايات المتّحدة الأميركيّة منذ نهاية الحرب الباردة.[2] لذا كانت "القوّة النّاعمة" *"Soft Power"* الجيواستراتيجيا التّي استخدمتها الصّين للنّجاح في تحقيق ذلك "الصّعود"، وهذه القوّة النّاعمة تعني "مقدرة الدّولة على إقناع الأطراف بتنفيذ إرادتها دون اللّجوء إلى استعمال القوّة أو الإكراه".[3] من هنا اعتمدت الصّين في إدارتها لمصالحها الجيوبوليتيكيّة في منطقة آسيا الوسطى على تقديم نفسها كدولة "صاعدة" مهتمّة بتعزيز التّنمية والتّجارة فيها.[4] ونجحت الصّين في اكتساب رضا الشباب الوسط آسيويّ الذّي فضّل تحقيق مستقبله بدعمٍ منها على أن يكون مدعوم من روسيا الاتّحاديّة[5] بسبب لجوئها إلى القوّة النّاعمة، التّي

---

[1] Ming-Te Hung and Fanie Herman, **China in Central Asia: Harmonizing Mackinder's Heartland**, Education About ASIA, Volume18, Number 3, Winter 2013, p. 25

[2] Ibid, p. 27

[3] Paul Goble, **China's "Soft Power" in Central Asia Both More and Less than it Appears**, Eurasia Daily Monitor, Volume 15, Issue 14, 30 January 2018: https://jamestown.org/program/chinas-soft-power-central-asia-less-appears/ (Accessed On: 03/07/2018)

[4] Idem

[5] Idem

وصفها الصحافيّ وزعيم مجلس العلاقات الخارجيّة الصّينيّة ر. جوشوا كورلانتزيك بـ "الهجوم السّاحر" "Charm Offensive".[1] والدّليل الحسّيّ الأهمّ على نجاح سياسة القوّة النّاعمة هو الرّغبة العالية لتعلّم واكتساب سمات "الشّخصيّة الصّينيّة" المعروفة بـ *Zhongguore*، والتّوسّع في انتشار مراكز تعلّم اللّغة الصّينيّة التّي ترعاها الصّين في جميع أنحاء العالم والتّي يطلق عليها تسمية "معاهد كونفوشيوس" *"Confucius Institutes"*.[2] وبالنّسبة إلى آسيا الوسطى، فهناك سبعة معاهد كونفوشيوس للصّين فيها: إثنين في كازاخستان وفي قيرغيزستان، واحد في كلّ من أوزباكستان، تركمانستان و طاجاكيستان.[3]

3- تتجلّى جيواستراتيجيّة جمهوريّة الصّين الشّعبيّة في منطقة آسيا الوسطى بتحويل هذه الأخيرة إلى شريك إقتصاديّ فاعل لها في المنطقة، كما بالاستفادة من موقعها الجغرافيّ الاستراتيجيّ لربط شرق آسيا بغرب أوروبّا من خلال مشروع طريق الحرير، وخلق أجواء من الاستقرار والأمن مع إقليم شينغ يانغ بحيث تتمكّن بذلك من فتح طريق تجاريّ معه.[4] إلّا أنّ صنّاع القرار الصّينيّون يعلمون جيّدًا أنّ كلّ تلك الموجة التّنمويّة لا يمكن أن تُطبّق إلّا إذا كان المحيط المباشر لبلادهم يتمتّع بالاستقرار والإزدهار؛[5] وهذا كان جلّ اهتمام منظّمة شنغهاي للتّعاون *Shanghai Cooperation Organisation (SCO)* التّي تمّ إنشاؤها لهذه الغاية في الأصل، فهي بمثابة الأداة المتعدّدة الأطراف التّي تستثمر الصّين جهودها فيها لضمان مشاركة الدّول الأعضاء الأخرى وإقامة التّعاون معها.[6] وفي الآونة الأخيرة، النّسبة الأكبر من الاهتمام في منطقة آسيا الوسطى تتمحور حول هذه المنظّمة التّي تمّ إنشاؤها في العام ٢٠٠١ بتوقيع كلّ من الصّين، روسيا، كازاخستان، طاجاكستان،

---

[1] Joshua Kurlantzick, **Charm Offensive: How China's Soft Power Is Transforming the World**, New Haven: Yale University Press, 2007

[2] Ming-Te Hung and Fanie Herman, **China in Central Asia: Harmonizing Mackinder's Heartland**, op – cit, p. 25

[3] Idem

[4] Paul Goble, **China's "Soft Power" in Central Asia Both More and Less than it Appears**, op – cit, p. 24

[5] Idem

[6] Idem

قيرغيزستان، وأوزباكستان،[1] (علمًا أنّ تركمانستان التّي تفضّل التّعاون الثّنائيّ وليس المتعدّد الأطراف هي ضيفة شرف في المنظّمة). ومن خلال هذه المنظّمة التّي اتّخذت تسميتها من إسم أهمّ المدن الصّينيّة "شنغهاي"، تسعى الصّين إلى تقوية علاقاتها مع دول آسيا الوسطى، وتعزيز التّعاون معها لمواجهة أي تهديد أمني، سياسيّ، إقتصاديّ ممكن أن تتعرّض له، بمقابل تعزيزه في مجالي الطّاقة والتّجارة إلى جانب حلّ المشاكل الحدوديّة المتبقيّة في المنطقة.[2]

4- وأخيرًا تسعى الصّين إلى تطويق النّفوذين الأميركيّ والرّوسيّ في آسيا الوسطى واستبدالهما بتوسيع نفوذها الخاصّ، وذلك لضمان تحقيق الاستقرار على حدودها الغربيّة، إضافةً إلى حماية مصالحها الطّاقويّة من أيّة منافسة أو استغلال...[3] لذا تقوم الصّين باستثمار أدواتها التّجاريّة والاقتصاديّة لخلق روابط جديدة تهدف إلى توسيع خيارات منطقة آسيا الوسطى عن طريق الحدّ من اعتمادها الاقتصاديّ على "السّوق الواحدة، والمستهلك الواحد، والمجموعة الواحدة من إمدادات البنى التّحتيّة" وبالتّالي الحدّ من اعتمادها على "نقطة نقل وعبور واحدة"، ممّا يساعد حتمًا جمهوريّات المنطقة على تعزيز استقلالها عن النّفوذ الرّوسيّ المسيطر عليها منذ ردحٍ طويلٍ من الزّمن.[4] وذلك كلّه يتمّ على شكل "التّجارة التبادليّة": تقوم بكين باستيراد النّفط والغاز من كازاخستان وأوزباكستان وتركمانستان، والمعادن (كالذّهب والنّحاس) من طاجاكيستان وقيرغيزستان، وفي المقابل تقوم بتصدير المنتوجات والسّلع المصنّعة (كالآلات والمنسوجات) إليها.[5] ذلك يضمن للصّين حصولها على ما تحتاجه من مصادر الطّاقة والموارد الأوليّة المتوفّرة ضمن الأراضي الوسط آسيويّة.

---

[1] Paul Goble, **China's "Soft Power" in Central Asia Both More and Less than it Appears**, op – cit, p. 25

[2] Ibid, p. 27

[3] Evan Feigenabaum, **China's Big Play in Central Asia**, Council on Foreign Relations, January 5 2010: https://www.cfr.org/blog/chinas-big-play-central-asia (Accessed On 04/07/2018)

[4] Idem

[5] Martin Russel, **China's Role in Central Asia**, European Parlimentary Research Service, European Union, June 2017, p. 1

ت-خلاصة:

بناءً على كلّ ما تقدّم يمكننا أن نستنتج أنّ للصّين دورًا كبيرًا في منطقة آسيا الوسطى، وهناك عدّة عوالم تميّزها وتساعدها على تحقيق دورها: فهي أقرب جغرافيًّا للمنطقة من منافستها الأولى الولايات المتّحدة الأميركيّة؛ هي آسيويّة محض (على عكس روسيا الأوروبيّة) وبالتّالي ليس لها أيّ ارتباط بالامبراطوريّات القديمة روسيّة كانت أو غربيّة؛ هي لا تشارك وروسيا مخاوفها أو سعيها الدّراماتيكي للمحافظة على السّيطرة، كما لا تشارك والولايات المتّحدة أيضًا رغبتها بالتّرويج لتعزيز الدّيمقراطيّة وحقوق الإنسان. وعلى خلاف منافسيها السّابقَين، فإنّ الصّين تمتلك موارد ماليّة هائلة تستطيع تخصيصها لمساعدة البلدان التّي تعاني من ضغوط شديدة في منطقة آسيا الوسطى.[1]

وبحال استطاعت الصّين اكتساب رضا دول آسيا الوسطى، تتمكّن من تحقيق الاستقرار الأمنيّ اللّازم لها في المنطقة لتنفيذ مشروع طريق الحرير الجديد، كما تتمكّن من خلق منطقة أمنيّة حول إقليم شينغ يانغ الغربيّ المضطرب؛[2] وبالتّالي يشكّل مشروعها هذا مظلّة أمنيّة تساعدها على النّجاح في تحقيق مخطّطاتها الإداريّة لكافّة مصالحها الجيوبوليتيكيّة المذكورة سابقًا، بدءًا بتحسين العلاقات مع جمهوريّات المنطقة تمهيدًا لتعزيز التّعاون معها وتطوير أداء منظّمة شنغهاي للتّعاون، إضافةً إلى استخدام منطق "القوّة النّاعمة" كتكتيك أساسيّ في جيواستراتيجيّتها في المنطقة. ولا يمكن أن نغفل عن إدارة الصّين لأهمّ مصلحة جيوبوليتيكيّة لها في آسيا الوسطى ألا وهي مصادر الطّاقة...

---

[1] Paul Goble, **China Quietly Displacing Russia and US from Central Asia**, Eurasia Daily Monitor, Volume 13, Issue 140, 2 August 2016: https://jamestown.org/program/china-quietly-displacing-both-russia-and-us-from-central-asia/ (Accessed On 04/07/2018)

[2] International Crisis Group, **Central Asia's Silk Road Rivalries**, Crisis Group Europe and Central Asia Report N°245, 27 July 2017: https://www.crisisgroup.org/europe-central-asia/central-asia/245-central-asias-silk-road-rivalries (Accessed On: 04/07/2018)

بما أنّ "آسيا الوسطى تُعتبر في السّياسة الخارجيّة الصّينيّة ساحة إختبار للأفكار الجديدة"،[1] كانت إدارة الصّين لمصالحها إدارة فريدة من نوعها، ولكن ماذا عن الولايات المتّحدة الأميركيّة؟ هل استطاعت أن تجاري ذلك الصّعود الصّيني في المنطقة على الرّغم من بعدها الجغرافيّ "وابتعادها الفكريّ" عنها؟ هذا ما سوف تعرضه الفقرة التّالية والأخيرة من هذه الدّراسة البحثيّة.

---

[1] Raffaello Pantucci, Sarah Lain, **China's Eurasian Pivot: The Silk Road Economic Belt,** Whitehall Papers, Volume 88, Issue 1, 16 May 2017

الفَقَـرَةُ الثّالثـة:

الإدارةُ الإســتراتيجيّــة الْأَمِيرِكِيّةِ لِمَصـالِحها الجيُوبوليتيكيّــة فِي مِنْطَقَـة آسْيـا الوُسْـطَى

بما أنّ منطقة آسيا الوسطى تشكّل نطاقًا جغرافيًّا فارغًا من السّيطرة السّياسيّة المباشرة في وسط القارّة الأوراسيّة، تسعى الولايات المتّحدة الأميركيّة لتعبئة هذا الفراغ بنفوذها السّياسيّ، الإقتصاديّ، والعسكريّ، فيتحقّق بذلك محور استراتيجيّتها العالميّة كما سبق وأشرنا وفقًا لمستشار الأمن القوميّ الأميركيّ السّابق بريجنسكي.[1] فتحوّلت الإدارة الأميركيّة بعد الشّرق الأوسط، إلى آسيا الوسطى، أرض الكنوز المنظورة واللّامنظورة، لتستغلّ ما تراه فيها من مصالح تفيدها جيوبوليتكيًّا.

أ- موجز عن المصالح الأميركيّة في منطقة آسيا الوسطى:

أتت القرة الثّالثة من الفصل السّابق على ذكر أهمّ المصالح الجيوبوليتيكيّة التّي سعت الولايات المتّحدة إلى حمايتها واستثمارها في منطقة آسيا الوسطى، وهي تشمل ما يلي:

1- مصالح الطّاقة والموارد المتجدّدة كانت في طليعة أولويّات الإدارة الأميركيّة في المنطقة، لكأنّها تمتلك "رادار" كاشف لبقاع الطّاقة في العالم، وآلة مبرمجة لاستغلالها والاستفادة منها تبعًا للطّرق والأساليب الأميركيّة الفريدة. حيث أنّ النّفط والغاز (إلى جانب المعادن) في منطقة آسيا الوسطى، استحثّ العقول الأميركيّة على صياغة جيواستارتيجيّات مناسبة تضمن لبلادهم الحصول على ما يلزمها من مصادر للطّاقة؛

2- الحفاظ على النّفوذ العالميّ بشكلٍ عام، والسّيطرة على آسيا الوسطى بشكلٍ خاصّ، مصلحتان جيوبوليتيكيّتان أساسيّتان للإدارة الأميركيّة. فهي تحاول باستمرار مزاحمة النّفوذ الأجنبيّ للحفاظ على موقعها العالميّ، كما تسعى دائمًا إلى عرقلة سياسات الاتّحاد الأوروبّي وطموحات الصّين واليابان

---

[1] زبيغنيو بريجينسكي، **رقعة الشطرنج الكبرى**، مرجع سابق، ص. 52

الذّين يبحثون عن مصادر جديدة للطّاقة (بديلة عن تلك التّي تستنذفها الولايات المتّحدة في الشّرق الأوسط)؛

3- "إحتواء روسيا" مصلحة جيوبوليتيكيّة "غير منتهية الصّلاحيّة" بالنّسبة إلى الولايات المتّحدة الأميركيّة، وبما أنّ السّتانات الخمس هي نتاج تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ، فشعبها بالتّالي يحمل الثّقافة السّوفياتيّة والفكر السّوفياتيّ، هذا عدا عن تواجد مواطنين روس على أراضيها... إنطلاقًا من ذلك تسعى الولايات المتّحدة إلى استثمار طاقاتها في جعل الأنظمة الموالية في آسيا الوسطى تتناغم وسياساتها، فيتوسّع نفوذها مقابل انحسار النّفوذ الرّوسيّ. من جهة أخرى تسعى أيضًا إلى فكّ إرتباط الاتّحاد الأوروبّي بالنّفط والغاز الرّوسيّ عن طريق تأمين مصادر بديلة، تقليصًا للهيمنة الرّوسيّة على المنطقة؛

4- بما أنّ آسيا الوسطى هي قلب القارّة الأوراسيّة، رأت الولايات المتّحدة الأميركيّة أن مصلحتها الجيوبوليتيكيّة تقضي بأن تحجز لنفسها مكانةً ثابتةً فيها، لربّما تمهّد لها السّيطرة على أوراسيا وبعدها تستعيد التّفرّد بالتّحكّم بمصير العالم أجمع. لذا فهي تسعى لمحاصرة إيران وروسيا والوقوف في وجه الصّين لمنعها جميعًا من السّيطرة على قلب العالم الهارتلاند ومنافستها في أهدافها السّياديّة؛

5- إنّ الوضع الأمني غير المستقرّ في حوض بحر قزوين نتيجة عدم حسم التّنازع عليه والخلافات حول تقسيم الثّروات على دول الحوض يشكّل مصلحة أميركيّة باستغلالها يتمّ تأمين مصلحة جيوبوليتيكيّة أخرى ألا وهي استثمار مصادر الطّاقة القزوينيّة بواسطة شركاتها النّفطيّة، ممّا يؤدّي إلى إيجاد وتثبيت مواقع نفوذ استراتيجيّة أخرى لها في المنطقة؛

6- بعد موجة الإرهاب التّي اجتاحت آسيا الوسطى على يد القاعدة وحركة طالبان عقب أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، كان من مصلحة الولايات المتّحدة الأميركيّة الحفاظ على الأمن القوميّ الوسط آسيويّ وذلك لضمانها الحفظ على مصالحها الجيوبوليتيكيّة السّابقة الذّكر من الانتهاك أوّلًا، ولتخصّص لنفسها مكانة مرموقة في وجدان الوسط آسيويّين وتصوّر نفسها على أنّها "الأمّ الحنون" المعينة على إحلال الاستقرار والأمن في البلاد.

ممّا تقدّم يتبيّن أنّ مصالح الولايات المتّحدة في منطقة آسيا الوسطى تتمحور حول مصادر الطّاقة وتحقيق النّفوذ ومنافسة الدّول الصّاعدة، فالتّواجد على تلك الأراضي بات بحدّ ذاته مصلحة جيوبوليتيكيّة فائقة الأهمّيّة بالنّسبة لها... لكن كيف تدير الإدارة الأميركيّة تلك المصالح؟ هذا ما سوف يُعرض تاليًا...

ب–جيواستراتيجيّة "التّنقيب عن الكنوز" الأميركيّة في المنطقة:

جيواستراتيجيّة الولايات المتّحدة الأميركيّة تجاه منطقة آسيا الوسطى، هي جزء من جيواستراتيجيّتها العالميّة، من حيث مدى توسّعها، ومقدراتها التّي تمكّنها من الوصول إلى المنطقة، إختراقها، والتّأثير فيها حفاظًا وتعزيزًا لمصالحها الجيوبوليتيكيّة...[1] إنطلاقًا من هنا ارتسمت إدارة تلك المصالح على شكل الخطوات التّالية:

1– بعد انهيار الاتّحاد السّوفياتيّ كانت جيواستراتيجيّة الولايات المتّحدة في آسيا الوسطى موجّهة بشكلٍ رئيسيّ نحو تعزيز التّعاون الإقليميّ والاستقرار السّياسيّ والاقتصاديّ، ولتحقيق ذلك كانت تميل إلى اللّجوء للمؤسّسات المتعدّدة الأطراف.[2] فتفكّك الاتّحاد السّوفياتي كان بمثابة طريق مفتوح أمام الولايات المتّحدة الأميركيّة لتثبّت قدمها في آسيا الوسطى، وهكذا كان... فأعادت الإدارة الأميركيّة صياغة أساليبها وآلياتها وتكتيكاتها لتحقّق أهدافها التّي يتجلّى أهمّها في مجابهة كلّ التّحدّيات التّي ممكن أن تتعرّض لها الأراضي الأميركيّة، إضافة إلى التّقدّم من الجهة المقابلة نحو آسيا الوسطى بهدف ضمان مصالحها الاقتصاديّة والعمل على إحتواء أيّة نواة تهديد ممكن أن تأتي من تلك المنطقة كذلك الأمر.[3] أمّا الحصّة الكبرى في تنفيذ تلك الأهداف على أرض الواقع فكانت لحلف شمالي الأطلسيّ النّاتو *NATO*، فبرنامجه الخاصّ بـ"الشّراكة من أجل السّلام" شمل دول منطقة آسيا

---

[1] Petar Kurečić, **The New Great Game: Rivalry of Geostrategies and Geoeconomics in Central Asia**, Hrvatski Geografski Glasnik, Volume 72, Issue 1, 2010, p. 23 https://pdfs.semanticscholar.org/34ac/1c19686fed96050ec72bde45fe779041f621.pdf

[2] Ibid, p. 28

[3] سامي السّلامي، "**المعركة الكبرى**": **التّنافس على قلب الأرض يعيد تعريف الأمن في آسيا الوسطى**، تحوّلات استراتيجيّة على خريطة السّياسة الدّوليّة، ملحق مجلّة السّياسة الدّوليّة، عدد يوليو 2016، ص. 29

الوسطى، بحيث يمكن إحلال الأمن والسّلام والاستقرار في المنطقة.[1] باختصار اعتمدت الولايات المتّحدة الأميركيّة على حلف النّاتو المتعدّد الأطراف لتنفيذ هدفها بخلق جوّ من الاستقرار في آسيا الوسطى، لتكون قد حققّت للجمهوريّات الوسط آسيويّة الأمن والسّلام والاستقرار المنشودين، وفي الوقت نفسه تكون قد حقّقت لنفسها النّفوذ والقوّة اللّذين تطمح إليهما.

2- بعد الشّراكة والتّعاون من أجل الأمن، كانت خطوة تعزيز الرّوابط الاقتصاديّة مع دول آسيا الوسطى الخطوة التّالية في جيواستراتيجيّة الولايات المتّحدة الأميركيّة، فقامت الإدارة بإدماجها ضمن الاقتصاد العالميّ وتوجيهها نحو تبنّي الاقتصاد اللّيبراليّ خلال ولاية جورج بوش الأب وولاية بيل كلينتون الأولى، للوقوف في وجه أي محاولة روسيّة لإعادة إحياء "إمبرطوريّتها" إنطلاقًا من آسيا الوسطى، علمًا أنّه لا يمكن اعتبار روسيا قوّة عظمى بدون آسيا الوسطى بحسب بريجنسكي.[2] حتّى أنّ الوكالة الأميركيّة للتّنمية الدّوليّة USAID ساعدت الإدارة الأميركيّة في السّباق التّنافسيّ الدّوليّ في آسيا الوسطى من خلال تمويلها لمشاريع ومبادرات تهدف إلى تطوير التّجارة وتعزيز الاستثمارات، وتحسين الأرضيّة للشّركات الصّغيرة والمتوسّطة لتزدهر، وإدارة الموارد الطّبيعيّة، المساعدة في إدخال إصلاحات السّوق إلى قاعَي الزّراعة وهندسة الطّاقة، إضافةً إلى توسيع الخدمات العالية الجودة في قطاعَي الصّحّة والتّعليم.[3] يُشار أيضًا إلى أنّه بناءً على الاتّفاقيّة الإطاريّة للتّجارة والاستثمار المقامة بين الولايات المتّحدة الأميركيّة وجمهوريّات آسيا الوسطى، تمّ إنشاء المجلس الأميركيّ – الوسط آسيويّ الذي يهدف أوّلًا إلى المساعدة في توسيع الفرص التّجاريّة والاستثماريّة برعاية من الولايات المتّحدة، وثانيًا إلى أن يكون بمثابة منتدىً لدعم أوزباكستان، و طاجاكستان، وكازاخستان ومساعدتها كي تنضمّ إلى منظّمة التّجارة العالميّة؛[4]

---

[1] Petar Kurečić, **The New Great Game…**, op – cit, p. 29

[2] سامي السّلامي، "**المعركة الكبرى**": **التّنافس على قلب الأرض،** مرجع سابق، ص. 29

[3] Eldar Ismailov, Murad Esenov, **CEA in the New Geopolitical and Geo-economic Dimensions**, published in "Central Eurasia 2005 Analytical Annual", CA & CC Press, Sweden, 2006, p. 26

[4] Ibid, p. 27

3- أمّا وقوع حدث الحادي عشر من أيلول كان مفصليًّا على منطقة آسيا الوسطى، حيث قامت الإدارة الأميركيّة بصياغة استراتيجيّتين جديدتين بعد استراتيجيّتَي "الاحتواء" و"عدم التّدخّل" ألا وهما استراتيجيّتَي "التّوسّع" و"الانخراط العسكري"، وذلك بهدف التّلاءم والتّناغم مع المرحلة الجديدة التّي تلت حقبة الاتّحاد السّوفياتيّ، إضافةً إلى الحفاظ على الأمن الإقليميّ والدّوليّ بعد العمل الإرهابيّ الذّي ضرب الولايات المتّحدة الأميركيّة، والذّي قيل أنّه مُرتكب من قبل القاعدة في أفغانستان.[1] هذا الحدث كان بمثابة فرصة أمام الإدارة الأميركيّة لتوسيع نفوذها في آسيا الوسطى، فتدخّلت في أفغانستان وأسقطت نظام حلركة طالبان... على ضوء ذلك برزت مخاوف دول آسيا الوسطى من نتائج الحالة الأفغانيّة وخطر تمدّدها إلى أراضيها خصوصًا وأنّ أوزباكستان، تركمانستان، وطاجاكستان تتاخم الحدود الأفغانيّة الشّماليّة، وأنّ قيرغيزستان وكازاخستان كانتا قد صدّرتا عدد لا يستهان به من المقاتلين للإنضمام إلى صفوف طالبان والقاعدة. استغلّت واشنطن مخاوف دول آسيا الوسطى وأبرمت إتّفاقيّات عسكريّة معها للتعاون في التّحالف الدّوليّ ضدّ أفغانستان، كما وأنشأت عدد من القواعد العسكريّة واللوجستيّة على مختلف أراضيها، واستطاعت بذلك أن تثبّت نفوذها برضًا مُعلن من السّتانات الخمس؛[2]

4- في العام ٢٠١٥ كانت للولايات المتّحدة الأميركيّة مبادرة فريدة بضمّ وزراء خارجيّة دول آسيا الوسطى الخمس إلى جانب نظيرهم الأميركيّ ضمن إطار مندى أو منصّة حوار تحت مسمّى *C5+1* تهدف إلى بذل جهود مشتركة لمواجهة التّحدّيات التّي يتعرّض لها كلّ من الطّرفين سواء كان وسط آسيويّ أو أميركيّ.[3] وفي أوّل إجتماع عقدته هذه المجموعة في شهر تشرين الثّاني من العام ٢٠١٥ في ثاني أكبر مدن أوزباكستان: سمرقند، اتّفق الوزراء الأعضاء على ثلاث محاور أساسيّة ذات اهتمام مشترك، وهي: أ- محور الأمن، مع التّركيز على قضايا التّهديدات الإرهابيّة؛ ب- محور الاقتصاد، مع التّركيز على تحسين التّدفقات التّجاريّة الإقليميّة وتوسيع آفاق التّجارة والاستثمار أمام الولايات المتّحدة الأميركيّة؛ ج- محور البيئة، مع التّركيز على القضايا التّي تشكّل

[1] سامي السّلامي، "**المعركة الكبرى**": **التّنافس على قلب الأرض**، مرجع سابق، ص. 30

[2] المرجع أعلاه.

[3] US Department of State, **C5+1 Fact Sheet**, Washington DC, 22 September 2017: https://www.state.gov/r/pa/prs/ps/2017/09/274386.htm

خطرًا على البيئة.[1] أمّا الاجتماع الثّاني الذّي عقدته هذه المجموعة في شهر آب من العام ٢٠١٦ في واشنطن فقد نتج عنه اتّفاق على إطلاق خمسة مشاريع ضمن المحاور الثّلاث السّابقة، والعمل عليها بتمويل من الكونغرس الأميركيّ الذّي خصّص لها ١٥ مليون دولار؛ هذه المشاريع هي التّالية: أ- مشروع *مكافحة الإرهاب:* برعاية من معهد الولايات المتّحدة للسّلام؛ ب- مشروع *المنافسة الوسط آسيويّة في مجال الأعمال:* بدعم من الوكالة الأميركيّة للتّنمية الدّوليّة USAID؛ ج- مشروع *تطوير خطوط المواصلات:* المنفّذ من قبل الوكالة الأميركيّة للتّنمية الدّوليّة USAID؛ د- مشروع *الطّاقة المستقبليّة:* بدعم من الوكالة الأميركيّة للتّنمية الدّوليّة USAID؛ هـ- مشروع *دعم التّخطيط الوطنيّ والإقليميّ:* برعاية الوكالة الأميركيّة للتّنمية الدّوليّة USAID.[2] تهدف الإدارة الأميركيّة من ذلك كلّه إلى تثبيت حسن سير العلاقات الثّنائيّة بينها وبين جمهوريّات آسيا الوسطى بما يعزّز موقعها بالنّسبة إليهم مقارنة بموقع روسيا الاتّحاديّة أو الصّين الشّعبيّة؛

5- أمّا اليوم، فيبدو أنّ استراتيجيّة الولايات المتّحدة تجاه أوراسيا عامّة وآسيا الوسطى خاصّة قد تبدّلت من جديد بحسب ما ورد في مقال نشره أحد مراكز الدّراسات الرّوسيّة في شهر أيّار من العام ٢٠١٨. تبّدلت لتعود إلى عقيدة الاحتواء ولتسعى إلى إضعاف الصّين وروسيا من جديد قبل اتّخاذ أيّة خطوة أخرى... حتّى أنّها باتت تعتبر أنّ احتواء هاتين القوّتين يفوق بأهمّيته مختلف أهداف الاستراتيجيّة الأخرى في القارّة الأوراسيّة ومن ضمنها: محاربة الإرهاب والتّحدّيات الأمنيّة، التّنمية الإقتصاديّة، وإلى ما هنالك...[3] علاوة على ذلك، فإنّ أي دور ممكن أن تلعبه الولايات المتّحدة اليوم في آسيا الوسطى سيضافر جهود كلّ من روسيا والصّين لتتعاونا على الحد من هذا الدّور قدر الإمكان.[4] وفي المقابل، لا تملك الولايات المتّحدة المقدرة على الحدّ من دور الصّين في التّنمية الاقتصاديّة لدول آسيا الوسطى، ولا حتّى من الدّور الذّي تلعبه روسيا الاتّحاديّة إن في المجالين

[1] US Department of State, **C5+1 Fact Sheet**, op – cit

[2] Idem

[3] Dimitri Suslov, **New US Eurasian Strategy and Central Asia**, op – cit

[4] Idem

المؤسّساتيّ والأمنيّ، أو في مجال التّكامل الاقتصاديّ.[1] لذا ارتأت الإدارة الأميركيّة مؤخّرًا بأن توجّه استراتيجيّتها نحو احتواء الصّين وروسيا في أوراسيا، وتأتي الخطوات التّوسّعيّة السّياديّة لاحقًا.

ت–خلاصة:

يمكننا أن نستنتج ممّا تقدّم أن جيواستراتيجيّة الولايات المتّحدة الأميركيّة في آسيا الوسطى تتوسّع تحت عنوانين أساسيّين: النّفوذ ثمّ النّفوذ... فهي تتزاحم والنّفوذ الصّينيّ من خلال حلف شمالي الأطلسيّ ومجموعة الـ C5+1 في مواجهة منظّمة شنغهاي للتّعاون، وتتسابق على تنفيذ مشاريع متشابهة كتشييد شبكات للطّرق والمواصلات، ومدّ خطّ أنابيب للغاز في اتّجاه بحر قزوين لمنفسة مشروع طريق الحرير الصّينيّ... بالإضافة إلى أنّها تبذل جهودًا كثيرة لدعم الاستقرار في المنطقة عن طريق الاشتراك والتّعاون لإرساء الأمن والقضاء على الإرهاب وخاصّة على ذلك المتصاعد من حدودها مع أفغانستان،[2] ممّا عزّز ثقة الجمهوريّات بها ووطّد العلاقات معها.

إلّا أنّ قرار الانسحاب من أفغانستان الذّي أعلن عنه باراك أوباما في العام ٢٠١٤ أثّر سلبًا على العلاقات الأميركيّة بدول آسيا الوسطى، لأنّ هذه الأخيرة اعتبرته إهمالًا وتخلٍّ من الإدارة الأميركيّة عن أمن المنطقة خاصّة وأنّها فشلت طوال السّنين الماضية في تنفيذ وعودها بالقضاء على طالبان وإعادة النّهوض بالدّولة وبناء مؤسسات فاعلة في أفغانستان.[3]

حاولت الإدارة الأميركيّة إعادة "إرضاء" السّتانات الخمس من خلال مجموعة الخمس زائدًا واحدًا C5+1، لتوسيع مجالات التّعاون في محاور ثلاث أساسيّة: الأمن، الإقتصاد، والبيئة... وفي سياقٍ متّصل كانت لآسيا الوسطى حصّة كبرى، من موجة الثّورات الملوّنة المدعومة من الولايات المتّحدة تحت ذريعة

---

[1] Dimitri Suslov, **New US Eurasian Strategy and Central Asia**, op – cit

[2] سامي السّلامي، "**المعركة الكبرى**": **التّنافس على قلب الأرض**، مرجع سابق، ص. 31

[3] المرجع أعلاه، ص. 30

"التّحوّل الدّيمقراطيّ"، التّي وصلت إلى قيرغيزستان مع "ثورة التّوليب" عام 2005،[1] وذلك لضمان إستقلاليّة هذه الدّول عن المظلّة الرّوسيّة محاولة منها باحتوائها من جديد، من خلال التّلويح براية حقوق الإنسان لكسب ودّ الوسط آسيويّين... إلّا أنّه وفي نظرة عامّة يمكن الاستنتاج أنّ الجيواستراتيجيّة الأميركيّة في وسط آسيا تمرّ في مراحل صعود وهبوط، ولم تشهد استقرارًا يُذكر لتاريخه.

[1] Licoln Mitchell, **The Color Revolutions**, Foreign affairs Magazine, January/February 2013 Issue: https://www.foreignaffairs.com/reviews/capsule-review/color-revolutions (Accessed On 06/07/2018)

الْخَـاتِمَـة

"**تأثير جيوبوليتيك منطقة آسيا الوسطى على استراتيجيّات الدّول الكبرى**" *(روسيا الاتّحاديّة، الصّين الشّعبيّة، والولايات المتّحدة الأميركيّة)*، هذا هو العنوان الذّي حملته هذه الدّراسة البحثيّة، وهذا هو الموضوع الذّي حثّني على الإبحار في تفاصيله والغوص في خفاياه لمحاولة فهم سرّ الاندفاع الكبير الذّي، ومنذ تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ، لا يزال يتحكّم بجيواستراتيجيّات الدّول الكبرى ويوجّهها تدريجيًّا نحو هذه المنطقة الفريدة من العالم.

فكثيرة كانت التّحليلات، وأكثر كانت الآراء التّي تفيد بأنّ مستقبل العلاقات الدّوليّة، أو المسرح المقبل للتّنافس الدّوليّ بعد مسرح الشّرق الأوسط سوف يكون مسرح آسيا الوسطى ذو الكواليس الأوراسيّة حيث تتنازع روسيا الاتّحاديّة، الصّين الشّعبيّة، والولايات المتّحدة الأميركيّة على تأدية دور البطولة على خشبته، وعلى كسب ودّ الجمهور الذّي ما هو إلا الجمهور الوسط آسيويّ لاستكمال مخططاتها التّنافسية.

لم ينشأ هذا التّنازع أو التّنافس عن عبث، بل كانت معظم النّظريّات الجيوبوليتيكيّة الشّهيرة في هذا العالم، المحفّز الأوّل أو الشّرارة الأساسيّة التّي أشعلت إرادة تلك الدّول الكبرى ودفعتها إلى خوض تجربة السّيطرة على آسيا الوسطى كونها – وكما تتفّق نظريّات ماكيندر، سبيكمان، وبريجنسكي، حتّى ولو اختلفت مقارباتها – تمثّل المرحلة الأوليّة التمهيديّة للسّيطرة على العالم ككلّ مرورًا بمرحلة السّيطرة على القارّة الأوراسيّة كمرحلة وسطيّة.

ففي كلّ من النّظريّات الجيوبوليتيكيّة التّي تناولها القسم الأوّل من هذه الدّراسة، كانت لآسيا الوسطى أهمّية استراتيجيّة كبرى تلتقي والمصالح التّوسعية لأغلب القوى العالميّة والإقليميّة الصّاعدة، ممّا دفع هذه الأخيرة إلى التفكير الجدّي بتحديد المصالح الجيوبوليتيكيّة الخاصّة بها في المنطقة، وصياغة سبل إدارتها لاستثمارها تمهيدًا لتحقيق ما أوردته النّظريّات الجيوبوليتيكيّة العالميّة وتطبيقه عمليًا على أرض الواقع.

وهكذا كان، فكلّ دولة من الدّول الثّلاث الكبرى المتنافسة، كانت لها جيواستراتيجيّتها الخاصّة التّي حاولت تطبيقها في آسيا الوسطى؛ إلّا أنّ النّقاط المتشابهة بين تلك الجيواستراتيجيّات كانت أكثر بكثير من نقاط الاختلاف، لا بل أنّ تلك الأخيرة تكاد لا تُذكر حتّى... فالنّفوذ كان العنوان العريض والمحور المشترك

لروسيا، الصّين والولايات المتّحدة في آسيا الوسطى، إلى جانب استثمار مصادر الطّاقة طبعًا. وكلّ من اللّاعبين الثّلاثة كانت له أساليبه الخاصّة في العمل على تحقيق ذلك.

حتّى أنّ أساليب تلك الدّول في إدارتها لمصالحها تشابهت إلى حدّ بعيد، فالكّل يسعى لتحسين العلاقات مع جمهوريّات وسط آسيا، وبالتّالي الكلّ يحاول اعتماد الأساليب السّلميّة في إدارته للوصول إلى المبتغى؛ ومن جهّة أخرى، فإنّ كافّة الأطراف تحاول إغراء جمهوريّات آسيا الوسطى بمشاريع استثماريّة وبناء خطوط مواصلات ونقل، ومدّ أنابيب للنّفط، وما إلى هنالك، لتحسين الواقع الاقتصاديّ لتلك الجمهوريّات، والوصول بالمقابل إلى غاياتها المعلنة وغير المعلنة.

يُشار هنا أيضًا إلى أنّ الهيئات والمجموعات والمنظّمات الإقليميّة كان لها دورٌ فاعل في عمليّة تنفيذ جيواستراتيجيّات الدّول، فشاهدنا عدّة إتفاقيّات ومعاهدات تمّ توقيعها بين دول آسيا الوسطى والأقطاب الثّلاث، إلى جانب الدّعم الذّي حصلت عليه هذه الدّول، والمساعدات، والمشاريع المنفّذة عن طريق المنظّمات والهيئات المذكورة: الاتّحاد الإقتصاديّ الأوراسيّ، منظّمة معاهدة الأمن الجماعيّ CSTO، ورابطة الدّول المستقلّة Commonwealth من الجانب الرّوسيّ؛ منظّمة شنغهاي للتّعاون SCO، من الجانب الصّينيّ؛ حلف شمالي الأطلسيّ NATO، الوكالة الأميركيّة للتّنمية USAID، مجموعة الـ C5+1 من الجانب الأميركيّ.

وعند الإتيان على ذكر المنظّمات والهيئات الإقليميّة، وخاصّة منظّمة شانغهاي للتّعاون التّي تضمّ إلى جانب دول آسيا الوسطى (ما عدا تركمانستان)، جمهوريّة الصّين الشّعبيّة وروسيا الاتّحاديّة، يتبيّن في هذه المنظّمة – التّي أنشأت في العام ٢٠٠١ والتّي تهدف إلى تعاون أعضائها في ثلاث مجالات أساسيّة: الأمن، الإقتصاد، والشّؤون والمخاوف الإنسانيّة[1] – أنّ حالات المدّ والجذر بين روسيا الاتّحاديّة والصّين الشّعبية تسيطر على الأجواء في ظلّ عدم توافق الطّرفين على كيفيّة التّعاون لتخطّي التّحديّات الإقتصاديّة في منطقة آسيا الوسطى، كتحدّيات الطّاقة والتّجارة.[2] وذلك يعود إلى تخوّف روسيا من تنامي النّفوذ الصّيني

---

[1] Shilong Yang, **The Balance Power of the SCO**, Chinascope, 2012: http://chinascope.org/archives/6419/92 (Accessed On 08/07/2018)

[2] Johannes F. Linn, **Central Asia Regional Integration and Cooperation: Reality or Mirage?**, Eurasian Integration Year Book, Eurasian Development Bank (EDB), 2012, p. 103

في المنطقة وقلقها في المحافظة على مصالحها الجيوبوليتيكيّة في تصدير النّفط والغاز إلى الإقليم،[1] وبالتّالي عدم الاتّفاق معها على خططها الاقتصاديّة للمنطقة. هذا من دون أن نغفل عن أنّ القرارات التّي تتخذها هذه المنظّمة تصطبغ بالهالة الصّينيّة في أغلب الأحيان... لكن من النّاحية المقابلة، لا بدّ من تقارب روسيّ صينيّ في المجالات الأخرى وذلك بهدف التّعاون للوقوف بوجه التمّدد والمنافسة الأميركيّة في المنقطة؛ فنتيجةً لاتّباع الصّين منهجًا سلميًا في مختلف سياساتها الخارجيّة، تقوم بالتّنسيق مع الرّوس في المجال العسكريّ، خاصّة إذا ما كان هناك منافسة أميركيّة لهما في المنطقة، حيثُ أنّ الصّين تتردّد في الدّخول في أيّ نزاع إذا ما كان سيؤدّي إلى صراعٍ مسلّح في نهاية المطاف، و من الطّبيعيّ في هذه الحال أن تولي المهمّة آنذاك لنظيرتها الرّوسيّة، علمًا أنّ هذه الأخيرة استطاعت أن تحافظ على نوعٍ من التحالف العسكريّ مع شركائها السّوفياتييّن السّابقين، ولها قواعدها العسكريّة في المنطقة.[2]

على أيّة حال، وفي دراسة نشرها معهد كارنيغي في شهر نيسان من العام ٢٠١٨ الجاري، ورد أنّ روسيا الاتّحاديّة والصّين الشّعبيّة ملتزمتين بالعمل معًا في آسيا الوسطى إذ أنّهما وقّعتا اتّفاق مشترك يقضي بأن تتولّى روسيا زمام القيادة في الشّؤون العسكريّة الإقليميّة والاستقرار السّياسيّ، في مقابل استلام الصّين زمام الأمور في كلّ ما يتعلّق بالتّنمية الاقتصاديّة في منطقة آسيا الوسطى.[3]

لكن ذلك بمفرده غير كافٍ، فعلى روسيا الاتّحاديّة والصّين الشّعبيّة والولايات المتّحدة الأميركيّة أيضًا أن تنعتق من أساليبها التّقليديّة في إدارة شؤونها في منطقة آسيا الوسطى؛ فإعادة توطيد العلاقات وتعزيز الرّوابط لا تحلّ مشاكل آسيا الوسطى الدّاخليّة، لا بل أنّ بلادًا غير مستقرّة مثل بلادها باتت معتادة على الوعود والخطابات الرّنانة، ومدركة تمام الإدراك أنّ في خلفيّة تفكير الدّول الكبرى تقبع مصالح استراتيجيّة تستدعي الحماية وليس مشاعر نبل وإنسانيّة تستحثّها على المساعدة؛ لذا لن تكفي الأساليب الدّبلوماسيّة في الوصول إلى المبتغى.

---

[1] Idem

[2] Garret Mitchell, **China in Central Asia: The Beginning of the End of Russia?**, SLOVO, Vol. 26, N°1, Spring 2014, p. 30

[3] Arkady Dubnov, **Reflecting on a Quarter Century of Russia's Relations with Central Asia**, Carnegie Endowment For International Peace, April 2018, p. 1

في المقابل لا يمكن نفي "المزايا" التّي تتمتّع بها إدارات تلك الدّول، فهي عرفت جيّدًا كيف تفيد جمهوريّات آسيا الوسطى: فالأمن العسكري والسّياسيّ الذّي استطاعت روسيا أن تضمنه، والنّمو الإقتصاديّ الذّي حقّقته ولا تزال تحقّقه الصّين، إضافةً إلى المساعدات التّنمويّة التّي قدّمتها الولايات المتّحدة الأميركيّة كلّها كان لها أثرها البالغ على السّلطات الوسط آسيويّة. ويمكن القول أنّ الأقطاب العالميّة حقّقت لنفسها إفادة جيوبوليتيكيّة بذلك، لأنّه بطبيعة الحال "من أراد أن يستفيد، فعليه أوّلًا أن يُفيد".

أمّا لناحية سدّ "الثّغرة" النّاجمة عن "الكلاسيكيّة" التّي انطبعت فيها جيواستراتيجيّات الدّول، وانطلاقًا من هذه الدّراسة، تُقدّم عدّة مقترحات:

أ) فيما يختصّ بجيواستراتيجيّة روسيا الاتّحاديّة في آسيا الوسطى:

- على روسيا أن تسعى إلى "رقرقة" سياستها الخارجيّة تجاه آسيا الوسطى، لتحسين صورتها أمامهم؛ فصورة الدولة "التّوسّعيّة المتسلّطة" أو ميراث الاتّحاد السّوفياتيّ الثّقافيّ بات غير منسجم مع ما غدا العالم عليه اليوم ويؤثّر سلبًا في علاقتها بجوارها، كما أنّه يشكّل مكمنَ ضعفٍ في الشّخصيّة الإقليميّة والدّوليّة للكيان الرّوسيّ الجديد وجب اقتلاعه من جذوره القوميّة واستبداله بسياسة حسن الجوار الحقّة وتطبيق ما قاله الرّئيس فلاديمير بوتين: *"نحن لا نسعى إلى إكتساب لقب القوّة العظمى، وليس لدينا أي طموحات لبسط الهيمنة الدّوليّة أو الإقليميّة، لا نهاجم مصالح أحد ولا نفرض على أحد* وصايتنا ولا نعطي دروسًا لأحد"[1] حق التّطبيق على أرض الواقع؛
- وفي الوقت الذّي تستمرّ الصّين فيه بالعمل على الحصول على إمكانيّات متقدّمة لتحقيق الحصول على نسب متقاربة مع نسب موارد الطّاقة الرّوسيّة أوّلًا، وعلى التّقنيّة العسكريّة التّي تتمتّع بها روسيا؛ على روسيا بالمقابل أن تقوم ببذل الجهود لتحسين اقتصادها بما يضمن لها أمنها الاقتصاديّ ويساعدها على تقوية موقعها في حلفها مع الصّين لمواجهة أي خطر أو منافسة تهدّدهما، وتحقيق أهدافهما المشتركة في وسط آسيا وصولًا إلى تمتين أسس الاتّحاد الأوراسيّ المرتقب الذّي سينافس اتّحادات الأقطاب الغربيّة، وخاصّة تلك الأميركيّة منها لهزيمة "ملكها" المتربّص بـ "رقعة الشّطرنج" الأوراسيّة؛

---

[1] وسيم خليل قلعجيّة، **روسيا الأوراسيّة...**، مرجع سابق، ص. 353

- على الكرملين أن يعزز الرّغبة الرّوسيّة في تحقيق الأهداف الاستراتيجيّة، كما عليه أن يعمل جاهدًا على دعم موارده البشريّة وذلك عن طريق مدّها بالإمكانات إلى جانب الإرادة لتتمكّن من تجاوز الصّعوبات التّي تواجهها أثناء تطبيق المخطّطات. مع العلم أنّه ليس من مخطّط جيواستراتيجيّ واضح لروسيا في منطقة آسيا الوسطى، وهذا ما على النّخب الرّوسيّة أن تقوم بتنفيذه قبل أي شيء آخر، نظرًا للأهمّيّة الجيوبوليتكيّة التّي تتمتّع بها المنطقة، والتّي تمّ تفصيلها في القسم الأوّل من هذه الدّراسة؛

يمكننا أن نستنتج هنا، أنّ منطلق التعديلات المقترحة لجيواستراتيجيّة روسيا في منطقة آسيا الوسطى هو "الدّاخل"، فعلى السّلطات الرّوسيّة أن تدرك فعليًا واقع حال المسرح الدّوليّ ككلّ والمسرح الوسط آسيويّ بشكلٍ خاصّ، وتتخلّص من فكرة "العيش على أمجاد الماضي"، لأنّها لن تعينهم على المسير قدمًا، بل أنّها – تلك الأمجاد الماضية – ستؤخّر تنفيذ كل فكرة استراتيجيّة تطوّريّة وتشدّ بها إلى الخلف... المطلوب تكريس الجهود، تحديد الأهداف، وتأجيج الإرادة للتّفيذ، ولكن بأسلوبٍ يحاكي مقدرات وإمكانات الدّول المنافسة لها في آسيا الوسطى، وأهمّها الصّين الشّعبيّة والولايات المتّحدة الأميركيّة، وذلك تفاديًا لنتائج تشابه "نتائج أمجاد الماضي" ومنعًا من "إنهيارٍ" جديد يضرب الإنتفاضة وعودة الصّعود الرّوسي وتوسّع دوره إقليميًّا وعالميًّا.

ب) أمّا فيما يختصّ بجيواستراتيجيّة الصّين الشّعبيّة في آسيا الوسطى:

- على الصّين العمل على توسيع عمل منظّمة شنغهاي للتّعاون بحدّ ذاته، وليس توسيع عملها من خلال منظّمة شنغهاي للتّعاون – وخاصّة بعد انضمام الهند وباكستان إلى المنظّمة في العام ٢٠١٧ – لأنّ هذه المنظّمة كفيلة، إذا ما نفّذت الأهداف التّي أُنشئت من أجلها، بأن تساهم في بلورة النّظام الجيوبوليتيكيّ والجيوإقتصاديّ لأوراسيا الكبرى، ليكون بمثابة متّحد أو كيان قائم بحدّ ذاته لمواجهة الأقطاب الغربيّة التّي تنافسه في عقر داره أوّلًا، تمهيدًا إلى منافسته عمليًا؛

- إنّ المحافظة الجدّية على العلاقات الجيّدة مع روسيا الاتّحاديّة، لا يفيد الصّين فقط من حيث ضمانها الحصول على جوّ آمن في آسيا الوسطى يمكّنها من تنفيذ مشروعها الاقتصاديّ الاستثماريّ "حزام واحد طريق واحد" أو ما يُعرف بـ "طريق الحرير الجديد" الممتدّ في المنطقة، إنّما يضمن لها أيضًا بأن تكون وروسيا درعًا آمنًا في وجه المشاريع الأميركيّة المنافسة وتدخّلات حلف شمالي الأطلسيّ و "مساعدات" الوكالة الأميركيّة للتّنمية التّي تحدّ من نفوذهما معًا. فبدلًا من أن تعمل على منافسة روسيا سياسيًّا وعسكريًّا من خلال سعيها إلى إمتلاك إمكانات مشابهة لإمكاناتها، فلتوجّه تلك الطّاقة المبذولة على منافسة الحليف وتستثمرها في منافسة "العدوّ"، فتضمن لنفسها بذلك محيطًا آمنًا، علاقة جيّدة مع الجوار، وفرصًا وجوًّا مناسبًا كفيلين بتنفيذ المشاريع المرسومة وتحقيق الأهداف المرتقبة؛
- على الصّين أن تدرك أنّ دورها في آسيا الوسطى لا يأخذ بعدًا إقتصاديًا وليس هو إقتصاديًّا حصرًا، بل له أبعاد سياسيّة، وهذا ما يجب أن تعمل على أساسه في جيواستراتيجيّتها في المنطقة. بمعنى آخر على خطواتها التّجاريّة والاستثماريّة في آسيا الوسطى أن تكون متوازنة مع مصالح روسيا الاتّحاديّة، فلا يمكنها أن تكرّس نفسها كشريك تجاري واستثماري رئيسي في دول آسيا الوسطى في الوقت الذّي تسعى فيه روسيا إلى إعادة توطيد العلاقات معها وإعادة دمجها في هيئات ومنظّمات إقليميّة مثل الإتّحاد الإقتصاديّ الأوراسيّ ومنظّمة معاهدة الأمن الجماعي، كونها جمهوريّات سوفياتيّة سابقة... فقليل من "التّوازن السّياسيّ" لا يُفسِد في الودّ قضيّة.

لا شكّ أنّ للصّين جيواستراتيجيّة مميّزة في منطقة وسط آسيا، وبنظرة عامّة على السّياسة الخارجيّة للصّين بشكلٍ خاص، يتبيّن أنّ تلك الجيواستراتيجيّة ما هي إلّا تكتيك ضمن الاستراتيجيّة الأكبر للصّين على المستوى العالميّ، وما هي إلّا معلم على طريق مخطّطات طويل رسمه صنّاع القرار الصّينيّون، ومشروع طريق الحرير الجديد هو أحد تلك المشاريع الإقليميّة ذات البعد العالمي التّي تسعى الصّين بكلّ ما أوتيت من قوّة إلى تنفيذها... إنّما على النّخب الصّينيّة أن تتنبّه إلى "البارانويا" أو "جنون العظمة" الذي يبدو أنّه يضرب الدّول الصّاعدة – على أمثال كوريا الجنوبيّة نتيجة التّفوّق النّوويّ، والولايات المتّحدة بشخص دونالد ترامب – وأن تحافظ على براغماتيّتها المعهودة في إدارتها لمصالحها في آسيا الوسطى وأن تتيقّظ للأبعاد السّياسيّة

التّي من الممكن أن تتأتّى عن تلك الجيواستراتيجيا، خاصّة في ظلّ وجود إقليم شينغ يانغ المضطرب... إضافةً إلى أنّ العلاقة الجيّدة مع روسيا يجب أن تكون الشّرط الأساس لكلّ خطواتها اللّاحقة في المنطقة، إذ أنّه ليس من مصلحتها أن ترى حليفها ينهار نتيجة العقوبات والسياسات الأميركيّة المنافسة له، دون أن تحرّك ساكنًا، لا بل أن تكون هي أيضًا سببًا إضافيًّا لإنهياره، أو أقلّه معاداته، إذ أنّها بذلك سوف تفقد صمّام الأمان وضابط الأمن لها في دول آسيا الوسطى، وتخسر بالتّالي جو الإستقرار الذّي تحتاجه لاستكمال مشاريعها الاستثماريّة.

ج) وأخيرًا فيما يختصّ بجيواستراتيجيّة الولايات المتّحدة الأميركيّة في آسيا الوسطى:

- إنّ آسيا الوسطى تشكّل نقطة إرتكاز أو محور لمخطّط الولايات المتّحدة الأميركيّة الأوسع في أوراسيا، وبالتّلي فإنّ مصلحتها تقضي بأن تحافظ على الأمن والاستقرار فيها، وبالتّالي فعلى الإدارة الأميركيّة أن تدرك تمام الإدراك مكامن قوّتها وضعفها في المنطقة وتدير مصالحها على هذا الأساس... إنطلاقًا من ذلك عليها أن تسعى إلى جانب الوجود العسكريّ، إلى أن تركّز على المجالات التّي لديها الإمكانيّة والمقدرة على أن تحقّق فيها تقدّمًا ملموسًا كمجالات الصّحة والتّعليم قبل أن تبحث عن عن السّعي إلى تعزيز الدّيمقراطيّة في المنطقة...[1] فتجييش المعارضين للأنظمة القائمة الموالية لروسيا الاتّحاديّة نتيجة الميراث الثّقافيّ السّوفياتيّ صعب، وفَشَل الثّورات الملوّنة التّي دعمتها أكّد ذلك، بينما استبدال الثّقافة السّوفياتيّة بتلك الغربيّة "الدّيمقراطيّة" عن طريق التّعليم مثلًا، صحيح أنّه يتطلّب وقت أطول لكنّه يضمن الحصول على نتائج أفضل؛
- وبدلًا من أن يكون للولايات المتّحدة مشاريعها الخاصّة في المنطقة كتلك التّي تقوم بها الصّين الشّعبيّة، يمكننها التّغلغل أكثر في الجمهوريّات المستقلّة إذا ما قامت بدعم المشاريع التّي تقيمها تلك الجمهوريّات بنفسها كمشروع نظام النّقل الكهربائيّ الإقليميّ في جنوب ووسط آسيا المعروف بـ CASA 1000 (Central Asia South Asia Power Project)، تكون أسّست لنفسها خطوط

[1] Michael Romanowski, **Decoding Central Asia: What's next for the US Administration?** The Diplomat, February 28, 2017: https://thediplomat.com/2017/02/decoding-central-asia-whats-next-for-the-us-administration/ (Accessed On: 12/07/2018)

تعاون ليس مع الحكومات الوسط آسيويّة فقط، بل مع الهيئات والمؤسّسات الإقليميّة في أوراسيا، وفتحت أمامها منفذًا للتّدخل غير المباشر في افغانستان إذ أنّ المشروع هذا يقضي بإيجاد ظروف ملائمة بشكلٍ مستدام لتجارة الكهرباء بين طاجاكيستان وقيرغيزستان في آسيا الوسطى، وأفغانستان وباكستان في جنوب آسيا؛[1]

- وبما أنّ مستشار الأمن القوميّ الأميركيّ السّابق زبيغنيو بريجنسكي اعتبر أنّ أوراسيا هي رقعة شطرنج تتنافس عليها الدّول، فلا بدّ للولايات المتّحدة أن تدرك خلال صياغتها لجيواستراتيجيّتها فيها أنّ أية خطوة خاطئة ستفسح الطّريق تدريجًا أمام انتصار الفريق المنافس، أو حتّى في الحالة الأوراسيّة، ستتسبّب بظهور كيان منافس جديد (كالمتّحد الأوراسيّ) يمكنه "طرد" الولايات المتّحدة نهائيًّا من اللّعبة... وبالتّالي على الإدارة الأميركيّة أن تحسب خطواتها جيّدًا وأن تحاول صياغة شراكة استراتيجيّة مع المناطق التّي تهمّها من أوراسيا، دون أن تنشغل بالمناورات العسكريّة وبتهديد المصالح الجيوبوليتيكيّة لمنافسيها في آسيا الوسطى لكي تضمن لنفسها مكانًا في اللّعبة؛
- وفي نظرة شاملة للأهداف الجيوبوليتيكيّة للصّين الشّعبيّة وروسيا الاتّحاديّة إلى جانب الولايات المتّحدة الأميركيّة في آسيا الوسطى، نجد أنّ هؤلاء اللّاعبين الثّلاث يتشاركون أهداف مكافحة الإرهاب، بسط الأمن والاستقرار، توطيد العلاقات، تنمية قطاعات الدّولة، والاهتمام بقضايا البيئة... وبالتّالي يمكن هنا للولايات المتّحدة أن تستغلّ فكرة الأهداف المشتركة لتبقي قنوات التّواصل مفتوحة مع بكين وموسكو، بما يخدم تحقيق ما ورد في النّقطة السّابقة حول ضمان الإدارة الأميركيّة حفاظها على مكانها في "لعبة الشّطرنج الكبرى"، وعدم طردها منها... بالتّالي عليها أن تعلم أن أي محاولة لاحتواء الصّين أو روسيا سوف تنقلب عليها على هيئة أقصاء أو إبعاد عن المنطقة؛

بهدف ضمان التّنمية المستدامة في المنطقة، على الأفرقاء الجيوبوليتيكيّين، وعلى رأسهم الولايات المتّحدة الأميركيّة، أخذ مصالح بعضهم في عين الاعتبار؛ فعلى واشنطن أن تدرك أهميّة مصالح وأمن موسكو الاستراتيجيّ بالنّسبة للإدارة الرّوسيّة مثلًا، وينبغي عليها مهما كان الأمر وتحت أي ظرفٍ من الظّروف أن لا تسعى إلى تغيير الأنظمة القائمة في آسيا الوسطى بمبادرة فرديّة، وإلّا ستعتقد موسكو أنّها لا

---

[1] The World Bank, **Central Asia South Asia Electricity Transmission and Trade Project (CASA 1000)**: http://projects.worldbank.org/P145054?lang=en (Accessed On 12/07/2018)

تحترم قواعد اللّعبة وسيكون لها ردّها المناسب على ذلك فورًا...[1] فلا يمكن لواشنطن أن تغفل عن أنّه سيكون دائمًا لآسيا الوسطى روابط وثيقة مع الصّين وروسيا؛ فروسيا تمثّل الماضي والثّقافة والتّاريخ، أمّا الصّين فتمثّل المستقبل والإمكانيّات والفرص الاقتصاديّة الكبرى...[2] هذا لا يعني أنّه ليس للولايات المتّحدة مكانًا بين هذين اللّاعبين، بل يعني أنّه يجب على الولايات المتّحدة أن تروّج لنفسها وتفرض وجودها كخيار ثالث أمام دول آسيا الوسطى، وإلّا تخسر فرصتها في المنافسة على السّيطرة على أوراسيا وبالتّالي على استعادة عرش السّيطرة على العالم ككلّ.

أخيرًا، وبعد كل ما تمّ إيضاحه في هذه الدّراسة، لا بدّ من القول إنّ واقع آسيا الوسطى يستدعي أن تعتمد الدّول على مهاراتها الجيواستراتيجيّة بشكلٍ دقيق ومدروس لكي تحقّق الأهداف التّي توقّعتها النّظريّات الجيوبوليتيكيّة حول السّيطرة على العالم، ولهذا السّبب تشهد السّاحة الدّوليّة منذ تفكّك الاتّحاد السّوفياتيّ تصاعدًا ملحوظًا لوتيرة التّنافس بين الدّول الكبرى روسيا الصّين والولايات المتّحدة على الأراضي الوسط آسيويّة، وازداد هذا التّنافس حدّة بعد حدث أيلول ٢٠٠١ ليس من خلال المساعي الحثيثة لتلك الدّول على السّيطرة على مناطق الانتاج في جمهوريّات وسط آسيا، بل من خلال المشاركة المباشرة لهذه الدّول عن طريق الاستثمار والانتاج دون أن ننسى مدّ الأنابيب أيضًا. أمّا الذّي يجعل هذه المنطقة الغنيّة بالطّاقة منطقة تنافسيّة بين الدّول القادرة على مدّ شبكات الأنابيب، هو أنّها وبحر قزوين تشكّل "المصدر الموعود لسوق أوروبّا الشّرقيّة والجنوبيّة والوسطى، وكذلك لكلٍّ من الصّين والهند وتركيا".[3]

لكن بمقابل هذا التّنافس، كان هناك تعاونٌ متين بين تلك الأقطاب لتأمين احتياجاته من الطّاقة... فبين روسيا والصّين مصالح مشتركة في آسيا الوسطى، ومنها الطّاقة؛ حيث أنّ روسيا التّي تعتبر في عداد أكبر مصدّري الطّاقة في العالم، هدفها العمل على تعزيز مكانتها الدّوليّة من خلال تمكّنها من التّحكّم في كلّ

---

[1] Murat Laumulin, **US Strategy and Policy in Central Asia**, Central Asia and the Caucasus, N°4, Issue 46, 2007, p. 56

[2] Joshua Walker and Kevin Kearney, **What Central Asia Means to the United States**, The Diplomat, September 16, 2016: https://thediplomat.com/2016/09/what-central-asia-means-to-the-united-states/ (Accessed On 12/07/2018)

[3] عادل البديوي، **الإدراك الإستراتيجيّ للولايات المتّحدة الأميركيّة: دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكيّة**، دار الجنان للنّشر والتّوزيع، الأردن، 01 كانون الثّاني 2015، ص. ص. 315 – 316

ما يتعلّق بمنتجات وسط آسيا النّفطيّة والغازيّة، إن لحيث الإنتاج والتّجارة أو لحيث التّصدير إلى أوروبّا مرورًا بأراضيها... فالعدد الأكبر من خطوط نقل النّفط والغاز الوسط آسيويّ يمرّ عبر روسيا ممّا يزيد من نفوذها في وجه الولايات المتّحدة التّي تسعى إلى تقويض هذا النّفوذ عن طريق توثيق علاقاتها مع الجمهوريّات المستقلّة لمدّ خطوط نقل للنّفط والغاز لا تمرّ عبر روسيا، ممّا استثار الصّين لتعزيز تعاونها مع روسيا ضمانًا لنجاح مشروع طريق الحرير الجديد وتأمين احتياجاتها من النّفط من بحر قزوين بسعيها لنقله إلى أراضيها عبر كازاخستان مرورًا بإقليم شينغ يانغ.[1]

أمّا فيما يختصّ بواشنطن، فالجميع يعلم أنّها وموسكو على خلافٍ قديم وشديد حول فكرة تعزيز الدّيمقراطيّة في المنطقة، إنّما ومع ذلك كان إعلان إدارة ترامب في العام ٢٠١٧ عن أنّها ستفصل سياستها الخارجيّة عن قيم "حقوق الإنسان" والحرّيات المدنيّة، بمثابة ثغرة نور في جدار العزلة بين اللّاعبين اللّذين توصّلا مؤخّرًا إلى الإلتقاء بشخصَي رئيسَيهما بوتين وترامب لمناقشة الأمور العالقة بين البلدين وهذا ما يمكن أن يوصلهما إلى عقد اتّفاق بنّاء للتّعاون في منطقة آسيا الوسطى... وبخصوص علاقتها مع الصّين، فإنّ الولايات المتّحدة تلتقي معها في عدّة نقاط، أهمّها محاربة الإرهاب، ودعم الانتقاليّة في السّلطة الأفغانيّة، وتعزيز الاستقرار والازدهار في آسيا الوسطى، إلّا أنّ العقوبات الاقتصاديّة التّجاريّة الأخيرة والمتبادلة بين الطّرفين ستؤدّي حتمًا إلى زعزعة العلاقات "غير المستقرّة" أساسًا بين هذين الطّرفين، وستؤثّر بطبيعة الحال على تعاونهما في منطقة آسيا الوسطى.

ختامًا يمكن أن نفيد وبصريح العبارة أنّ جيواستراتيجيّات الدّول الكبرى في منطقة آسيا الوسطى تحكمها إزدواجيّة التّعاون – التّنافس، وليس في الأفق المنظور ما يبشّر بمرحلة استقرار ممكنة تجمع الأطراف الثّلاث على طريقٍ واحد... ونستذكر هنا ما قاله بريجنسكي في مقدّمة كتابه "رؤية استراتيجيّة: أميركا وأزمة السّلطة العالميّة" أنّه "في غياب الاستقرار الجيوسياسيّ، من شأن أي جهد مبذول لبلوغ التّعاون العالميّ الضّروريّ أن يتعثّر"...[2] فهل التّقارب الرّوسيّ – الأميركيّ الأخير سينفي هذا الكلام؟ نترك الإجابة لما يخبّئه بوتين من مفاجآت، وما ينوي عليه ترامب من صدمات...

---

[1] عادل البديوي، **الإدراك الإستراتيجيّ للولايات المتّحدة الأميركيّة: دراسة في المبادئ الجيوبوليتيكيّة**، مرجع سابق، ص. 316

[2] زبيغنيو بريجنسكي، **رؤية استراتيجيّة: أميركا وأزمة السّلطة العالميّة**، ترجمة: فاضل جتكر، دار الكتاب العربيّ، بيروت – لبنان، تمّوز 2012، ص. 9

لائحة المراجع:

- اللّغة العربيّة:

أ- الكتب:

1. اسماعيل، عصام. مقدّمة كتاب: **جيوسياسة آسيا الوسطى،** لكاتبيه: تيري كيلينير، محمّد رضا جليلي، ترجمة: علي مقلّد، منشورات دار الاستقلال، لبنان، 2001.
2. بريجينسكي، زبيغنيو. **رقعة الشطرنج الكبرى،** ترجمة: شرقي (أل)، أمل. الطّبعة العربيّة الثالثة، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، الأردن، 2012.
3. بريجنسكي، زبيغنيو. **رؤية استراتيجيّة: أميركا وأزمة السّلطة العالميّة،** ترجمة: فاضل جتكر، دار الكتاب العربيّ، بيروت – لبنان، تمّوز 2012.
4. حسين، خليل. **الجغرافيا السّياسيّة – دراسة الأقاليم البرّيّة والبحريّة والدّول وأثر النّظام العالميّ في متغيّراتها،** الطّبعة الأولى، دار المنهل اللّبنانيّ، بيروت – لبنان، 2009.
5. حسين، خليل. عبيد، حسين. **الإستراتيجيا،** الطّبعة الأولى، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت – لبنان، 2013.
6. حمّاد، كمال. **إدارة الأزمات الدّوليّة،** لا ط، لا ن، بيروت، 2010.
7. دحمان، قاسم. **السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة في آسيا الوسطى والقوقاز**، الطّبعة الأولى، إصدارات إي – كتب، لندن، آذار 2016.
8. رياض، محمّد. **الأصول العامّة في الجغرافية السّياسيّة والجيوبوليتيكا**، مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، جمهوريّة مصر العربيّة، 2012.
9. سعودي، محمّد عبدالغني. **الجغرافية السّياسيّة المعاصرة – دراسة الجغرافيا والعلاقات السّياسيّة للدّولة،** لا ط. مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 2010.
10. سليربيه، بيير. **الجغرافيا السّياسيّة والجغرافيا الاستراتيجيّة،** ترجمة: عبدالكريم، أحمد. الطّبعة الأولى، الأهالي للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، 1988.
11. قلعجيّة، وسيم خليل. **روسيا الأوراسيّة – زمن الرّئيس فلاديمير بوتين**، الطّبعة الأولى، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، عين التّينة – بيروت – لبنان، 2016.

12. نعمة، كاظم هاشم. **روسيا والشّرق الأوسط بعد الحرب الباردة – فرص وتحدّيات**، الطّبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، بيروت – لبنان، آب 2016.

13. هارون، علي أحمد. **أسس الجغرافيا السّياسيّة**، الطّبعة الأولى، دار الفكر العربيّ، القاهرة – مصر، 1998.

ب- الأبحاث والدراسات والمقالات:

+ **أبحاث ودراسات:**

1. **النّظريّة الجيوسياسيّة**، منشورة في "موسوعة الدّراسات الإستراتيجيّة" – قسم الجيوسياسة وعلم الجغرافيا السّياسيّة، الموسوعة الجزائريّة للدّراسات السّياسيّة والاستراتيجيّة، الجزائر، 26 – كانون الأوّل – 2016: https://www.politics-dz.com/threads/alnzri-algiusiasi.5981

2. أوغلو، أحمد داوود. **العمق الاستراتيجيّ**، الطّبعة الثّانية، مركز الجزيرة للدّراسات، الدّوحة – قطر، 2011.

3. بوسنان، سفيان. **جغرافيّة آسيا الوسطى وأهمّيتها في الفكر الجيوبوليتيكيّ**، المجلّة الجزائريّة للدّراسات السّياسيّة، العدد السّادس، الجزائر، كانون الأوّل ديسمبر 2016، ص. ص. 101 – 114.

4. الجميل، سيار. **جمهوريّات آسيا الوسطى وقوقاسيا – الجغرافية التّاريخيّة لجمهوريّات آسيا الوسطى**، مركز الدّراسات التّركيّة، جامعة الموصل، 1992.

5. عبد الحميد، حسن سعد. **نظريّات الهيمنة الأميركيّة: بريجنسكي – كونديليزا رايس أنموذجًا**، المركز الدّيمقراطيّ العربيّ، 18 تشرين الثّاني نوفمبر 2015.
www.democtraticac.de/?p=22688

6. زغبي (آل)، موسى. **إلى أين يتّجه العالم اليوم؟**، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2004.

7. مركز أبحاث كاتيخون، **التّوسّع الصّينيّ في آسيا الوسطى... وتحدّيات الأمن والإرهاب**، لا م. 24 – أيّار – 2016: http://katehon.com/ar/article/ltws-lsyny-fy-asy-lwst-wthdyt-lmn-wlrhb

8. وهيبي (أل)، أنيس. **الصّين والجيوبوليتيك العالميّ الجديد**، مركز الرّوابط والدّراسات الاستراتيجيّة والسّياسيّة، 2016.
www.rawabetcenter.com/archives/28823

+ **مقالات:**

1. أبو ردينة، عودة. **بوفاة زبيغنيو بريجنسكي فقدت أميركا مفكّرها الاستراتيجيّ**، تاج الجنوب العربيّ، 3 حزيران 2017: الموقع الرّسميّ للتّجمع الدّيمقراطي الجنوبي (الجنوب العربيّ) – تاج:
http://www.taj-sa.org/index.php?option=com_content&view=article&id=29117
2. أبو سكّين، حنان. **بين الصّراع والتّعاون: التّنافس الدّوليّ في آسيا الوسطى**، مجلّة آفاق سياسيّة، العدد السّادس، المركز العربيّ للبحوث والدّراسات، القاهرة، 2014.
http://www.acrseg.org/6940
3. أبوعمود، محمّد سعد. **آسيا الوسطى وصراعات القوى الكبرى**، منشورة في "ملحق الأسبوع السّياسي"، صحيفة الخليج، 2015/07/30:
http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/4b85c506-f2f3-442e-bf0a-5be13751f52c
4. أحمد، حميد شهاب. **التّنافس الإقليميّ والدّوليّ في منطقة الجمهوريّات الإسلاميّة لآسيا الوسطى**، منشور في "مجلّة دراسات دوليّة"، عدد 28، كلّيّة العلوم السّياسيّة، جامعة بغداد، 2005.
https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=60835
5. خضير، محمّد الياس. ابراهيم، سرمد خليل. **متغيّر الطّاقة في السّياسة الخارجيّة التّركيّة حيال دول آسيا الوسطى بعد الحرب الباردة**، منشور في مجلّة قضايا سياسيّة، عدد 35، جامعة النّهرين – العراق، 2014.
6. سلامي (أل)، سامي. "**المعركة الكبرى**": **التّنافس على قلب الأرض يعيد تعريف الأمن في آسيا الوسطى**، تحوّلات استراتيجيّة على خريطة السّياسة الدّوليّة، ملحق مجلّة السّياسة الدّوليّة، عدد يوليو 2016.
7. سلامي (أل)، سامي. **أي مستقبل للدّور الأميركيّ في آسيا الوسطى؟**، مجلّة السّياسة الدّوليّة، مؤسسة الأهرام، شارع الجلاء، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 15 – 11- 2015:
http://www.siyassa.org.eg/News/7568.aspx

8. سليم، محمّد السّيّد. **مستقبل الجمهوريّات الإسلاميّة في آسيا الوسطى والقوقاز**، منشور في "مجلّة العالم الإسلاميّ"، عدد 5، لا م، 1992.

9. سعدون (آل)، محمّد حمد. **نظريّة ماكيندر: قراءة جديدة في ظلّ الهيمنة الأميركيّة**، منشور في "مجلّة الدّراسات الدّوليّة"، عدد 28، كلّيّة العلوم السّياسيّة، جامعة بغداد، 2005.

10. علّو، أحمد. **السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة في علاقاتها الدّوليّة**، منشورة في: مجلّة الجيش اللّبنانيّ، العدد 263، أيّار 2007 : https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/السياسة-الخارجية-الروسية-في-علاقاتها-الدولية

11. علّو، أحمد. **دول آسيا الوسطى أو السّتانات الخمسة**، منشورة في: مجلّة الجيش اللّبنانيّ، العدد 329، تشرين الثاني 2012:
https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/دول-آسيا-الوسطى-أو-الستانات-الخمسة

12. قلعه جي، أحمد طارق. **عندما يحاصَر الملك الأسود... ماذا سيبقى من رقعة بريجنسكي**، موقع الأزمنة الإلكترونيّ، 15 – 4 – 2014.
www.alazmenah.com/?page=show_det&category_id=9&id=69332

13. وتد، محمّد محسن. **جمهوريّات آسيا الوسطى... حلف إسرائيل الجديد**، موقع الجزيرة الإخباريّ، 20 – كانون الأوّل – 2016: https://goo.gl/rGKwMc

ث- الأطروحات والرّسائل:

1. سيف الدّين، محمّد. **توسيع الأطلسي والأمن الرّوسي بعد سقوط الإتّحاد السّوفياتي**، إشراف: د. محمّد منذر، المعهد العالي للدّكتوراه في الحقوق والعلوم السّياسيّة والإداريّة والإقتصاديّة، الجامعة اللّبنانيّة، 2011.

2. عبدالبديع، أسماء. **القيادة الرّوسيّة والتّغيّر في السّياسة الخارجيّة الرّوسيّة تجاه دول آسيا الوسطى: 2000 - 2015**، إشراف: د. محمّد سلمان طايع، المركز الدّيمقراطيّ العربيّ، 2016: https://democraticac.de/?p=34651

3. عضايلة (آل)، عبدالله الفلّاح عودة. **التّنافس الدّوليّ في آسيا الوسطى: 1991 - 2010**، إشراف: د. غازي اسماعيل ربابعة، قسم العلوم السّياسيّة، كليّة الآداب والعلوم، جامعة الشّرق الأوسط، الأردن، 2011.

4. عزيز، زهير. **تعاظم الدّور الصّيني ومستقبل الهيمنة الأميركيّة في القارّة الآسيويّة**، إشراف: د. خليل حسين، كلّيّة الحقوق والعلوم السّياسيّة والإداريّة، الجامعة اللّبنانيّة، 2017.
5. قطايا، عبّاس محمّد. **الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة – تحوّلات الجغرافيا السّياسيّة وتوظيفاتها الجيوبوليتيكيّة**، إشراف: د. طلال عتريسي، المعهد العالي للدّكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، الجامعة اللّبنانيّة، العام الجامعيّ 2016 –2017.

ج- التّقارير:

1. عبد الباقي، مصباح الله. تقرير حول آسيا **الوسطى والقوقاز... الأهميّة الإستراتيجيّة والواقع السّياسيّ والاجتماعيّ**، مركز الجزيرة للدّراسات، 24 أيلول سبتمبر 2013.
http://studies.aljazeera.net/mritems/Documents/2013/9/24/201392410514677734first%20section.pdf
2. مركز أبحاث كاتيخون، **التّوسّع الصّينيّ في آسيا الوسطى... وتحدّيات الأمن والإرهاب**، لا م. 24 – أيّار – 2016:
http://katehon.com/ar/article/ltws-lsyny-fy-asy-lwst-wthdyt-lmn-wlrhb
3. **مشروع "طريق الحرير" الصّينيّ**، موقع بي بي سي عربي الإلكترونيّ، 15 أيّار 2017:
http://www.bbc.com/arabic/business-39922326

- اللّغات الأجنبيّة:

أ- الكتب:

1. Ahrari, M. E. **The New Great Game In Muslim Central Asia**, McNair Paper 47, Institute of National Strategic Studies, National Defense University, Washington, DC, January 1996.
2. Brzezinski, Zbigniew. **The Grand ChessBoard: American Primacy and Its Geostrategic Imperatives**, Basic Books, New York, 1997.
3. Djalili, Mohammad-Reza. Kellner, Thierry. **Géopolitique de la Nouvelle Asie Centrale: De la Fin de l'URSS à l'après-11 Septembre**, 4ème Édition, The Graduate Institute Geneva, 2006.
4. Fournier, Marc. **Russie, Allemagne et France, révélations sur la politique Russe**, Paris, Coquiellon, 1844.
5. Hilhor, Constantin. **Geopolitics from a classical to a postmodern approach**, translated by Nicolae Melinescu, Italian academic publishing, Italy, 2014.
6. Kellner, Thierry. **L'Occident de la Chine: Pékin et la nouvelle Asie Centrale (1991 – 2001)**, Institut de hautes études internationales et du développement, Genève, 13 octobre 2015.
7. Laurelle, Marlène. Peyrouse, Sébastien. **China as a Neighbor: Central Asian Perspectives and Strategies**, Central Asia-Caucasus Institute & Silk Road Studies Program, Singapore, 2009.
8. Lebedev, Vladimir. **Russes et Anglais en Asie Centrale vers l'Inde**, traduit par : Cazalas, librairie militaire R. Chapelot, Paris, 1900.
9. Lovelace, Douglas. Foreword of the book: **U.S. INTERESTS IN CENTRAL ASIA AND THE CHALLENGES TO THEM**, for his author: Blank, Stephen J. Strategic Studies Institute (SSI), March 2007

10. Mackinder, Halford J. **Democratic Ideals and Reality**, Constable and Company LTD, London, 1919.

11. Mahan, Alfred. **The Influence of Sea Power on History 1660 – 1783**, first edition, Little Brown and Company, Dover Edition, Boston, 1989.

12. Xing, Guangcheng, **China and Central Asia: Towards a New Relationship**, publié dans ZHANG, Yongjin, AZIZIAN, R., "Ethnic challenges beyond Borders – Chinese and Russian Perspectives of the Central Asian Conundrum", New York, St Martin Press, 1998

ب– الأبحاث والدراسات والمقالات:

+ أبحاث ودراسات:

1. Ahrari, M. E. **The New Great Game In Muslim Central Asia**, McNair Paper 47, Institute of National Strategic Studies, National Defense University, Washington, DC, January 1996.

2. Djalili, Mohammad-Reza. Kellner, Thierry. **L'Asie Centrale, Terrain de Rivalités**, Le Courrier des Pays de l'Est, No. 1057, 2006 : http://www.cairn.info/revue-le-courrier-des-pays-de-l-est-2006-5-page-4.htm

3. Dubnov, Arkady. **Reflecting on a Quarter Century of Russia's Relations with Central Asia**, Carnegie Endowment for International Peace, April 2018.

4. Feigenabaum, Evan. **China's Big Play in Central Asia**, Council on Foreign Relations, January 5 2010: https://www.cfr.org/blog/chinas-big-play-central-asia (Accessed On 04/07/2018)

5. Fettweis, Christopher J. **Eurasia, The World Island: Geopolitics and Policymaking, in the 21st Century**, Center for Research on Globalization, 14 – March – 2006: https://www.globalresearch.ca/eurasia-the-world-island-geopolitics-and-policymaking-in-the-21st-century/2095

6. Frank, Andre Gunder. **The Centrality of Central Asia**, Vu University Press, Amesterdam, 1992.

7. Gray, Colin S. **Nicholas John Spykman, The Balance of Power and International Order**, Journal of Strategic Studies, Volume 38, Issue 6, 2015, p.p. 873 -897

8. Hlihor, Costantin. **Geopolitics from a Classical to a Post – Modern Approach**, translated by: Nicolae Melinescu, Italian Academic Publishing, Plamero – Italy, 2014.

9. Kurečić, Petar. **The New Great Game: Rivalry of Geostrategies and Geoeconomics in Central Asia**, Hrvatski Geografski Glasnik, Volume 72, Issue 1, 2010: https://pdfs.semanticscholar.org/34ac/1c19686fed96050ec72bde45fe779041f621.pdf

10. Kurlantzick, Joshua. **Charm Offensive: How China's Soft Power Is Transforming the World**, New Haven: Yale University Press, 2007.

11. Laumulin, Murat. **US Strategy and Policy in Central Asia**, Central Asia and the Caucasus, N°4, Issue 46, 2007.

12. Linn, Johannes F. **Central Asia Regional Integration and Cooperation: Reality or Mirage?**, Eurasian Integration Year Book, Eurasian Development Bank (EDB), 2012

13. Lo, Bobo. **La Russie a-t-elle une stratégie en Asie Centrale ?**, Russie NEI Visions, N° 82, Ifri centre Russie/ NEI, Paris – France, Janvier 2015, p.p. 126 – 152 :

https://www.ifri.org/sites/default/files/atoms/files/ifri_rnv_82_central_asia_bobolo_fra_janvier_2015_0.pdf

14. Mackinder, Halford J. **The Geographical Pivot Of History (1904),** The Geographical Journal, Vol. 23, No. 4, April 1904, The Royal Geographical Society, London, p.p. 421-444 https://www.iwp.edu/docLib/20131016_MackinderTheGeographicalJournal.pdf

15. Mackinder, Halford J. **The Round World and The Winning of The Peace**, Foreign Affairs Magazine, Vol. 21, No. 4, New York – USA, July, 1943: https://www.foreignaffairs.com/articles/1943-07-01/round-world-and-winning-peace

16. Mitchell, Garret. **China in Central Asia: The Beginning of the End of Russia?**, SLOVO, Vol. 26, N°1, Spring 2014.

17. Oliphant, Craig. **Russia's Role and Interests in Central Asia**, Saferword, October 2013.

18. Pantucci, Raffaello. Lain, Sarah. **China's Eurasian Pivot: The Silk Road Economic Belt**, Whitehall Papers, Volume 88, Issue 1, 16 May 2017.

19. Russel, Martin. **China's Role in Central Asia**, European Parlimentary Research Service, European Union, June 2017.

20. Suslov, Dimitry. **New US Eurasian Strategy and Central Asia**, Valdai Club,18 May 2018: http://valdaiclub.com/a/highlights/new-us-eurasian-strategy-and-central-asia/?sphrase_id=337461 (Accessed On: 01/06/2018)

21. Swielande (De), Tanguy Struye. **Caucase et Asie Centrale: La Guerre pour le Contrôle du Rimlande**, les cahiers du RMES, volume IV, numéro 01, 2007: http://www.etudier.com/dissertations/Caucase-Et-Asie-Centrale-La-Guerre-Pour/85076.html

22. Trenin, Dimitri. **Russia's Spheres of Interest not Influence,** published in "The Washington Quarterly", Vol. 32, Issue 4, September 22, 2009.

+ مقالات:

1. Amirahmadian, Bahram. **Geopolitical, Geo-strategic and Eco-strategic Importance of Central Asia,** International Politics Online Magazine, 20 March 2008: http://www.int-politics.com/articles/no1/geopolitical,%20geo-strategic%20and%20eco-strategic%20importance%20of%20central%20asia.pdf or: http://arz-e-pak.com/documents/ebooks/CentralAsiaImportance.pdf
2. Baraize, Rémi. **Divers / Poudrières en MDC – Le Vietnam, là où s'accrochent les empires : « île monde » eurasiatique contre thalassocratie dans la théorie globale du « Grand Jeu »,** le blog de la géopolitique du Vietnam, 18 Juin 2017 : https://vinageoblog.wordpress.com/tag/spykman/
3. Goble, Paul. **China's "Soft Power" in Central Asia both More and Less than it Appears,** Eurasia Daily Monitor, Volume 15, Issue 14, 30 January 2018: https://jamestown.org/program/chinas-soft-power-central-asia-less-appears/ (Accessed On: 03/07/2018)
4. Goble, Paul. **China Quietly Displacing Russia and US from Central Asia,** Eurasia Daily Monitor, Volume 13, Issue 140, 2 August 2016: https://jamestown.org/program/china-quietly-displacing-both-russia-and-us-from-central-asia/ (Accessed On 04/07/2018)

5. Hung, Ming-Te. Herman, Fanie. **China in Central Asia: Harmonizing Mackinder's Heartland**, Education about ASIA, Volume18, Number 3, Winter 2013.
6. Ismailov, Eldar. Esenov, Murad. **CEA in the New Geopolitical and Geo-economic Dimensions**, published in "Central Eurasia 2005 Analytical Annual", CA & CC Press, Sweden, 2006.
7. Kaplan, Robert D. **The Quiet Rivalry Between China And Russia**, New York Times, 3 – November – 2017: https://www.nytimes.com/2017/11/03/opinion/china-russia-rivalry.html
8. Kleveman, Lutz. **The New "Great Game"**, The Guardian, October 20, 2003: https://www.theguardian.com/business/2003/oct/20/oil
9. Liu, Xuecheng. **China's Energy Security and Its Grand Strategy**, the Stanley Foundation Policy, Analysis Brief, September 2006.
10. Mitchell, Licoln. **The Color Revolutions**, Foreign affairs Magazine, January/February 2013 Issue: https://www.foreignaffairs.com/reviews/capsule-review/color-revolutions (Accessed On 06/07/2018)
11. Roy, Oliver. **Géopolitique de l'Asie Centrale**, publié dans « Cahiers du Monde Russe et Soviétique », Vol. 32, No. 1, Janvier – Mars 1991, p.p. 143 -152 http://www.persee.fr/doc/cmr_0008-0160_1991_num_32_1_2269
12. Tesquet, Olivier. **Pour Pékin, le Xinjiang est Plus Dangereux que le Tibet**, Groupe L'Express, France, 06-07-2009: https://www.lexpress.fr/actualite/monde/asie/pour-pekin-le-xinjiang-est-plus-dangereux-que-le-tibet_772682.html
13. Walker, Joshua. And Kearney, Kevin. **What Central Asia Means to the United States**, The Diplomat, September 16, 2016:

https://thediplomat.com/2016/09/what-central-asia-means-to-the-united-states/

ت. الأطّروحات والرّسائل:

1. Coulombe, Julie. **Le Processus Décisionnel Chinois En Matière De Politiques Energétiques: Le Cas De L'Asie Centrale**, Université du Québec, Montréal, Avril 2012.
2. Joobanie, Houssein Afghaie. **Meta – Geopolitics of Central Asia: A Comparative Study of the Regional influence of the EU and the Shanghai Co-operation Organization**, Linkoping University, Sweden, August, 2013.
3. Hlihor, Costantin. **Geopolitics from a Classical to a Post – Modern Approach**, translated by: Nicolae Melinescu, Italian Academic Publishing, Plamero – Italy, 2014.
4. Voloshin, Georgiy. **Le Nouveau Grand Jeu en Asie Centrale : Analyse Des Jeux De Puissances et Des Strategies Geopolitiques sur l'Exemple de l'Afghanistan**, Sous la direction de Mme Laure Delcour, Ecole Nationale D'administration, Paris – France, Promotion Marie Curie, 2011-2012 : https://www.ena.fr/content/download/2810/45466/version/1/file/2012Curie_CIL_VOLOSHIN.pdf

ث. التّقارير:

1. Central Asia and Central Caucasus Press Website: www.ca-c.org
2. Central Intelligence Agency (CIA), The WORLD FACTBOOK Website, **Central Asia: Kazakhstan:** https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/kz.html (Accessed on 1 January 2018)
3. Central Intelligence Agency (CIA), The WORLD FACTBOOK Website, **Central Asia: Kyrgyzstan:** https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/kg.htmln (Accessed on 1 January 2018)
4. Central Intelligence Agency (CIA), The WORLD FACTBOOK Website, **Central Asia: Turkmenistan:** https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/tx.html (Accessed on 1 January 2018)
5. Crone, Gerald Roe. **Halford Mackinder, British Political Geographer,** Encyclopaedia Britannica, 20 July 1998: https://www.britannica.com/biography/Halford-Mackinder#ref257953
6. Encyclopedia Britannica, Macropedia, Vol. 14, 1994.
7. International Crisis Group, **Central Asia's Silk Road Rivalries**, Crisis Group Europe and Central Asia Report N°245, 27 July 2017: https://www.crisisgroup.org/europe-central-asia/central-asia/245-central-asias-silk-road-rivalries
8. Kortunov, Andrey. And Timofeev, Ivan. **Russia's Foreign Policy: Looking towards 2018**, Russian International Affairs Council (RIAC), Moscow – Russia, 2017: www.russiancouncil.ru/en/report36
9. Regnum 22 January 2013, **citing Russian MFA official:** https://regnum.ru/news/search/2013-01-22.html
10. **Strategy of National Security of the Russian Federation to 2020**, Krasnaya Zvezda 20 -26 May 2009.

11. The Editors of Encyclopaedia Britannica, **Zbigniew Brzezinski United States Statesman and Scholar**, Encyclopaedia Britannica: https://www.britannica.com/biography/Zbigniew-Brzezinski (Accessed on 22-02-2018)
12. **The World Factbook**: https://www.cia.gov/library/publications/the-world-factbook/geos/en.html
13. US Department of State, C5+1 Fact Sheet, Washington DC, 22 September 2017: https://www.state.gov/r/pa/prs/ps/2017/09/274386.htm

ج. مواقع إلكترونيّة:

1. Google maps: https://www.google.com.lb/maps/@39.0332112,45.7342728,4z
2. www.lesyeuxdumonde.fr

الْفَهْــرَس